



27.12.2016

## لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر  
ترجمة: أ.د. غانم النجار

صدرت السلسلة في يناير 1978

أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

## لماذا يكذب القادة؟

### حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر

ترجمة: أ.د. غانم النجار



ديسمبر 2016

443

العنوان الأصلي للكتاب

**Why Leaders Lie**  
**The Truth about Lying and International**  
**Politics**

By

**John J. Mearsheimer**

Oxford University Press, 2013

© All rights reserved.

طُبِعَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ نَسْخَةٍ

---

رَبِيعُ الْأَوَّلِ 1438 هـ - دَيْسَمْبَرُ 2016

---



# علم للمعرفة

سلسلة شهرية يصدرها  
المجلس الوطني للثقافة  
والفنون والآداب

أسسها  
أحمد مشاري العدواني  
د. فؤاد زكريا

المشرف العام  
م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير  
د. محمد غانم الرميحي  
rumaihing@gmail.com

هيئة التحرير  
أ. جاسم خالد السعدون  
أ. خليل علي حيدر  
د. علي زيد الزعبي  
أ. د. فريدة محمد العوضي  
أ. د. ناجي سعود الزيد

مديرة التحرير  
شروق عبدالمحسن مظفر  
a.almarifah@nccalkw.com

سكرتيرة التحرير  
عالية مجيد الصراف  
a.lalmarifah@nccal.gov.kw

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي :  
السيد الأمين العام  
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
ص. ب. 28613 - الصفاة  
الرمز البريدي 13147  
دولة الكويت  
تليفون : 22431704 (965)  
فاكس : 22431229 (965)  
www.kuwaitculture.org.kw

التنفيذ والإخراج والتنفيذ  
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 531 - 0

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر  
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

## المحتوى

9 مقدمة المترجم

15 توطئة

21 المقدمة

33 الفصل الأول:  
ما الكذب؟

39 الفصل الثاني:  
قائمة بالأكاذيب الدولية

43 الفصل الثالث:  
الكذب بين الدول

63 الفصل الرابع:  
إثارة الذعر

81 الفصل الخامس:  
التغطيات الإستراتيجية

89 الفصل السادس:  
الأساطير القومية

95	الفصل السابع: الأكاذيب الليبرالية
101	الفصل الثامن: الجانب السلبي للأكاذيب الدولية
115	الخلاصة
119	الهوامش
149	صدر من هذه السلسلة



## مقدمة المترجم

لآل سيكيل كتاب جميل ومعبر بعنوان «أساتذة التضليل»<sup>(\*)</sup>، لا يتحدث فيه عن التضليل السياسي، لكنه يسهب فيه عن منشط آخر من مناشط الحياة وهو الفن. يتحدث سيكيل بالكلمة والصورة عن فناني الخداع البصري، وعلى رأسهم المثير للجدل دائما سيلفادور دالي، وإم. سي. إسشر، فهما يضللان العين بمناقضات بصرية تترك تفاعلات في حاشية ومتن الذات البشرية. يستعرض الكتاب أكثر من 400 سنة من فن الخداع البصري بما يتجاوز التوقعات.

حاول ونجح فنانو الخداع البصري في تحقيق التناغم بين الواقع وما وراء الواقع، بتحويل الأشياء إلى بشر والعكس، وإدخال البشر في الأشياء، بطريقة تظهر الصورة على غير حقيقتها، وتدفع الراي إلى التخيل. حدث ذلك على أيدي فنانين كبار مثل سكوت كيم (Scott Kim) وغويدو موريتي (Guido Moretti) وريكس

«الكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس، وقابل للفهم والفهم والاستيعاب، بعيدا عن التعقيدات الأكاديمية...»

(\*) Al Seckel, *Masters of Deception: Escher, Dali, and the Artists of Optical Illusion* (Sterling, 2007).

ويسلر (Rex Whistler) وإسشر (Escher) ومونيز (Vik Muniz) ودالي (Dali) وغونزالفيس (Rob Gonsalves).

وبقدر الجمال والتمايل والتلاعب الذي يخلقه فن الخداع البصري، والذي يسعى فنانونه إلى خلق زوايا مختلفة للنظر إلى الأشياء، فإنه لا يرتكز على الخداع الذي يقوم به البشر تجاه البشر الآخرين، فالإبداع هنا كان في استخدام الثابت وتحويله إلى حركة صاخبة؛ تحويل للصورة واللون وأدوات أخرى إلى حركة ذهنية وربما حتى جسدية. ويعد الخداع الحاوية الرئيسة للكذب. هو سلوك بشري، يستهدف طمس الحقيقة عن بشر آخرين، وهو سلوك عادة ما يكون له هدف، وقد يكون ذلك الهدف أحيانا نبيلًا، كما يرى مؤلف كتاب «لماذا يكذب القادة».

على المستوى الفردي، وبين البشر، هناك على الأقل 31 نوعا من أنواع الكذب، يمارسه البشر فيما بينهم. ومع ذلك فإن عموم ثقافات البشر تتعامل مع الكذب على أساس أنه فعل ممنهج، مكروه، ويعكس انخفاضا في القيم، أو هكذا يفترض. والكذب، كما وصفه إيمانويل كانت، أكبر انتهاك يقوم به الفرد ضد نفسه. ومع ذلك لا يتورع الناس عن ممارسته والتفنن فيه في كل وقت، حتى صار يبدو جزءا أساسيا من تعاطي البشر مع ذاتهم ومع محيطهم. ومع أن الناس تمارس الكذب بأشكال مختلفة، ومستويات متنوعة، فإنهم في المجمل لا يقرون بكذبهم، بل يبررونه. وبالطبع، لا أحد يقبل أن يوصف بأنه كاذب.

لزم من طويل كنت منشغلا في محاولة تفسير الحدث السياسي، طارحا السؤال التالي: هل الأحداث التاريخية الكبرى ليست إلا نتيجة طبيعية لتغير ونضج ظروف مجتمعية واقتصادية وسياسية؟ أم أن هناك دورا فاعلا وحقيقيا ومؤثرا للأفراد في خلق تلك الأحداث؟ بمعنى آخر، حتى لو قبلنا بالظروف الموضوعية العامة كمحرك أساس للأحداث الكبرى، هل كان لتلك الأحداث أن تتحقق لو أن أشخاصا أساسيين لم يكونوا في المشهد السياسي؟ أو على الأقل هل كانت ستحدث بالطريقة نفسها؟ على سبيل المثال، لو أن الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون كان هو الرئيس في العام 2013، فهل كان سيغزو العراق حينها؟ من يدرى. إنه سؤال افتراضي.

كلما امتد بي العمر وزادت حصيلتي من المعرفة، والخبرة العملية، والشهادة الشخصية على أحداث كبرى، ومعرفة تفاصيل الأحداث، والاطلاع على ما كتبه

## مقدمة المترجم

الكاتبون أو الكاذبون أحيانا عن ذلك الحدث، اكتشف أنهم قد أهملوا أو صرفوا النظر عن دور الأفراد في الحدث، ولجأوا إلى العوامل الكبرى الحاكمة للتغيير، وابتعدوا، عن قصد أو عن جهل، أو عن موقف فكري ومنهجي، عن تثبيت دور الأفراد وإعطاء كل ذي حق حقه. بالطبع هذه ليست دعوة لإلغاء دور العوامل العامة في التغيير لكنها تنبيه إلى ما قد نخسره كثيرا في فهم تفاصيل وتحولات المجتمعات. هل التحولات السياسية الكبرى هي جزء من عجلة التاريخ؟ هل التغييرات التاريخية تحدث لأسباب ومعطيات اجتماعية؟ فإن كانت كذلك، فما دور الفرد في هذه المتغيرات؟ وهل للفرد وسلوكه أثر ما في تلك المتغيرات، أم أنه مجرد عنصر صغير بسيط الأثر لا يستحق الدراسة إلا بقدر؟ وحتى لا نخوض في جدل نظري، حيث إن موقعه ليس هنا، أرى أن تأثير الأفراد - وعلى الأخص السياسيين، والقادة، والديبلوماسيون، والعسكريون، وربما الشخصيات العامة - لا يبدو بارزا في سياق الأحداث. وحتى إن جرى هنا أو هناك تركيز على دور هذا الفرد أو ذاك في الحدث، فإنه يجري التقليل منه بشكل مخل، وإبعاده عن مسرح الأحداث، انطلاقا من أن الأحداث هي صنعة عوامل أوسع من الأفراد. وتتحول تلك المسألة إلى مأساة عندما يقوم المرجفون بتضخيم وإعلاء دور فرد ما، أو قائد ما، حتى تلغى الأدوار الأخرى للأفراد أو للجماعات أو أي تكوينات أخرى على المستويين الأعلى أو الأدنى.

وربما كان ذلك هو الدافع لحماسي لترجمة كتاب «لماذا يكذب القادة». عرضت فكرة الكتاب على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وسلسلته الرائدة «عالم المعرفة»، والذين تلمسوا مشكورين ندرة الموضوع وأهميته، وإضافته المطلوبة للمكتبة العربية. والاهتمام بترجمة الكتاب لم تأت فقط بسبب التشويق الذي يثيره موضوع الكذب، وهو تشويق مطلوب ومحمود، لكنه جاء ضمن محاولات فهم دور الفرد، عبر أدوات سلوكية عادية، كالكذب، في التأثير في الأحداث العامة والدولية. يحاول هذا الكتاب رصد ظاهرة الكذب وتحليلها في إطار العلاقات الدولية بأسلوب رشيق وورصين في آن. فالكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس وقابل للهضم والفهم والاستيعاب، بعيدا عن التعقيدات الأكاديمية، على رغم أن مؤلفه، البروفيسور ميرشيمر، أكاديمي متميز. وهذا الكتاب محاولة جريئة ومستحقة تحسب للمؤلف الذي اعتاد طرق المواضيع غير التقليدية.

بطبيعة الحال كان التركيز على الولايات المتحدة، دون إغفال العديد من التجارب الأخرى، ومن الواضح أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا في رصد ظاهرة الكذب عبر التاريخ في العديد من الدول الغربية، ولم ينس في ذلك كذب إسرائيل على العالم لتبرير احتلالها واغتصابها لفلسطين، خصوصا أنه كان قد وضع للمكتبة الدولية كتابه المهم والمؤثر «اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية»<sup>(\*)</sup>، الذي خلق جدلا واسعا ومازال داخل أمريكا وخارجها. ويبدو أن توافر المعلومات والدراسات والوثائق في المحيط الغربي كان مبررا منطقيا للتركيز على ظاهرة الكذب الدولي في الغرب. وفي ظني أنها لو كانت قد تضمنت دولا عربية أو من العالم الثالث، مثلا، لربما نجدها قد تحولت إلى رجم بالغيب، وظنون لا أدلة عليها ولا مستندات، وتخرصات قد لا توصلنا إلى نتائج قريبة من الواقع حول الكذب ودوره في العلاقات الدولية.

ومع أن البروفيسور ميرشيمر كان قد انطلق من فرضية، أن هناك وظيفة، قد تكون مفيدة للكذب في السياسة الدولية، وعالجها بعمق مبينا أين من الممكن أن تحدث الاختلالات والانتكاسات للكاذبين من السياسيين، فإنه أكد في المقابل أن حالات الكذب التي تعامل معها هي تلك التي يطلق عليها الكذب الإستراتيجي، الذي يتوخى في مساعيه تحقيق مصلحة عامة وطنية. بمعنى آخر، هو لا يتعامل في الكتاب مع الكذب الأناني أو الشنيع الذي يسعى السياسي الكاذب فيه إلى تحقيق أهداف شخصية أنانية، أو يهدف إلى حماية أفراد بعينهم.

بالطبع نقف هنا أمام إشكالية تحديد ماهية المطامح الشخصية والأناية. وهل ممكن أن يكون البقاء في السلطة وتحطيم الخصوم، داخليين كانوا أو خارجيين، جزءا من أهداف ومسامح شخصية؟ السؤال يظل مفتوحا، وتحدده طريقة تعريفنا للكذبة الإستراتيجية، وهي مسألة متصلة وخاضعة لمزيد من المراجعة، فالمؤلف أوضح أنه على عتبات مجال جديد سيحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص.

وقد يشجع طرح الموضوع أكاديميا باحثين عربا لتوسعة دائرة التحليل لكي تشمل مناطق جغرافية أوسع، وبالذات منطقتنا العربية والشرق الأوسط، لكي يقوموا بدراسة مقارنة للكذب في السياسة الإقليمية. أظن أننا لو فتحنا هذا الباب

(\*) John J. Mearsheimer, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (Farrar, Straus and Giroux, 2008).

## مقدمة المترجم

على مصراعيه، وأخضعنا الكذب للدراسة المنهجية، فإننا موعودون بمفاجآت قد تسهم في إضافة نوعية للسياق العلمي الذي تناوله الكتاب. بالطبع ستواجهنا مشكلة حقيقية في حالة دراسة هذه المنطقة، وهي ضعف التوثيق، وعدم وجود المصادر الموثوقة والمعتمدة.

«لماذا يكذب القادة» رحلة في ما هو مسكوت عنه في العلاقات الدولية، وهي رحلة كاشفة لكثير من الأدوات التي أسهمت في تحريك حوادث تاريخية. ومن المؤكد أن الكتاب الذي بين أيدينا ليس إلا باكورة بحوث مماثلة في ذات المجال ستؤدي إلى منهجية أفضل وقدرة أكبر على توقع مجريات الأمور.

غانم النجار

الكويت - مايو 2016



## توطئة

في ربيع العام 2003، اتصل بي سيرج شميان من جريدة نيويورك تايمز، من دون سابق إنذار، وأبلغني بأنه يعمل على موضوع حول الكذب في السياسة الدولية للنشر في عدد الأحد من الجريدة. وقال إنني خطرت في ذهنه لسبب أو لآخر، لذلك قرر الاتصال بي. ولم يحدث أن التقينا أو تحدثنا من قبل. بينت له أنني لم أفكر في الموضوع مطلقا، ولا أظن أن هناك أصلا كتابات علمية حول الكذب الدولي. فاقترحت عليه أن يسترسل في شرح فكرته، ومن ثم أعقب عليه. وقد قمنا بذلك فعلا، ونتجت عن ذلك مناقشة مثمرة ومفيدة، استمرت ساعة كاملة. بعد ذلك، دونت بعض الأفكار حول المحادثة الهاتفية، ووضعتها في أحد الملفات.

وبعد بضعة شهور، وتحديدا في سبتمبر من العام 2003، وُجّهت لي دعوة من جامعة MIT للتحدث في موضوع وفق اختياري. فكرت حينها، في أنه قد يكون مفيدا أن أتحدث عن الكذب في السياسة الدولية، وهكذا استخرجت

«إن أكثر آرائي إشارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا»

الملاحظات التي كنت قد دونتها سابقا بعد محادثتي مع شميمان، وربتها بطريقة لتقدمها. وخلال السنوات الست التي تلت ذلك، كتبت بحثا، وقدمت ثماني محاضرات أخرى، وتسنى لي النقاش والحديث مع عدد كبير من الأصدقاء والزلاء بشأن الموضوع.

وفي إطار ذلك السياق، أذهلني درجة تفاعل الناس مع موضوع الكذب الدولي. فكل جمهور، وتقريبا كل فرد تحدثت معه، كان يتفاعل سريعا وبحماس ملحوظ، وكثيرون يريدون الحديث بإسهاب عنه. عدد منهم أرسل لي رسائل إلكترونية لمتابعة المناقشة، بمن في ذلك أشخاص لم ألتق بهم في حياتي وكانوا حاضرين خلال إحدى محاضراتي.

أستطيع استخلاص أسباب عديدة وراء اهتمام الناس بالموضوع. ابتداء، أغلب الناس يعدون الكذب سلوكا مستنكرا، على الأقل للوهلة الأولى. وهم لا يتقبلون أن يطلق عليهم أحد أنهم كاذبون، حتى إن كانوا يمارسون الكذب بين الفينة والأخرى. بالطبع، فالكذب تهمة خطيرة، وعادة ما يتردد الناس في إطلاقها على أحد، حتى لو كانوا يعتقدون أن التهمة مستحقة؛ نجدهم يستخدمون لغة أقل وطأة. وهكذا وجدنا عضو مجلس الشيوخ جون كيري<sup>(\*)</sup>، غير قادر على وصف الرئيس بوش بالكاذب خلال الحملة الانتخابية الرئاسية في العام 2004، مستخدما عبارة أقل حدة حين قال: «إنه قد فشل في قول الحقيقة» عن العراق وإنه «قاد الشعب الأمريكي إلى الطريق الخاطئ»<sup>(1)</sup> ولكن يبدو أن اعتبار الكذب فعلا شريرا هو أحد الأسباب التي تجعل الناس يحبون التحدث عنه.

ويبدو أن ما يجعل الموضوع أكثر إثارة لاهتمام الكثيرين هو أنني أجادل بأن هناك مبررات إستراتيجية للقادة لكي يكذبوا، في بعض الأحيان، على دول أخرى، وعلى شعوبهم أيضا. بعبارة أخرى، فإن الكذب الدولي، ليس بالضرورة فعلا خاطئا؛ في الحقيقة، فهو كثيرا ما ينم عن فراسة، وقد يكون ضروريا، بل فاضلا في بعض الظروف. بيد أن أكثر آرائي إثارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا. ولم يتفق مع مقولتي تلك إلا قلة قليلة، خصوصا عند سماعهم لها للمرة الأولى. فأغلبية الناس يستهزئون بهذه الفكرة. فهم يتصورون

(\*) جون كيري هو وزير الخارجية الأمريكي الحالي منذ 2013، وقد كان منافسا على الرئاسة ممثلا عن الحزب الديمقراطي في العام 2004 ضد الرئيس جورج دبليو بوش [الترجم].



## توطئة

أن هناك أمثلة لا حصر لها كذب فيها القادة بعضهم على البعض، وبالتالي فإنه من السهولة بمكان استعراض حالات كثيرة من هذه الأكاذيب. وفي الأساس، فإنهم يعتقدون أن الكذب بين الدول، هو أمر اعتيادي في السياسة الدولية. كنت أقول لمن أحاورهم إن واقعيتي تجعلني ميالا إلى الاتفاق معهم، ولكني اقتنعت بعد دراسة الموضوع بأنهم مخطئون، فلا يوجد فعليا كثير من الكذب بين الدول. بالطبع هذا لا يعني أنه لا يوجد كذب إطلاقا. لقد لاقى الموضوع اهتماما بسبب حرب العراق. فكثير من المطلعين على بواطن الأمور، مقتنعون الآن بأن حكومة الرئيس بوش كذبت على الشعب الأمريكي في مرحلة تحضيرها للحرب، التي انتهت إلى كارثة إستراتيجية للولايات المتحدة. عندما تسوء الأمور في الحرب، ويرى الناس أن الخداع كان السبب الرئيس لشن الحرب، فإنهم يتحمسون جدا للحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلت القادة يكذبون، وعن العواقب الناتجة عن ذلك الكذب. يضاف إلى ذلك أن الغياب الملحوظ للكتابات العلمية عن الكذب في السياسة الدولية، يسمح للناس بمناقشة هذه المواضيع بصورة خلقة، بل يدفعهم إلى ذلك.

وأخذا في الاعتبار قلة الكتابات العلمية عن الكذب الدولي، وفي المقابل الاهتمام الكبير بالموضوع، فقد قررت أن أطور بحثي عن الكذب إلى كتاب. هدفي الأساس هو توفير أطر تحليلية قد تساعد في تنظيم تفكيرنا عن الكذب في السياسة الدولية، وكذلك الدفع ببعض التصورات النظرية حول جوانب أساسية في الموضوع. أتمنى أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق لمناقشة موضوع على درجة عالية من الأهمية، وإن لم يجد الاهتمام الكافي بعد. فإن كنت قد نجحت في مسعاي، فسيتابع خطواتي آخرون ليحسنوا أو يتحدوا أفكارتي ومزاعمي وافتراساتي.

ولقد تأثرت أفكارتي ورؤايتي بشأن الكذب كثيرا بردود أفعال الجمهور في الأماكن المختلفة التي تحدثت بها مثل: مجلس العلاقات الدولية في نيويورك، ومعهد سالتزمان لدراسات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا، ومؤتمر سنة 2004 للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، وندوة بجامعة مونتانا، ومركز براون للسياسة الدولية بجامعة بنسلفانيا، وقسم العلوم السياسية بجامعة MIT، وبرنامج سياسات الأمن الدولية بجامعة شيكاغو، وملتقى لون ستار للأمن القومي، وورشة عمل «الشمال - الجنوب» بإدارة أساتذة العلاقات الدولية بجامعة نورث ويسترن وجامعة شيكاغو.

عندما بدأت في ترتيب أفكارى حول الموضوع، استفدت كثيرا من ندوة غير رسمية مع خمسة من زملائي في جامعة شيكاغو: دونغ سن لي، وتاكا نيشي، وروبرت بيب، وسيباستيان روساتا، وجون شوسلر. وأجدي ممتنا جدا للتعليقات المهمة التي قدمها كل من أليكساندر داونز، وشون لين جونز، ومارك تراكنبرغ، وستيفين ولت، والذين تجدون بصماتهم منتشرة في كل الكتاب.

هناك شخصان آخران يستحقان كلمات شكر خاصة. ديفيد ماكبرايد، محرر الكتاب في دار جامعة أوكسفورد للنشر، إذ أدخل عددا من التعديلات المهمة ليظهر الكتاب بشكل أفضل. كذلك أقدر عالي التقدير حماسه العالية لفكرة الكتاب، مما سهل من عملية الانتهاء منه بالصورة المطلوبة. ولكن لا أحد كان في حماس ودعم وكيلي بيل كليخ، حيث لم يقتصر دوره على تشجيعي للانتهاء من الكتاب، ولكنه قدم استشارات حكيمة لا يمكن الاستغناء عنها خلال عملنا.

كما أنني أقدر عاليا الخبرة التحريرية لجيسيكا رايان وبن سادوك في دار نشر جامعة أكسفورد، واللذين ساعداني كثيرا في وضع المشروع على الجادة الصحيحة. كذلك فقد وصلتني تعليقات ممتازة ومقترحات من شخصين مجهولين قاما بالمراجعة للصحافة، وقائمة طويلة من الأفراد وبعضهم لم ألتق أيا منهم. ويتضمن هؤلاء، إيريك ألتمان، وستيفان أنسولابيهير، وروبرت آرت، وريتشارد بتس، وديفيد بلاغدن، وريسا بروكس، ومايكل إي براون، وجوناثان كافيري، وجوزيف سيرينسيوني، ومايكل ديش، ولويس ديسوي، ودانييل دريزنر، وديفيد إيديلستين، وفرانسيس غافن، وهابن غومانس، وتشارلز غليس، وإيميلي غولدمان، وجينيفر هوكتشيلد، وإيان هيرد، وروبرت جيرفس، وكايم كوفمان، وكريستوفر لين، وكير لير، وإيريك لوربر، وكارلو مسالا، ونونو مونتيرو، ومايكل أوكونر، وجوزف بارنت، وسوزان بيترسون، وآرند بلاغ، وإيريك بوزنر، وريتشارد بوزنر، وسينثيا روبرتس، ولورنس سامويلس، وديفيد شوارتز، وجاك سنايدر، وإيفان أريغوين - توفت، ومونيكا توفت، وبيتر توفت، وماثيو توبين، وستيفين فان إيفيرا، وإبراهام واغتر، وأليكساندر وندت، وجويل ويسترا. وأعتذر إن كنت قد نسيت أحدا.

أتوجه بخالص الشكر إلى كل من قدم يد المساعدة، حيث لم يكن في إمكانني كتابة هذا الكتاب من دون تلك المساعدة. وكلمات شكر خاصة إلى سيرج شميان،

## توطئة

الذي عرفني على موضوع الكذب الدولي وساعدني على التمعن فيه. وبالطبع، فإنني مسؤول عن كل خطأ أو تصورات غير صحيحة، ولكنني مدين للآخرين بكل ما يتضمنه الكتاب من بصيرة.

وختاماً، أتوجه بالشكر لعائلتي، وعلى الأخص زوجتي، باميلاً، والتي كانت عامل تشجيع لي في قضاء الساعات الطوال التي يستغرقها إنتاج كتاب عادة. وعلى أي حال، فقد استمتعت بالبحث والكتابة، ولكنها تصبح عملية أكثر سهولة، عندما يكون أكثر الناس المتضررين من انشغالك هم من يمنحك الدعم لتحقيق ما تصبو إليه. وعند الحديث عن الأسرة، أود أن أهدي هذا الكتاب لأولادي الخمسة الرائعين، آن وماكس ونيكولاس وجوليا وديفيد، والذين ظلوا مصدراً للسعادة والافتخار لما يزيد على ثلاثة عقود.



## المقدمة

أصر كبار المسؤولين في حكومة الرئيس بوش، والذين دفعوا الولايات المتحدة دفعا إلى غزو العراق قبل 19 مارس 2003، على أنهم متأكدون من امتلاك صدام حسين أسلحة دمار شامل. وادعوا أن مزاعمهم تلك تستند إلى أدلة قاطعة دامغة. كما ظل مؤيدو الحرب من خارج الحكومة يرددون تلك المزاعم مرارا وتكرارا، حتى تمكنوا من تشكيل جوقة من الأصوات المتشددة، التي أقنعت الشعب الأمريكي بضرورة نزع سلاح صدام والإطاحة به. فبموجب هذه الرؤية، تغدو الحرب على العراق حربا ضرورية، وليست حربا اختيارية. وكل من شكك في تلك المزاعم، كان يُوصَم بالتأكيد بأنه أبله أو ساذج، أو حتى بأنه غير وطني<sup>(\*)</sup>. وعندما انجلى الأمر،

(\*) بلغت الاتهامات بعدم الوطنية في الولايات المتحدة أوجها خلال ما عرف في فترة الخمسينيات بحقبة «المكارثية»، نسبة إلى عضو الكونغرس جوزيف مكارثي، الذي قاد حملة اتهامات شنيعة ضد من سماهم «الحمرة»، وصارت المكارثية مصطلحا يُقصد به توجيه اتهامات بالغيانة من دون دليل. وشملت تلك الحملة، التي سادت بين العامين 1950 و1956، آلاف الأمريكيين من العاملين في المجال العام والكتابة والفن وغير ذلك. [المترجم].

«إن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: الأكاذيب النبيلة»

واتضح أنه لا أسلحة دمار شامل في العراق، صار على أركان «حزب الحرب» أن يفسروا لماذا كانوا مخطئين في مزاعمهم بهذه الصورة، وكيف كان ممكناً أن يخطئ هذا العدد الكبير من الأشخاص الموقنين بقدرات صدام، وإلى هذا الحد؟

إحدى محاولات التبرير لهذا التخبط أُلقت باللوم كلياً على صدام، استناداً إلى أنه كذب على الأمريكيين وأوهمهم بأنه يملك أسلحة الدمار الشامل، وقالوا إنه فعل ذلك تحديداً بسبب خشيته من هجوم إيراني - أو حتى أمريكي - على العراق، لأنه أصبح في غاية الضعف، بعد هزيمته المدمرة في حرب الخليج في العام 1991، وبسبب الحصار المفروض عليه، ونظام التفتيش الذي فُرض بعد هزيمته. وللحيلولة دون تلك الهجمات المحتملة، كما تقول الرواية التبريرية، اختلق صدام رواية كاذبة ليوهم إيران وواشنطن بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وأنه على استعداد لاستخدام تلك الأسلحة دفاعاً عن بلده. وقد ساعده على ذلك موقف الأمم المتحدة التي لم تتمكن من تأكيد عدم امتلاكه للأسلحة، على الرغم من أنه لم تكن لديها أدلة قاطعة على وجودها.

ظهرت تلك الرواية بوضوح على صفحات ما عرف بـ «تقرير دولفر» الذي صدر في العام 2004 عن «مجموعة مسح العراق»، الفريق الدولي الذي تشكل من أكثر من ألف عضو من المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وبنيته التحتية، وقد ترأس تلك اللجنة تشارلز دولفر، المفتش السابق في العراق. ويقول التقرير، بعد وصف أنواع التهديدات التي تواجه العراق: «للتصدي لتلك التهديدات، استمر صدام في التظاهر بامتلاكه أسلحة دمار شامل»<sup>(1)</sup>. ومضى التقرير: «بينما يتضح أن العراق بحلول منتصف التسعينيات، كان في الواقع خالياً من مخزون لأسلحة الدمار الشامل، فإن دوافع صدام للتحايل حول امتلاكه تلك الأسلحة جعلت الإفصاح للمجتمع الدولي بأنه لا يملكها، وعلى الأخص لإيران، أكثر خطورة»، وقد كرر المقولة نفسها جورج تينيت<sup>(\*)</sup>، في مذكراته الصادرة بعنوان

(\*) شغل جورج تينيت منصب المدير العام للمخابرات المركزية الأمريكية من العام 1997 وحتى العام 2004، وتعتبر هذه الفترة ثانية أطول مدة يبقى خلالها المدير العام للمخابرات المركزية في منصبه، وهو يشغل الآن منصب المدير التنفيذي للبنك الاستثماري «أل أند كومباني». [المترجم].

## المقدمة

«في قلب العاصفة»<sup>(\*)</sup>، حيث قال: «لم تكن لدينا خبرة سابقة مع بلد آخر ليست لديه أسلحة دمار شامل، ولكنه يتظاهر بأنه يمتلكها... وقبل الحرب، لم نكن قد استوعبنا أنه كان يخدعنا»<sup>(2)</sup>.

ومع أخذ هذه المزاعم في الاعتبار، لا يوجد دليل في السجلات العامة على أن صدام حاول خداع العالم بشأن امتلاك العراق أسلحة دمار شامل. فتقرير دولفر، على سبيل المثال، لم يقدم أي دليل لدعم تلك المزاعم، ولم يقدم كتاب التقرير أي حقائق لدعمها، بل إن التقرير ذاته ألقى قدرا من الشكوك على هذه المقولة. فقد ورد فيه «أن صدام لم يطرح استخدام الخديعة كسياسة»، وأن أحد المقربين له ذكر أنه لم «يفصح بأنه كان يخدع العالم بخصوص وجود أسلحة دمار شامل»<sup>(3)</sup>، ولم يكن ذلك مفاجئا، نظرا إلى غياب الأدلة على أنه كان يخدع العالم، بل إنه ذكر في مناسبات عدة أنه لا يملك أسلحة دمار شامل، وكان يقول الحقيقة<sup>(4)</sup>.

من ناحية أخرى كانت حكومة الرئيس بوش قد أطلقت أربع أكاذيب رئيسة خلال تجهيزها للحرب على العراق سأناقشها بالتفصيل لاحقا، لكن دعوني أوجزها باختصار: لقد زعمت شخصيات بارزة في حكومة الرئيس بوش، كذبا، أنها متيقنة تمام اليقين، وبما لا يدع مجالا للشك، من أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل. وكذلك كذبوا في القول بأن صدام كان حليفا وشريكا لأسامة بن لادن، كما صرحوا عدة مرات بما يوحي بأن صدام متورط في تفجيرات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة، وأنه يتحمل قدرا من المسؤولية. وأخيرا زعم عدة أشخاص من الحكومة الأمريكية، ومن ضمنهم الرئيس بوش نفسه، أن خيار الحل السلمي لا يزال مفتوحا مع صدام، في حين أن قرار الحرب كان قد اتخذ مسبقا.

خلاصة القول أنه في حين أن صدام كان يقول الحقيقة حول عدم امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، قبل حرب العراق في العام 2003، كذبت القيادات العليا بحكومة الرئيس بوش حول ما كانت تعرفه عن أسلحة الدمار الشامل، كما أنها كذبت في أمور أخرى لا تقل أهمية. وقد يبدو هذا السلوك غريبا من الجانبين

(\*) George Tenet, *At the center of the Storm: My years at the CIA* (Harper Collins, 2007).

بعض الشيء، أو ربما صادما لبعض القراء. وقد يظن البعض أن هذه حالة غير عادية، ولكن هذا غير صحيح. فكلا الطرفين قد سلك طريقا متوافقا مع النتائج التي توصلنا إليها في هذا الكتاب. وبالتحديد، فقد توصلت إلى أن القادة لا يكذبون كثيرا على دول أخرى، ولكنهم بدلا من ذلك، يميلون إلى الكذب على شعوبهم. وسأشرح المقصود من ذلك.

على الرغم من أن الكذب يعد عملا مشينا في الحياة العادية، يبقى سلوكا مقبولا في السياسة الدولية، حيث تظهر في بعض الحالات مبررات إستراتيجية لكي يكذب القادة على دول أخرى، أو على شعوبهم. ومع ذلك لا يمارس الكذب بكثرة بين الدول. عندما بدأت بحثي هذا، كنت أتوقع أن أجد أدلة كثيرة ودامغة على كذب القادة والديبلوماسيين بعضهم على بعض، لكن سرعان ما اتضح لي أن تلك الفرضية غير صحيحة. فقد بذلت جهدا كبيرا كي أضع يدي على حالات الكذب في السياسة الدولية التي أناقشها في هذا الكتاب. القادة يكذبون على الدول الأخرى في حالات معينة، ولكن أقل بكثير مما كنت أتصور. وعليه، لم يكن مستغربا عدم كذب صدام حسين بشأن حيازته أسلحة الدمار الشامل قبل الحرب، من دون أن يعني ذلك بالطبع أنه لا يكذب في مواقف أخرى.

إضافة إلى ذلك، يبدو أن القادة أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم في شؤون السياسة الخارجية من كذبهم على الدول الأخرى، ويبدو أن هذا صحيح في الدول الديمقراطية والتي لديها سياسات خارجية طموحة، وتميل إلى شن حروب باختيارها، أي عندما لا يكون هناك خطر واضح يهدد مصالح البلد الحيوية ولا يمكن التعامل معه إلا بالقوة. وينطبق هذا الوصف بالطبع على الولايات المتحدة في السبعين سنة الأخيرة. لذا لم يكن مستغربا أن تكذب الشخصيات الرئيسية في الإدارة الأمريكية - ومن ضمنها الرئيس بوش - على الأمريكيين في الفترة التي سبقت حرب العراق. وبهذا يكون بوش قد اقتفى أثر الرئيس فرانكلين روزفلت، الذي كذب بخصوص الحادثة البحرية في العام 1941، سعيا وراء إدخال أمريكا في الحرب العالمية الثانية، والرئيس ليندون جونسون الذي كذب بخصوص أحداث خليج تونكين في صيف العام 1964، من أجل الحصول على دعم الكونغرس لشن حرب على فيتنام الشمالية.



من الضروري تأكيد أنه لا توجد حالة واحدة مما استعرضناه كذب فيها رئيس أو رجاله لتحقيق مكسب شخصي<sup>(\*)</sup>. كانوا يعتقدون أن دافعهم هو المصلحة الوطنية لأمريكا، غير أن ذلك لا يعني أنهم تصرفوا بحكمة. ولكن تظل الحقيقة الماثلة هي أن هناك أسبابا إستراتيجية تحمل القادة على الكذب على شعوبهم، وعلى الدول الأخرى. وهذا المنطق العملي يتجاوز دائما القيود الأخلاقية المعروفة ضد الكذب. وبالفعل، يعتقد القادة أحيانا أن عليهم مسؤولية أخلاقية للكذب لحماية بلادهم. وهم لا يكذبون دائما في قضايا السياسة الخارجية، ولكن أحيانا، عن قصد وتعمد، يقولون أو يوحون بأمور يعلمون أنها غير صحيحة. كما أن شعوبهم عادة لا تعاقبهم بسبب خداعهم، إلا إذا أدى ذلك الفعل إلى نتائج وخيمة. وعليه يبدو أن القادة والشعوب قد توصلوا إلى أن الكذب هو جزء لا يتجزأ من العلاقات الدولية.

أما بالنسبة إلى الشؤون الداخلية، فإن الكذب لا يعد أمرا مقبولا، إلا في حالات وظروف خاصة، مثل المساومة حول السعر عند شراء منزل أو بيعه، أو عندما يكون ضروريا لحماية شخص بريء من أذى دون وجه حق. كما يجيز أغلب الناس «الكذبة البيضاء» التي عادة ما تكون بين الأصدقاء، مثل المجاملات البسيطة عند قيام ضيوف بامتداح طعام رديء، أو عندما يكذب الآباء على أبنائهم من أجل حمايتهم. على أي حال، فإن هذه الأكاذيب البسيطة لا تسبب ضررا يُذكر، بل عادة ما تُلفق لمصلحة شخص ما<sup>(5)</sup>، إنها أكاذيب إثارية ولكن في العموم يعد تأثير الكذب مفسدا على الأفراد، ومن ثم على المجتمع الذي يعيشون فيه. لذا ليس بمستغرب أن يقول البعض الصدق حتى لو لم يكن لمصلحتهم<sup>(6)</sup>. وهنا نحن لا ننفي أن هناك عددا كبيرا من الأكاذيب غير المقبولة في كل مجتمع. ولكن كلما قلت الأكاذيب، كان الوضع أفضل<sup>(7)</sup>. لذا من المفيد ألا يشجع المجتمع على الكذب، بل يحاربه.

ويبدو لنا أن هناك تفسيراً بسيطاً للتباين في وجهات النظر المتعددة تجاه الكذب المحلي والكذب الدولي. إن المسؤولية الأولى والعليا على عاتق الرئيس هي الحفاظ على بلاده وبقاؤها. ولكن الدول تعمل في نظام فوضوي، حيث لا وجود

(\*) بالطبع مسألة المكسب الشخصي خاضعة للنقاش، فأحيانا يكون خوض المعارك أو التلويح بها ليس سوى أداة للبقاء في السلطة، أو زيادة الهيمنة من قبل هذا القائد أو ذاك، وهي ليست بالوضوح والحمية التي توصل إليها المؤلف. [المترجم].

لسلطة يمكن اللجوء إليها في حال تعرضها لتهديد حقيقي من دولة أخرى. ففي السياسة الدولية القاسية، ليس هناك خط هاتف ساخن للاتصال لإنقاذ الدولة، وحتى إن وجد هواتف للاستغاثة، فلن يكون أحد على الطرف الثاني للرد. لذلك يدرك القادة وشعوبهم جيدا أن الدول تعيش في عالم يعتمد منطق «ساعد نفسك بنفسك»، مما يضطرهم إلى فعل كل ما هو ممكن لتحقيق أمنهم واستقرارهم. فإن كان هذا يعني الكذب والغش، فلا بأس من ذلك. فالسياسة الدولية، بمعنى آخر، هي عبارة عن مضمار عادة ما تُكسر فيه القواعد، وتتخالف النظم واللوائح، من دون عقاب. ولا يعني هذا أن قادة الدول متحمسون لقول الكذب، أو إنكار أن الكثير من القادة يفضلون أن تصبح الحلقة الدولية محكومة بمبادئ أخلاقية محددة وواضحة المعالم. ولكن ذلك غير واقعي في غياب بنية سيادية متفق عليها تتولى فرض تلك المبادئ.

في مقابل النظام العالمي، فإن البناء الهيكلي للدولة هرمي وليس فوضويا<sup>(8)</sup>. ففي الدولة المنضبطة، هناك سلطة عليا - الدولة ذاتها - والتي يلجأ إليها الأفراد لتوفير الحماية لهم. وعليه، فإن الدوافع التي تجعل الدول تغش وتكذب، في تعاملها مع دول أخرى لا تنطبق على الأفراد داخل الدولة. بل إن انتشار الأكاذيب داخل دولة ما، قد يدمر كيانها ويضعف من استقرارها وأمنها الداخلي. فلا يمكن للدولة أن تستمر بكفاءة وفعالية، إذا ظل أفرادها يكذب بعضهم على بعض طوال الوقت، كما يمكننا محاربة الكذب من منطلق أخلاقي داخل الدولة، حيث يعيش غالبا مجتمع واضح المعالم، وهو ما لا ينطبق على السياسة الدولية، وقد أوضح ذلك توماس هوبز<sup>(9)</sup> في كتابه الشهير «اللفيثان» (Leviathan) حيث قال: «قبل أن يوجد مكان لكلمات العدل والظلم، قبل أن يسبقها وجود قوة قاهرة تجبر الرجال سواسية على إنجاز عهودهم... حيث لا توجد ثروة عامة، لا شيء يكون ظالما»<sup>(9)</sup>.

إذن، الكذب هو نوع من أنواع الخداع، ولكن ليس كل الخداع هو بالضرورة كذب. فللخدعة نوعان آخران وهما الإخفاء (الكتمان) والتلفيق. وعلى عكس

(\*) توماس هوبز، من أبرز فلاسفة ومنظري علم السياسة الإنجليز لحقبة القرن السابع عشر، ويعرف بإسهاماته الكبيرة في تطوير علم السياسة، كما أنه من منظري نظرية العقد الاجتماعي التي تعد الأساس لأغلب الإنتاج العلمي والفكري الغربي في الفلسفة السياسية. [المترجم].

الكذب، ليس مطلوبا من أي منهما قول عبارة كاذبة، أو رواية قصة ليست حقيقية. ولكن الإخفاء والتلفيق لا يعينان كذلك قول الحقيقة.

هذان نوعان من الخداع نجدهما في كل مناحي الحياة اليومية تقريبا، ونادرا ما يثيران اعتراضا عليهما<sup>(10)</sup>. فعلى سبيل المثال، عندما يتقدم شخص إلى المقابلة للحصول على وظيفة، فمن المقبول أن يلفق سيرته الذاتية لتوائم تلك الوظيفة، فيحذف أحيانا ويضيف وفق ما يراه مناسباً<sup>(11)</sup>. وفي عالم السياسة نجد الأرض خصبة لاستعمال الإخفاء والتلفيق. فيستطيع الرئيس أن يصور الاقتصاد الأمريكي برواية وردية تبرز الجوانب الإيجابية، ويقلل، بل ربما يتجاهل الجوانب السلبية، وفي المقابل فإنه يحق لشخص من الحزب المعارض أن يفعل العكس تماما. ولكن من غير المسموح لكليهما أن يكذبا لإثبات القضية. فضبط أي منهما متلبسا بالكذب في الأغلب سيسبب ضررا سياسيا كبيرا.

بيد أن ذلك لا ينطبق على حالة السياسة الخارجية. فنادرا ما يتعرض القادة والديبلوماسيون للعقاب حين يكذبون، وخصوصا عندما يفعلون ذلك تجاه شعوب أخرى. وربما يكون الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة حين يصبح معلوما أن القائد قد كذب على شعبه بخصوص سياسة فاشلة أضرت بالمصلحة الوطنية. ولكن حتى في هذه الحالة، الغضب الشعبي على القائد، كان بسبب فشل السياسة المتبعة، وليس لأنه كذب عليهم. لذلك فمن غير المحتمل أن يدفع القائد الذي يكذب على شعبه بخصوص سياسة معينة ثمنا سياسيا إن نجحت تلك السياسة في تحقيق أهدافها. فعندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية، فإن النجاح يغفر الكذب، أو على الأقل يجعله متقبلا.

خلاصة القول، إن الإخفاء والتلفيق هما سلوكان مقبولان ومشروعان بشكل عام، سواء على المستوى المحلي أو على مستوى السياسة الدولية. ولكن الكذب مسألة أخرى<sup>(12)</sup>. الكذب غير مقبول في كل مناحي الحياة، إلا في السياسة الدولية، حيث يتم التعامل معه على أنه أمر مؤسف، ولكنه ضروري أحيانا.

## المهمة المطلوب إنجازها

تتوافر عن الكذب كتابات كثيرة وغزيرة، بيد أننا بالكاد نجد منها ما يعالج بوضوح مسألة الكذب في السياسة الدولية. أحد الاستثناءات المميزة في هذا

الصدد هو كتاب «عندما يكذب الرؤساء: تاريخ الخداع الرسمي وعواقبه» لإيريك ألترمان<sup>(\*)</sup>، والذي يزودنا بسياق ممتاز عن الكذب الرئاسي خلال السبعين سنة الماضية<sup>(13)</sup>. غير أن ألترمان ليس متخصصا في العلوم الاجتماعية، ولم يكن يحاول أن يخلق نظرية في الكذب الدولي. كما لم يفعل أحد آخر ذلك. ولربما يقول قائل إن هنالك دراسات عديدة عن الخداع بين الدول. وفي حين أن هذا الأمر صحيح، فإن تلك الدراسات لا تميز بين الإخفاء والكذب والتلفيق، والأهم من ذلك لا نجد من تلك الكتابات ما يركز على الكذب، ويحاول أن يطور مقاربات عامة حول ذلك السلوك تحديدا. لذا فإن الهدف الأساس لهذا الكتاب هو ملء ذلك الفراغ، من خلال التأسيس لنظريات في الكذب السياسي الدولي، وليس معالجة مفهوم الخداع بمعناه العام.

وعلى المستوى العام، فمن الممكن التفكير في الكذب إما من منظور مطلق وإما من منظور نسبي. فأصحاب المذهب المطلق، أمثال إيمانويل كانت<sup>(\*\*)</sup> وأوغستين<sup>(\*\*\*)</sup> يعتبرون أن الكذب دائما خطأ، ومن النادر أن تكون له جوانب إيجابية. فالكذب وفق كانت، يمثل «أكبر انتهاك يرتكبه الإنسان في حق نفسه»<sup>(14)</sup>. أما المنفعيون في الجانب الآخر، فإنهم يرون أن الكذب يكون منطقيا في بعض الأحيان، لأنه يحقق غرضا اجتماعيا مفيدا، ولكنه لا يحقق تلك الفائدة في أحيان أخرى. ولعل النقطة الأساسية هنا تحديد متى وكيف تتحقق تلك المنفعة.

وقد نظرت إلى الكذب الدولي من وجهة نظر نسبية بحتة، وذلك لوجود أسباب قوية لتبرير ذلك، ولم يكن مستغربا أن نجد أكثرها في السجلات التاريخية. ويعتقد الكثيرون أن هناك ظروفا في السياسة الدولية يكون فيها الكذب مفيدا. بيد أن هذا لا يعني بالطبع أن ننكر البعد الأخلاقي لهذه الظاهرة. على أي حال، فإن هذه المهمة تتطلب منا الأخذ في الاعتبار جملة من الحسابات المختلفة والاعتبارات التي تقع خارج نطاق هذا الكتاب.

(\*) Eric Aherman, *When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences* (Viking Adult, 2004).

(\*\*) إيمانويل كانت، من أبرز فلاسفة ألمانيا للقرن الثامن عشر، ويعتبر من آخر فلاسفة عصر التنوير، ركز كانت على نظرية المعرفة، وأكثر أعماله شهرة كتاب «نقد العقل المجرد» الصادر في العام 1781. [المترجم].

(\*\*\*) أوغستين، لاهوتي وفيلسوف من القرن الخامس، وقد طورت كتاباته الفلسفة الغربية إلى حد كبير. [المترجم].

وعلى وجه العموم، فإن القادة يكذبون دوليا لسببين مختلفين. فهم قد يكذبون خدمة للمصلحة الوطنية. وهذا ما يعرف بـ «الكذبة الإستراتيجية» والتي عادة ما يستخدمها القادة ذريعة للحفاظ على مصلحة بلدانهم في وجه التقلبات السياسية مع الغير. كذلك، فإن القادة يكذبون «أكاذيب شخصية أنانية»، لا علاقة لها بمصلحة الدولة، ولكنها موجهة للحفاظ ولحماية مصالحهم الشخصية أو مصالح أصدقائهم. غير أن اهتمامي في هذا الكتاب ينصب على الكذب الذي يطلقه القادة لأجل المصلحة العامة، وليس لأجل مصالحهم الشخصية. وعليه فإنني عندما أستخدم عبارة الكذب الدولي، فإنني أعني بها الكذب الإستراتيجي وليس الكذب للمصلحة الشخصية<sup>(\*)</sup>.

ويرتكز التحليل التالي على أربعة أسئلة. أولا، ما أنواع الأكاذيب الدولية التي يطلقها القادة؟ ثانيا، لماذا يكذبون؟ وما المبررات المنطقية الإستراتيجية وراء كل نوع من أنواع الكذب؟ وبالتحديد، ما المنافع المحتملة للكذب التي دفعت القادة إلى الدخول في مثل هذا السلوك المشين؟ ثالثا، ما الظروف التي تجعل من حدوث أي نوع من الكذب أكثر أو أقل احتمالا؟ رابعا، ما التكاليف الكامنة للكذب، وما مدى تأثيرها في السياسة المحلية للدولة وكذلك سياستها الخارجية؟ وبعبارة أخرى، ما الجانب السلبي للكذب الدولي؟ وبالتالي سأنتقل إلى المنافع والأضرار الناتجة عن الأكاذيب المختلفة التي يطلقها رجال الدولة والديبلوماسيون بعضهم على بعض وعلى شعوبهم أيضا. غير أنني في المقابل لن أتطرق إلى السؤال المهم، وهو متى يمكن للكذبة أن تحقق الهدف المطلوب من إطلاقها؟ وذلك لأنني لم أتمكن من الحصول على إجابة شافية وكافية.

أحاول الإجابة عن تلك الأسئلة من خلال أطر تحليلية بسيطة، تستند إلى المؤلفات النظرية في العلاقات الدولية، وكذلك إلى الأدبيات الكثيرة عن الكذب. كما حاولت أيضا أن يكون نقاشي للموضوع منطقيا ومقبولا، وقد اعتمدت على إبراز البراهين التاريخية لإثبات ذلك. بيد أنني لم أختبر فرضياتي المختلفة لترتيب الدلائل بشكل منظم. فهذه المهمة، هي أوسع من نطاق هذا الكتاب، الذي يتركز همه في

(\*) أخذا في الاعتبار أن المؤلف يركز منهجيا على الكذب الإستراتيجي، غير أنه من الصعوبة بمكان الجزم بأن كذبة ما قد أطلقت لأسباب إستراتيجية، حيث من الممكن أن يكون شكلها الظاهري إستراتيجيا بينما حقيقتها شخصية. [المترجم].

توفير أطروحة نظرية عن الكذب في الإطار الدولي. وأتمنى أن يقوم باحثون آخرون بفحص واختبار ما عرضته في الصفحات التالية بصورة منهجية.

### المقاربات الرئيسية وخريطة الطريق

سوف أطرح كثيرا من المزاعم في تحليلي التالي، غير أن خمسة منها تتقدم على غيرها. أولها، أن الكذب الدولي يأتي بأشكال كثيرة، لكن أهمها التمييز بين الكذب بين الدول، والكذب الذي يطلقه القادة على شعوبهم.

ثانيها، أن القادة عادة ما يطلقون أكاذيب دولية لأسباب إستراتيجية منطقية، لا لأنهم ضعفاء أو فاسدون. وحتى لا يُساء الفهم، فإنني هنا لا أقول إن الكذب فضيلة عظيمة، أو أن الإكثار من الكذب على الساحة الدولية يعد أفضل من التقليل منه. ولكن ما عينته هو أن الكذب أحيانا يكون وسيلة مفيدة للدولة في عالم تتجاذبه المخاطر. حقيقة الأمر هي أن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: «الأكاذيب النبيلة».

فمثلا، كذب الرئيس فرانكلين روزفلت على الشعب الأمريكي فيما يخص الهجوم الألماني على السفينة البحرية الأمريكية (Greer) في أغسطس من العام 1941. كان حينها يحاول إدخال الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا النازية، والتي بدا أنها كانت في طريقها لغزو أوروبا بأجمعها. كانت مقاصد روزفلت صحيحة، وكان مناسباً بالنسبة إليه أن يكذب في تلك الحالة.

أما ثالث المزاعم، ففي حين يبدو أن الكذب يشكل مظهرا ثابتا بين الدول، فإنه لا يمارس بشكل اعتيادي. ففي نقاشي للكذب بين الدول، في الفصل الثالث، أعرض لحالات كثيرة نجد فيها الحكام يكذبون على دول أخرى غير دولهم. وقراءة هذا الفصل قد توحى للقارئ بأن الكذب بين الدول هو سلوك روتيني يمارس بشكل اعتيادي لدى رجال الدولة والديبلوماسيين. غير أنني وجدت صعوبة في العثور على حالات تؤكد ذلك. علاوة على ذلك، فإن الفصل الثالث قد شمل كل الحالات التي استطعت الحصول عليها. وقد أثار استغرابي مدى الصعوبة التي واجهتني في العثور على الدليل لإثبات محاولات خداع الدول بعضها لبعض في حالات التفاوض<sup>(15)</sup>. في الحقيقة، يبدو أن الحكام أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم مما يكذبون على الدول المنافسة. ويظهر هذا بالأخص في الدول الديموقراطية مثل الولايات المتحدة.

رابعاً، من أخطر أنواع الكذب الدولي ذلك الذي يطلقه الحكام على شعوبهم. وفي الأغلب يعود ذلك الكذب بالضرر على موقف الدولة الإستراتيجي أكثر مما يسببه كذب الحكام على دول أخرى. كذلك فإنه على الأرجح يفسد ويعكس صفو الحياة الاجتماعية - السياسية داخل الدولة، مما يكون له أثر سلبي في الحياة اليومية. خامساً، وبسبب أن أمريكا دولة بالغة القوة، ومنغمسة بثقلها في أنحاء العالم، يواجه قادتها أحياناً كثيرة مواقف صعبة يكون فيها الحافز على الكذب قويا جداً، سواء على الدول الأخرى أو على الشعب. وهذا ما يدعو إلى القلق الشديد، إذ إن الكذب الدولي قد تكون له عواقبه السلبية والوخيمة، وخصوصاً على ديموقراطيات مثل الولايات المتحدة.

يتكون الكتاب من تسعة فصول، أبدأها بتعريف الكذب والنوعين الآخرين من الخداع وهما: الإخفاء والتلفيق. ويتناول الفصل الثاني: قائمة بالأكاذيب الدولية. وقد فرقت بين الكذب الإستراتيجي والكذب الشخصي، وأوضحت لماذا سيكون التركيز على النوع الأول. وفي الفصول الخمسة التالية، أمعنت النظر في تفاصيل كل نوع من أنواع الأكاذيب الإستراتيجية، والمنطق وراء كل واحد منها، والاحتمال في وقوع أو عدم وقوع الكذبة. وفي الفصل قبل الأخير، تناولت السلبيات والأضرار التي قد تنتج من الكذب الدولي. كما عمدتُ إلى تقويم أي من تلك الأكاذيب قد يحدث أفعالاً ارتدادية عكسية قد تضر بالسياسة الخارجية للدولة، وأي من تلك الأكاذيب قد يؤثر سلباً في الجبهة الداخلية. وينتهي الكتاب بنقاش قصير بشأن معنى كل هذا الجدل بالنسبة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، والولايات المتحدة ذاتها بصورة عامة.





## ما الكذب؟

قبل تعريف الكذب والتلفيق والتكتم (الإخفاء)، حريُّ بنا أن نعرّف الخداع، العنوان الشامل الذي يتضمن السلوكيات الثلاثة المذكورة. كما يجدر بنا أيضا أن نعرّف قول الصدق، وهو السلوك المضاد لمفهوم الخديعة. فقول الصدق هو أن يعرض الفرد الحقائق على أتمّ وجه وبطريقة مباشرة وأمينة. كل منا لديه قدرات متباينة ومحدودة في معرفة تفاصيل مجريات حادثة ما وتحيزاتها أيضا. كذلك فإن الذاكرة قد لا تسعف الإنسان، مما يجعل من المستحيل استعادة كل واقعة يعرفها الإنسان حين روايته الحادثة. بيد أن النقطة الأساسية هنا هي أن الراوي الصادق يبذل جهدا حقيقيا للتغلب على أي تحيزات أو نوازع شخصية ربما تكون كامنة لديه ليروي الوقائع ذات الصلة بصورة منطقية وعادلة قدر الإمكان.

«إن الكذب والتلفيق وإخفاء المعلومات هي كلها من أنواع الخديعة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق.»

على العكس من ذلك، نجد الخديعة هي أن يتخذ الفرد، بطريقة مقصودة، خطوات متعمدة لمنع الآخرين من معرفة الحقيقة كاملة - كما يفهمها هو - بخصوص أمر محدد. بمعنى آخر، أن يكون الهدف المخطط له، هو عدم إيصال رواية مباشرة أو وصف شامل للأحداث.

أما الكذب، فهو عندما يتحدث الإنسان بمقولة يعرف أو يشك في عدم صحتها، ولكنه يأمل أن يظن الآخرون أنها حقيقة. فالكذب هو فعل مخطط لخداع جمهور معين. وقد يتضمن الكذب تأليف حقائق يدرك مؤلفها أنها غير حقيقية، أو إنكار حقائق يعرف أنها صحيحة. غير أن الكذب لا يتعلق فقط بمدى صدق حقائق معينة، بل يمكن أن يكون عن طريق ترتيب الأحداث بطريقة خادعة ماكرة لتحكي قصة خيالية<sup>(1)</sup>. وفي هذه الحالة، يقود الكاذب المستمع إلى خلاصة خاطئة، من دون التصريح بوضوح بتلك الخلاصة.

وبالطبع، هناك احتمال دائم ألا يكون الشخص الذي يظن أنه يطلق الكذبة على علم بالحقائق، فينتهي به الأمر إلى قول الحقيقة بطريقة غير مقصودة. كما يمكن أن يكون العكس أيضا صحيحا: شخص يعتقد أنه يقول الصدق، ولكن الحقائق التي بين يديه تكون خاطئة. وعلى أي حال نحن غير معينين بهذه النقطة، وهي خارجة عن الهدف الأساس للكتاب، فاهتمامي ينصب تحديدا على ما إذا كان شخص ما صادقا - يقول الحقيقة، أو يروي حكاية يعتقد أنها صحيحة - وليس على صحة أقواله من عدمها. بعبارة أخرى، فإن اهتمامي منصب على الصدق، لا على الحقيقة<sup>(2)</sup>.

أما التلفيق، فيختلف عن الكذب، وإن كان التمييز بينهما ضابيا في بعض الحالات. التلفيق هو حين يروي شخص ما حكاية يركز فيها على أحداث معينة، ويربط بعضها ببعض بطريقة تصب في مصلحته، بينما يقلل من أهمية حقائق أخرى أو يتجاهلها. فالتلفيق هو عرض الأحداث المعروفة بصورة معينة تخدم مصلحة الفرد المعني. في حالة التلفيق، لا تبذل أي محاولة لتقديم عرض وافي للأحداث، فالقصة المروية هنا مشوهة، لكنها ليست كذبة. إنه نوع من المبالغة أو التشويه. وقد استطاع تايفر وودز<sup>(\*)</sup>، القبض على جوهر هذا المعنى في مقابلة

(\*) تايفر وودز، لاعب الغولف الأمريكي. [المترجم].

أجرتها معه مجلة «سبورتس إستريتد» في العام 2000، حين قال «تعلمت أنه بإمكانك دائما أن تقول الحقيقة، ولكنك لست ملزما بقول الحقيقة كلها»<sup>(3)</sup>.

ما يحصل عادة في أروقة المحاكم الأمريكية يعطينا توضيحا كاملا للفرق بين الكذب والتلفيق. فعندما ينادى على أحد الشهود، عليه أن يؤدي القسم بأن يقول «الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة»، وبعدها يُسأل عدة أسئلة من المفترض أن يجيب عنها بكل صدق. والشخص على منصة الشهود قد يكذب، ولكن النقطة الأساسية هي أن عليه، بموجب القانون، أن يدلي بما يعتقد أنه حقيقة. وفي المقابل يكون الهم الأكبر بالنسبة إلى محامي الدفاع أو الادعاء هو كسب القضية، وليس التأكد من الحقيقة الكاملة في النزاع. وعليه فإن كلا منهما يبدأ مرافعته وينتهي بتلفيق الأحداث والحقائق بعضها مع بعض بطريقة براقة تعطيه الأفضلية. وبالتالي يروي المحاميان المتنافسان قصتين مختلفتين، ولكن من غير المسموح لأي منهما أن يكذب. فنقابة المحامين الأمريكية، على سبيل المثال، تشترط في لائحتها السلوكية أنه «من غير المسموح للمحامي أن يدلي عن علم ببيان كاذب أمام المحكمة»<sup>(4)</sup>. أما التلفيق، فليس مسموحا به فقط، بل إن المحامين يعتمدونه بشكل روتيني لمصلحة موكلهم.

النوع الثالث من الخديعة هو الكتمان أو الإخفاء أو التستر، وهو يتعلق بحبس الحقائق وإخفائها حتى لا تؤثر في موقف الفرد. وفي هذه الحالة يلتزم الفرد الصمت ببساطة لأنه يريد إخفاء الحقيقة عن الغير. أما إذا سئل سؤالاً عن القضية وكذب لإخفاء الحقيقة فإن هذا يطابق تعريفنا للكذب. وأحد الأمثلة الجيدة على الإخفاء تمثل في قرار حكومة الرئيس بوش عدم إبلاغ الشعب الأمريكي قبل بدء حرب العراق في مارس 2003 أن شخصيتين مهمتين في تنظيم القاعدة - هما خالد شيخ محمد وأبو زبيدة<sup>(\*)</sup> - قد أفادا المحققين الأمريكيين، كل منهما على انفراد، بأن أسامة بن لادن قد فكر في عقد تحالف مع صدام حسين ضد أمريكا، ولكنه في آخر الأمر عدل عن ذلك<sup>(5)</sup>. فلو كشفت هذه الحقائق للشعب الأمريكي، لكانت قوضت مزاعم

(\*) خالد شيخ محمد هو أحد الشخصيات البارزة في تنظيم القاعدة، ويتهم بأنه كان العقل المدبر وراء اعتداءات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة. وقد ألقى القبض عليه في باكستان في مدينة روالبندي في مارس 2003، وسُلم إلى أمريكا، وهو موجود الآن في معتقل غوانتانامو. أما أبو زبيدة، وهو زين العابدين محمد حسين، فيشار إلى أنه سعودي من أصل فلسطيني. اعتقل في مارس 2002 في باكستان، وسُلم إلى أمريكا، وهو معتقل حاليا في غوانتانامو. [المترجم].

حكومة بوش عن تعاون أسامة بن لادن وصدام، وهي معلومة كان لها أثر كبير في الحصول على دعم شعبي ونيابي للحرب. هذا بالطبع سلوك مخادع، ولكنه ليس كذبا، على الأقل بالنسبة إلى تعريفنا للكذب، لأنه لم يتخذ خطوات فعلية لخداع أحد<sup>(6)</sup>. باختصار، عندما يلقى الفرد قصة أو يخفي حقائق ويكتمها، فإنه لا يكذب، ولكنه في الوقت نفسه لا يكون صادقا تماما<sup>(\*)</sup>.

ويعتبر الكذب، كما أكدت سابقا، تصرفا مشينا ومستنكرا، في حين أن البعض يعتقد أن الكتمان والتلفيق شيء مقبول، على الرغم من أن السلوكين قُصد بهما الخديعة. وهناك سبب محتمل للتمييز بين السلوكين، وهو أنه من الصعب جدا رصد الكذب والحماية منه، كما هي الحال مع الكتمان والتلفيق. فالكاذبون يطلقون مزاعم باطلة بطريقة منظمة ومحكمة بهدف ألا يُشك في مصداقيتها. والكاذبون المحترفون يعرضون مزاعمهم بقوة وبثقة عالية، مما يجعل من الصعب على الجمهور أن يكتشف الخديعة.

أما في حالة التلفيق، فيستطيع الجمهور أن يعرف أن الصورة التي أمامه غير مكتملة وغير واضحة، فيعالج الخلل بملاء الفراغات في الرواية. تحديدا، يستطيع الجمهور أن يقارن بين قصة الملقق والدوافع الخفية التي جعلته يتجاهل ذكر بعض الأحداث بينما يتحفظ عن البعض الآخر. فإن كان هناك شك ما في القصة، فيمكن للجمهور أن يطالب بمعلومات إضافية، أو يجري بحثا يتحقق من خلاله من الصورة الكاملة، أو يستمع إلى طروحات ملفقين معارضين آخرين، وغالبا ما توجد منهم أعداد ليست بالقليلة، وبالذات حين يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية.

يستطيع الجمهور أن يحمي نفسه بطريقة معقولة ضد الكتمان. وعلى الأخص يمكن دائما السؤال عما إذا كانت هناك معلومات إضافية عن أمر محدد، وبالتالي توقع الحصول على إجابة حقيقية. غير أننا لا نستطيع تجاوز حقيقة أن الجمهور المعني هنا قد لا يكون ملما بكل القضايا المرتبطة بالموضوع. فأحيانا لا يعلم الإنسان أنه لا يعلم فلا يستطيع أن يحدد أي سؤال يسأل.

(\*) هناك أيضا مقولة مشهورة في أروقة السياسة البريطانية، حيث يقول السياسي عند اتهامه بالكذب «إننا لا نكذب ولكننا نقتصد في قول الحقيقة». ويرجع القول إلى السياسي البريطاني إدموند بورك (1796). كما توجد مقولة أخرى أيضا في الوسط السياسي: «أفضل طريقة للكذب المشروع هي أن تقول نصف الحقيقة». [الترجم].

وتأكيد على أن الكذب يعتبر سلوكا مشينا، لأنه يصعب رصده واكتشافه، دعونا نأخذ أمثلة من حياتنا اليومية، حيث يعتبر فيها الكذب تصرفا مقبولا: ففي المجال التجاري مثلا، عادة ما يتفاوض البائع والمشتري للوصول إلى سعر متفق عليه لسعة ما كعربة أو منزل مثلا، من المسموح لكل منهما أن يكذب على الآخر بشأن «السعر التحفظي»، وهو أدنى أو أعلى سعر يقبل به البائع أو المشتري. ويعرف كلاهما أن الكذب - والتعبير الملتف هنا هو «التحايل» - هو جزء من اللعبة، لذلك، لا أحد من الطرفين امتاز على الآخر فيما يخص سعر الشراء أو البيع. في الحقيقة نحن نتحدث هنا عن معركة عادلة متكافئة، حيث لا يدعي أحد أنه قد خُدع من الطرف الآخر. ليس بالأمر المستغرب ألا يعتبر الكذب حول «السعر التحفظي» سلوكا معيبا أو مشينا. ويمكن للفرد أن يقول إن هذا النوع من التحايل لا يعد كذبا، وكما يرى السياسي البريطاني هنري تايلور: «لا يصبح الكذب كذبا عندما يكون معلوما لجميع الأطراف أن قول الصدق غير متوقع»<sup>(7)</sup>. وبالطبع أنا لا أتفق مع هذا المنطق، فالبائع والمشتري لا يقولان الحقيقة بقصد متعمد لخداع الطرف الآخر، وهذا هو جوهر الكذب.

خلاصة القول أن الكذب والتلفيق وإخفاء المعلومات هي كلها من أنواع الخديعة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق. وسيتمحور النقاش التالي حول كيفية استخدام الكذب لخداع الآخرين في مجال السياسة الخارجية. ولكن على أرض الواقع، تشمل حملات الخديعة بطريقة متباينة كلا من التلفيق والكتمان وكذلك الكذب. وفي الحقيقة، فإن العار الذي يلحق بالكذب بجميع أنواعه، يجعل القادة الذين يظنون أن لديهم الأسباب المنطقية التي تدفعهم إلى خداع الدول الأخرى، أو خداع شعوبهم، يفضلون التلفيق والكتمان على الكذب الصريح. فلا أحد يفضل وصفه بالكاذب، حتى لو كان القصد من الكذب أهدافا نبيلة. وربما يعود ذلك إلى أنه من الصعب أن يكذب الإنسان من دون اكتشاف كذبه وإدانتها بها. وبالطبع، فإن القادة أحيانا يبررون ذلك بأنهم مضطرون ولا خيار لهم إلا الكذب لمصلحة بلدانهم. وبصورة عامة، فإن الكذب يكون الخيار الأخير للقادة الذين يسعون إلى خداع دولة أخرى.

دعونا الآن ننظر في أنواع الكذب في السياسة الدولية.



## قائمة بالأكاذيب الدولية

في مضمار السياسة الدولية، بإمكان القادة أن يخلطوا سبعة أنواع من الأكاذيب. ولكل نوع من تلك الأكاذيب غرض محدد، وإن كان من الممكن أن تؤدي كذبة واحدة أغراضا متعددة. فعلى سبيل المثال، الكذبة التي يطلقها قائد لشعبه بخصوص تهديد خارجي محتمل، للحصول على دعم شعبي للتصدي للتهديد (إثارة الذعر)، من الممكن أن تحيي الروح الوطنية في البلاد، من خلال تصوير العدو بطريقة سلبية جدا (خلق الأساطير القومية). وهذا النوع من الأكاذيب، تحديدا، يوجهه صانعو القرار السياسي لشعوبهم، ولكن الأكاذيب يمكن أن توجه أيضا إلى الدول المعادية، كما يمكن أن توجه إلى الدول الصديقة. ولكن الكذبة التي توجه إلى أي من هذه الجماهير، ستصل بالضرورة إلى الأطراف الأخرى، مما قد يجعل لها آثارا إيجابية أو سلبية.

«عادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع»

توجه الأكاذيب بين الدول مباشرة إلى الدول الأخرى إما لتحقيق تفوق إستراتيجي، وإما للحيلولة دون تحسن وضعها على حساب وضع الدولة الكاذبة. وعادة ما يوجه هذا النوع من الكذب إلى الدول المنافسة، بيد أن الدول تكذب أحيانا على حلفائها. وعادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع.

يظهر أسلوب «إثارة الذعر» عندما يكذب قائد ما على شعبه بشأن قضية سياسة خارجية بخصوص تهديد يواجهه البلد، معتقدا أن شعبه لا يعطي ذلك التهديد حقه. والقصد من ذلك هو دفع الشعب لكي يأخذ التهديد بصورة جدية، وتقديم التضحيات للتصدي له. لا يلجأ القادة هنا إلى إثارة الذعر، لأنهم أشرار، أو لتحقيق مكاسب شخصية، لكنهم يضحون تهديدا معينا في سبيل المصلحة الوطنية.

أما «التغطيات الإستراتيجية» فهي أكاذيب تهدف إلى إخفاء سياسات فاشلة، أو سياسات مثيرة للجدل، عن الشعب، وأحيانا عن دول أخرى كذلك. ولا يطلق القادة هذه الأكاذيب لحماية غير الأكفاء الذين فشلوا في عملهم، أو لإخفاء سياسات غيبية - وإن كان من الممكن أن يتحقق ذلك كنتائج غير مقصودة. بل الهدف هنا هو حماية الدولة من الأذى. على سبيل المثال، يعتبر الكذب حول ضعف قدرات الجيش في حالة الحرب مهما للحفاظ على تماسك وتضامن الجبهة الداخلية، والذي ربما يشكل الفرق بين النصر والهزيمة.

أما «صناعة الأساطير القومية»، فهي حين يطلق القادة الأكاذيب، بشكل أساسي لشعبهم، حول ماضي دولتهم<sup>(1)</sup>. فنجدهم يروون قصة يكون فيها «نحن» دائما على حق، و«هم» دائما على خطأ. وتفعل النخبة ذلك عن طريق إنكار أن دولتهم، أو مجموعتهم العرقية، قد اقترفت ما اقترفته في الواقع، أو ادعاء قيامهم بأشياء لم يقوموا بها أصلا. وبالطبع، تطلق تلك النخبة ذاتها أكاذيب مشابهة بحق المجموعات المعادية أو المنافسة لها. الهدف هنا هو إيجاد حس قوي بالهوية الجماعية بين المواطنين في العموم، لأن ذلك مهم في بناء الدولة القومية والمحافظة عليها، ولتشجيع الناس على القتال في الحروب لأجل وطنهم. وأحيانا تساعد هذه الأساطير الدول على تحقيق شرعيتها بين الدول الأخرى.



وتصمم «الأكاذيب الليبرالية»، للتغطية على سلوك يتناقض مع منظومة المبادئ المتعارف عليها بشكل واسع في أنحاء العالم، والتي تمثل العمود الفقري للقانون الدولي. فالدول بجميع أشكالها ونظمها السياسية، بما في ذلك الأنظمة الليبرالية الديمقراطية، تتصرف أحيانا بشكل وحشي تجاه دول أخرى، أو تشكل تحالفات مع دول ممارساتها سيئة. وعندما يحدث ذلك، يخلق القادة قصة يروونها لشعوبهم، أو للعالم على اتساعه، بهدف محاولة التموه على تصرفاتهم غير المتسقة مع الأعراف الليبرالية، بأسلوب بلاغي مثالي.

وتأتي ممارسة «الإمبريالية الاجتماعية» حين يطلق القادة الأكاذيب عن دولة أخرى بهدف تنمية مصالحهم الاقتصادية أو السياسية، أو لمصلحة طبقة اجتماعية أو مجموعة بعينها. ويستهدف هذا النوع من الأكاذيب صرف نظر الشعب عن مشاكل أو قضايا مثيرة للجدل في الساحة المحلية لخدمة شريحة صغيرة في المجتمع، وليس المصلحة العامة. فعلى سبيل المثال، قد يحاول القادة أن يزيدوا من هيمنتهم على مفاصل القوة في الدولة، عن طريق المبالغة في تصوير تهديد محتمل، وخلق حالة من الخوف في المجتمع، مما يؤدي إلى التفاف الشعب حول النظام.

وتظهر «التغطيات الشنيعة» عندما يكذب القادة بخصوص تخبطاتهم، أو سياساتهم الفاشلة لمصالح شخصية. ويكون هدفهم الأساسي في هذه الحالة هو حماية أنفسهم، أو أصدقائهم، من عقاب مستحق<sup>(2)</sup>. ولا يسعى هذا النوع من الأكاذيب إلى تحقيق مصلحة عامة، كما هي الحال مع التغطيات الإستراتيجية. ولكن لأن التغطيات الإستراتيجية تنتهي بحماية الفاشلين والإبقاء عليهم في مراكزهم، فمن الصعب أحيانا، التمييز بين هذين النوعين من أكاذيب التغطية.

هذه هي الأنواع السبعة التي يتكون منها عالم الأكاذيب الدولية<sup>(3)</sup>. بيد أن النقاش التالي سيتمحور حول الأكاذيب التي تطلق بهدف تحقيق المصلحة الوطنية. تخدم تلك الأكاذيب الإستراتيجية العامة، بعكس الأكاذيب الأنانية، التي تفيد شخصا معينا أو مجموعة أفراد. وبالتالي فإننا لن نطرح للنقاش مجددا أكاذيب التغطيات الشنيعة أو الإمبريالية الاجتماعية.

لقد تجاهلنا هذين النوعين من الأكاذيب، لأنه لا توجد قيمة إستراتيجية لهما. وبالطبع، نحن ندرك جيدا لماذا يطلق الأفراد أكاذيب من هذا النوع، ولكن لا

أحد يرى أنهما سلوكان مشروعان أو مقبولان. بل إن أغلبية المراقبين سينددون بهذه الأكاذيب الأثنية ليس لأنهما يحملان أثرا مفسدا في الحياة السياسية فقط، ولكن لأنهما يضعفان المصلحة الوطنية عموما. باختصار، فإن أكاذيب الإمبريالية الاجتماعية والتغطيات الشنيعة ليست لديهما قيمة اجتماعية.

أما الأكاذيب الإستراتيجية، فهي موضوع مختلف. حيث إنها تستهدف تحقيق المصلحة العامة، وعادة ما يتوافر لها قدر من المشروعية. وفي الأساس، يمكن للأكاذيب الإستراتيجية أن تؤدي دورا مفيدا للدولة، مع العلم أن هناك دائما احتمال أن ينتج عنها ضرر أكثر مما يتحقق من منفعة. وبالتالي سيكون تركيزنا على الأنواع الخمسة من الأكاذيب الإستراتيجية: الكذب بين الدول، وإثارة الذعر، والتغطيات الإستراتيجية، وصناعة الأساطير القومية، والأكاذيب الليبرالية. وبالإضافة إلى شرح كل نوع من الأكاذيب بالتفصيل، سأشرح أطرها المنطقية، وأوضح متى من الممكن ظهور هذا النوع أو ذاك. بعبارة أخرى، سأحاول شرح لماذا ومتى تظهر هذه الأنواع المختلفة من الأكاذيب الدولية.

## الكذب بين الدول

أطلق السير هنري ووتون، الدبلوماسي البريطاني في القرن السابع عشر، تعليقا مشهورا بأن السفير هو «رجل أمين، أرسل إلى الخارج، ليكذب من أجل مصلحة دولته»<sup>(1)</sup>. وتوضح لنا هذه العبارة حقيقة أن الدول يكذب بعضها على بعض، لاعتقادها أن الكذب يفيد مصلحتها الوطنية. بيد أن تعليق ووتون غير دقيق، لأنه يوحي بأن الدبلوماسيين ورجال الدولة يمارسون الكذب بعضهم على بعض طوال الوقت، بينما واقع الحال أن القادة السياسيين وممثلهم الدبلوماسيين يتعاملون بالصدق أكثر من الكذب. وحتى عندما يضطر أحدهم إلى أن يخدع الآخر، فإنه يلجأ في الأغلب إلى الكتمان والإخفاء لا إلى الكذب الصريح. فالسرية، كما يعرف طلاب السياسة الدولية، هي تقليد عريق تستغله الدولة لتطوير إستراتيجيتها وأسلحتها للتفوق على منافسيها.

«حتى يكون الكذب بين الدول مجديا، فلا بد أن يتم بحذر وانتقائية»

ما الأسس التي تركز إليها هذه المزاعم؟ كما أشرنا، فأنا لا أختبر مقولاتي على ضوء السجلات التاريخية. فمن غير الممكن قياس عدد المرات التي كذب فيها رجال الدولة والديبلوماسيون بعضهم على بعض في الماضي، مقارنة بكم مرة كانوا صادقين بعضهم مع بعض. ولعل أحد أسباب ذلك هو التداخل الكبير في القرون السابقة بين قادة الوحدات السياسية المختلفة التي كونت النظام العالمي، مما يصعب عملية اختيار عينة من تلك القاعدة الضخمة للبيانات. ولكن، حتى لو كانت عملية الاختيار ممكنة، فإنه يصعب أن نتحرى عما تُسرب من كثير من تلك الحالات. ونحن لا نملك إلا القليل من السجلات التي توضح لنا ما حصل في الماضي البعيد، وحتى في الحالات الأكثر قربا، نجد أن السجلات غير مكتملة أحيانا. وللأسباب نفسها، سيكون من الصعب - إن لم يكن مستحيلا - أن نحدد حجم الكذب بين الدول بدقة، مقارنة بالكتمان والتلفيق.

وادعائي عدم وجود كذب كثير بين الدول على مر السنين مبني على اعتبارين: الأول، الصعوبات التي واجهتني في الحصول على أمثلة عن حكام يكذب بعضهم على بعض، على الرغم من أنني حصلت على بعض الحالات، أغلبها نوقشت سابقا. كذلك فقد طلبت من باحثين آخرين لديهم معرفة عميقة بتاريخ العلاقات الدولية أن يمدوني بأنواع من الأمثلة التي يكذب فيها القادة والديبلوماسيون بعضهم على بعض. كان رد فعلهم التلقائي - كما كان رد فعلي - أنه لا بد أن هناك أمثلة كثيرة في هذا الشأن؛ ولكن انتهى الأمر على غير ذلك حيث لم يجد أي من الذين سألتهم إلا حالات قليلة يظهر فيها كذب بين الدول.

وبالطبع فإن تعريف الشخص مفهوم الكذب يؤثر في أي تقييم لمدى وجود كذب بين الدول، أو أي شكل آخر من أشكال الكذب. فمثلا، لاحظت سيسيليا بوك في دراستها المهمة عن الكذب أن بعض الناس يعرفون مفهوم الكذب بصورة واسعة إلى درجة أنهم يعتبرون «كل أشكال الخديعة أكاذيب، بغض النظر عما إذا تضمن ذلك أو لم يتضمن عبارات أو بيانات من أي نوع». وحين يطبق هذا التعريف الواسع، فعندئذ يمكن للناس أن يقولوا إن الكذب ظاهرة شائعة في الحياة اليومية، «وإن متوسط الكذب للفرد يتعدى العشرات بل مئات الأكاذيب في اليوم الواحد»<sup>(2)</sup>.

## الكذب بين الدول

وإذا طبقنا هذا التعريف الواسع على واقع السياسة الدولية، فإنه سوف يشمل التلفيق والكتمان. كما أنه يشمل الإصرار على عدم قول الحقيقة عن قصد، وحينها فقط يمكن القول إن الكذب بين الدول هو ممارسة معتادة. أما إذا جرى تعريف الكذب بصورة أدق وأضيق، كما هي الحال مع سيسيليا بوك، ومعني أيضا، فلن يكون شائعا ومنتشرا كما يظن، على الرغم من أنه معروف. وأعتقد أن التعريف الضيق هو أكثر منطقية، لأنه يعطينا الفرصة، كي نميز بين أنواع الخديعة، وكي نبحث في أين، ولماذا، يطبق كل نوع منها.

قد يجادل البعض بأن السياسيين والديبلوماسيين الذين يكذب بعضهم على بعض لن يعترفوا بأنهم كذبا، بل سنجدهم دائما يبدلون جهودا مضنية لإخفاء ذلك. ومن المحتمل أن تكون هناك حالات كذب كثيرة بين الدول، ولكنني فشلت في كشف أغلبها، لأنها عادة ما تكون محكمة الإخفاء عن هم خارج عملية صناعة القرار. ولهذا النوع من الجدل فوائده الجمة بالطبع، عند تحليل الأحداث المعاصرة، مادامت المعلومات المهمة عادة ما تُحجب عن العامة، وعليه فإنه من الصعب على من هم خارج الدائرة أن يعرفوا ما يدور وراء الأبواب المغلقة. وكذلك، فكلما حاولنا أن نعالج قضايا أقدم تاريخيا، وجدنا أن سجلات صنع القرار غير مكتملة، وناقصة، تقريبا في معظم البلدان، مما يعني أنه ربما كان الكذب بين الدول أمرا عاديا في زمن مضى، ولكننا نقف عاجزين عن اكتشافه. وحتى في الوقت الحاضر، نجد أن السجلات التاريخية لبعض الأحداث القريبة غير مكتملة، مما يثير احتمال وجود أكاذيب مطمورة في العمق.

وعلى الرغم من كل هذا، ما زلت أعتقد أنه لا توجد أكاذيب كثيرة مخفية بين الدول في الماضي البعيد. وقد أسست تصوري هذا على حقيقة أن لدينا معلومات كثيرة عن قرارات سياسة خارجية مهمة في القرنين الماضيين ومن دول مختلفة، مما يجعل من الصعب على القادة أن يخفوا أكاذيبهم ويحصنوها من الاكتشاف. ويكون ذلك أكثر وضوحا بالنسبة إلى الأكاذيب التي كان لها أثر كبير في سياسة الدولة الخارجية. وعلى أي حال، فإن حملات الخداع المخطط لها يشارك فيها عادة عدد كبير من الناس، ويقوم البعض منهم على الأقل في نهاية المطاف بالإفصاح وكشف الأمر. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوثائق المكتوبة، التي عادة ما تكون متوافرة

بكثرة في مثل هذه الحالات، قد ظهرت للعيان. وبالتالي فإن معظم التفاصيل الرئيسة للأحداث التاريخية القريبة قد أصبحت في متناول الجمهور - بما فيها الأكاذيب. ولا يمكن أن ننكر أن بعض الأكاذيب المحكمة قد نجت من الرصد والاكتشاف، ولكن من الصعب تخيل وجود حالات كثيرة من هذا النوع.

وهناك سبب آخر يجعلني أظن أن الكذب بين الدول هو أمر غير اعتيادي، وذلك لأن خداع قادة دول أخرى أمر بالغ الصعوبة. وحتى عندما يكون الأمر ممكناً، فإن تكلفة الكذب غالباً ما تتجاوز فوائده. بعبارة أخرى، هناك مبررات قوية ترغمنا على ألا نتوقع أن يكون الكذب بين الدول ممارسة عادية .

وبدأئ ذي بدء، فإن المنطق الواقعي يبين لنا مدى صعوبة تخلص الحكام من جريمة الكذب عندما تواجه مصالحهم الإستراتيجية في الداخل خطراً ما. فالدول التي تعيش في حالة فوضوية تتولد لديها في أحيان كثيرة نزعة قوية لاستعمال العنف والطرق الملتوية من أجل البقاء، وهذه المنظومة بالتأكيد تتضمن الكذب. ولقد أدرك ذلك رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحاق شامير حين قال «من أجل أرض إسرائيل يجوز الكذب»<sup>(3)</sup>. وعليه، فإنه ليس بمستغرب، أن نجد معظم الرؤساء، وعدداً كبيراً من مواطنيهم، يعترفون بأن العلاقات الدولية تحكمها، إلى حد كبير، مجموعة قواعد تختلف عن تلك المعمول بها في الحياة اليومية داخل الدولة. ولذلك عندما يتعلق الأمر بالمواضيع الحيوية المهمة في الدولة، فليس من السهل أن تؤخذ تصريحات دولة أخرى على محمل الثقة من دون التمهيص والتأكد من مصداقيتها<sup>(4)</sup>. وفي السياق نفسه جاء تصريح مشهور للرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان محذراً: «ثق، ولكن تحقق». وعلى سبيل المثال، لن يقبل أي زعيم غربي ادعاء إيران أنها لا تطور سلاحاً نووياً ويترك الأمر عند ذلك الحد. بل سيصر على تمكين المنظمة الدولية للطاقة الذرية من تفتيش وفحص المنشآت النووية الإيرانية، للتأكد من أنها لا تسعى إلى الحصول على أسلحة نووية.

وتصبح المسألة في غاية الحدة عند محاولتنا تقييم نوايا دول أخرى، لأنه من الصعب معرفة تلك النوايا بدرجة عالية من اليقين. من الأسهل، وإن لم يكن سهلاً بالضرورة، تقييم نشاط الدولة العسكري، وقدراتها الحربية التي يمكن أن نراها بالعين المجردة. أما النوايا فهي في عقول صنّاع القرار، ومن الصعب ملاحظتها

## الكذب بين الدول

وقياسها، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تقليل الثقة بين الدول. بالنظر إلى تدني مستوى الثقة هذا، فإنه يستحيل على الرؤساء أن يفلتوا بكذبهم بعضهم على بعض، خصوصا عندما تكون المخاطرة عالية. ولذا، فإنه ليس من المستغرب ألا تتضمن الوثائق التاريخية إلا النزر اليسير من الأمثلة المؤثرة والفعالة لأنواع الكذب بين الدول.

إن رجال الدولة والديبلوماسيين أكثر ميلا إلى الثقة بعضهم ببعض عندما يتعاملون مع قضايا لا ترتب عليها عواقب إستراتيجية خطيرة في حال انطلت كذبة على أحد الطرفين. وبعبارة أخرى، القادة هم عادة أقل انزعاجا عند تعرضهم لخديعة تتعلق بالاقتصاد أو البيئة - «السياسات الدنيا» - مقارنة بقضايا الأمن القومي - «السياسات العليا» - حيث تكون الثقة عملة نادرة<sup>(5)</sup>. وربما يظن البعض أن هناك عددا كبيرا من الأكاذيب يجري إطلاقها عند التعامل مع «السياسات الدنيا»، وذلك لتوافر الثقة بين الزعماء، مما يزيد من احتمالات تعرضهم للخديعة. بيد أن ذلك ليس هو واقع الحال؛ فلا توجد أكاذيب كثيرة، حتى عندما يتعلق الأمر بالسياسات الدنيا.

أحد الأسباب في قلة الكذب في السياسات الدنيا، يرجع إلى أن الفائدة التي تجنى من الكذب ليست كبيرة. ولأن الفائدة المتوخاة من الكذب قليلة، فإن التكاليف الناتجة من الخديعة على الضحية ليست كبيرة، وبالتالي نجدها تتخلى عن الحذر. وهناك سبب آخر، وهو أنه إذا شعر الكل بأن الرؤساء يكذبون، فلن يصدقهم أحد بعد ذلك، وهذا ثمن غال لا يمكنهم تحمله. فالكذب يكون فعالا فقط عندما يعتقد الضحية المخدوع أن ما يقوله الكاذب هو الحقيقة. وبناء على ذلك، لا بد أن تتوافر أسباب مقنعة للقادة ليقتنعوا بأنهم ليسوا مضللين، مما يعني أنهم لا يكذب بعضهم على بعض بشكل مستمر، وإلا أصبح سلاح الكذب غير مجدٍ باختصار، حتى يكون الكذب بين الدول مجديا فلا بد أن يتم بحذر وانتقائية.

أما السبب الأخير، فهو أنه إذا ظل الرؤساء يكذب بعضهم على بعض، فإن ذلك سيجعل التعامل البناء فيما بينهم مستحيلا في المستقبل، فلن يعرفوا الصدق من الكذب. أما إن اعتاد أحد القادة الكذب بشكل متواصل، فستسوء سمعته بين أقرانه، ويصعب التعامل معه في عقد الاتفاقات مما يعود سلبا على دولته. وينعكس هذا الضرر بالأخص على الأمور الاقتصادية والبيئية التي تتطلب ميثاقا

وتعاوننا مستمرا على مدى سنوات مقبلة. بعبارة أخرى، الكذب الكثير غير مفيد. ونخلص إلى القول إن الكذب له حدوده في العملية السياسية.

### لماذا تكذب الدول بعضها على بعض؟

يعود السبب الرئيس في كذب القادة على جمهور أجنبي إلى كسب تفوق إستراتيجي عليه. ولأن الدول تعيش في عالم فوضوي، حيث لا أحد يحرسها من الأخطار، فليس أمامها سوى خيار توفير الحماية الذاتية. وتتمثل أفضل الطرق التي تعزز بها الدول فرصها في البقاء في اكتساب القوة للتفوق على قريناتها من الدول. بإمكانها أيضا أن تلجأ إلى أسلوب الخديعة، الذي من ضمنه الكذب، لكي تكون لها الأفضلية على عدو محتمل. وفي عالم محفوف بالمخاطر كهذا، على القادة أن يعملوا كل ما في وسعهم لحماية وبقاء دولهم. وقد أوضح آرثر سلفستر، مساعد وزير الدفاع للشؤون العامة في حكومة الرئيس جون كينيدي، هذه النقطة بشكل جيد عندما نشبت أزمة الصواريخ الكوبية، حين قال «إن حق الدولة الأصيل في أن تكذب عندما تواجه كارثة نووية هو أمر أساس»<sup>(6)</sup>. وبعد عشرين سنة تالية، وفي حقبة الرئيس جيمي كارتر، علق جودي باول، السكرتير الإعلامي بأن «سلفستر كان محقا في رأيه. فتحت بعض الظروف، ليس للدولة الحق في أن تكذب فقط، بل يصبح الكذب واجبا إيجابيا»<sup>(7)</sup>.

من واقع الممارسة، يتخذ الكذب بين الدول أشكالا مختلفة، ويتبع منطقا مختلفا. فلنستطلع بعضا من تلك الأساليب التي تكذب فيها الدول بعضها على بعض. وهذه القائمة ليست حصرية، على الرغم من أن أغلب أنواع الكذب بين الدول سوف تدخل ضمن هذه الفئات:

**النوع الأول** من هذه الأكاذيب يحدث عندما يبالغ القادة أحيانا في تصوير قدرات دولهم بقصد ردع العدو، أو حتى إخضاعه. على سبيل المثال، كذب هتلر بشأن قدرات جيشه في الثلاثينيات. فقد حاول تضخيم قوة الدفاع الألمانية (فيرماخت) (Wehrmacht) لتثبيط همم بريطانيا وفرنسا في التدخل لإعاقعة إعادة تسليح ألمانيا، بالإضافة إلى تحركات سياسته الخارجية العدوانية، مثل إعادة تسليح راينلاند في 1936<sup>(8)</sup>. وفي الفترة نفسها تقريبا، قام جوزيف ستالين بعملية التطهير



الشيعة للجيش الأحمر، مما أثر سلبا في قدراته القتالية. وخشية منه أن هذه العملية قد تجعل الجيش الروسي يبدو ضعيفا، مما يحفز الألمان على الهجوم عليه، أطلق ستالين وضباطه الدعاية الكاذبة بأن الجيش السوفييتي قوة هائلة خارقة، وهم يعلمون أن الحقيقة غير ذلك<sup>(9)</sup>.

حادثة أخرى من النوع نفسه، عن الكذب بين الدول، ظهرت في أثناء الحرب الباردة، عندما أطلق الاتحاد السوفييتي أول صاروخ باليستي في العالم (ICBM) في أكتوبر من العام 1957<sup>(10)</sup>. كان الميزان الإستراتيجي النووي في ذلك الوقت يرجح بوضوح كفة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد انتهز الرئيس السوفييتي نيكيتا خروتشوف أسبقية بلاده في إطلاق أول صاروخ باليستي للزعم بامتلاك قوة هائلة في هذا المجال أكثر مما كان عليه الأمر في الواقع. لقد أسهمت كذبة خروتشوف في السنين الثلاث التالية في خلق أسطورة «الفجوة الصاروخية»، والتي أبطت الولايات المتحدة الأمريكية، ظاهريا، في مرتبة أدنى إستراتيجيا. وفي واقع الأمر كان العكس هو الصحيح: الاتحاد السوفييتي حينها كان يمتلك صواريخ أقل بكثير من التي تملكها الولايات المتحدة. كانت مبررات خروتشوف لتلك المبالغة هي الردع والضغط على أمريكا. وبصورة خاصة، أراد ضمان عدم قيام أمريكا بإطلاق صواريخ نووية على الاتحاد السوفييتي في وقت الأزمة. كما كان مصرا على أن يضع ضغوطا كبيرة على حكومة آيزنهاور لكي تتخلى عن خططها بتزويد ألمانيا بالسلح النووي.

النوع الثاني من أنواع الكذب بين الدول هو عندما يكذب القائد للتقليل من قدرات جيشه الحربية، أو التقليل من سلاح حربي معين، أو حتى إخفائه تماما عن الدول المنافسة. وقد يهدف من ذلك الخداع إلى تحاشي استفزاز أي هجوم قد يهدف إلى تدمير تلك القدرات. أو أن يمنع دولة أخرى من أن تجربه على أن يتوقف عن تسليح وتطوير قوته. فعلى سبيل المثال، عندما صار الأميرال الفريد فون تربتز رئيسا للبحرية الألمانية في يونيو 1897، شرع في بناء أسطول حربي ليناهض به تفوق الأسطول البريطاني، ويسمح بذلك لألمانيا بأن تحقق طموحاتها<sup>(11)</sup>. لكنه أدرك مبكرا أن البحرية الألمانية سوف تكون مكشوفة لهجوم بريطاني في مراحلها الأولى؛ وقد أشار إلى ذلك بـ «المنطقة الخطرة». ولكي يمنع حدوث ذلك، أطلق مع بعض السياسيين الألمان حملة دعائية مكثفة تدعي كذبا أن برلين تبني أسطولا حربيا

لأسباب دفاعية بحثة - لحماية تجارتها الخارجية المتوسعة - وعليه فإنها ليست لديها النية في أن تنازع الأسطول البريطاني.

وقد كذبت إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات عن مشروعها النووي الناشئ خوفا من أن تجبر واشنطن الدولة اليهودية على إيقاف ذلك المشروع إذا عرفت ما كان يجري في مفاعل ديمونا النووي. وقد كتب هنري كيسنجر في العام 1969 «إن هذا هو أحد البرامج التي ظلت إسرائيل تخدعنا به بإصرار مستمر»<sup>(12)</sup>. ومثال آخر في السياق نفسه، عندما وضع الاتحاد السوفيتي صواريخ هجومية في كوبا في العام 1963، بعد أن أكدوا مرارا وتكرارا لحكومة الرئيس كينيدي أنهم لن يقوموا بتلك الخطوة الخطرة. وكان الهدف من ذلك أن يضعوا الرئيس كينيدي أمام الأمر الواقع في لحظة من اختيار خروتشوف، من دون أن يمنحوه سببا للتحرك إلا بعد أن تُنصب الصواريخ<sup>(13)</sup>.

ونجد أيضا أن بعض الدول تقلل من شأن قواتها العسكرية، أو تحاول أن تخفيها حتى تستطيع أن تسد فرص الدول المنافسة في التصدي لها، إما بتغيير إستراتيجيتها، وإما ببناء دفاعات، أو بتسابقها في بناء أسلحة أكثر من النوع نفسه. ففي الحرب العالمية الأولى مثلا، اخترعت بريطانيا الدبابة بشكل سري تماما لكي تكسر حالة الجمود العسكري على الجبهة الغربية. ولكي تخفي ذلك السلاح عن الألمان قبل استخدامه ضدهم في ساحة المعركة، أطلقت القيادات البريطانية سلسلة لا حصر لها من الأكاذيب. فمثلا، أطلقوا شائعة بأن هذا هو صهريج لنقل المياه للخطوط الأمامية وليست مدمرة حربية أو «سفينة برية»، وكان هذا هو الاسم الذي استخدموه كلمة سر بينهم، ومن هنا أخذت الدبابة اسمها (Tank). وبالغ البريطانيون في نشر الدعاية بقولهم إن المصنع الذي يصنع هذه الصهاريج ليس من اختصاصه صناعة الأسلحة الحربية. كما حاول البريطانيون أن يجعلوها تبدو كصهاريج متوجهة إلى روسيا، وليس إلى الجبهة الغربية. بل كتب على كل دبابة عبارة «بعناية إلى بيتروغراد» بحروف روسية وبارتفاع 12 إنش<sup>(14)</sup>.

واعتمدت موسكو الأسلوب نفسه في تعاملها مع أسلحتها البيولوجية خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من الحرب الباردة<sup>(15)</sup>. فعلى الرغم من توقيعها على معاهدة حظر الأسلحة البيولوجية والسامة، التي دخلت حيز التنفيذ في مارس

## الكذب بين الدول

1975، فإن السوفييت نقضوا تلك الاتفاقية حين بدأوا في تطوير برنامجهم المكثف للأسلحة البيولوجية والنوية. ولم يحاول السوفييت أن يخفوا ذلك البرنامج عن العالم الخارجي فقط، بل كذبوا بخصوصه. وقد أصبح ذلك الكذب جليا للعيان في العام 1979، عندما مات نحو مائة شخص بالقرب من مدينة سفردلوفسك، بعدما أصيبوا بالأنثراكس الذي تسرب مصادفة من منشأة للأسلحة البيولوجية. وخوفا من أن يتهموا بنقض الاتفاقية، زعموا أن موتهم كان ناتجا من تناولهم لحما مسموما. وهكذا فإن الهدف من هذا السلوك، كما هي الحال مع الحالات الأخرى التي جرى عرضها، هو التفوق على الدول المنافسة.

نوع ثالث هو عندما يخفي زعماء بلد ما نواياهم العدوانية تجاه دولة ما، للتمويه على نواياها في الهجوم. وربما يكون أفضل مثال على ذلك محاولات هتلر بين العامين 1933 و1938 إقناع الدول الأوروبية بأنه ملتزم بالسلام، في الوقت الذي كان مصمما فيه على الحرب. وقد صرح في العام 1934: «إن كان الأمر يتعلق بألمانيا، فلن تكون هناك حرب أخرى. فألمانيا تدرك جيدا، أكثر من أي دولة أخرى، الأضرار والمآسي التي تسببها الحرب. وفي اعتقادنا أن مشاكل ألمانيا الحالية لا تحل ولا تحسم بواسطة الحرب»<sup>(16)</sup>. وفي خطاب آخر مشهور، في قصر الرياضة (سبورتبالست) ببرلين، في أثناء الاحتقان الحاد في تلك الأيام، وقبل التوقيع على اتفاقية ميونخ المشينة، صرح بجرأة شديدة بأن نواياه في ضم إقليم السودان إلى ألمانيا هي «آخر مطلب لي في أوروبا»<sup>(17)</sup>. وكشف التاريخ أن كلا التصريحين كان كذبا واضحا وصریحا.

وهناك مثال آخر على هذا النوع، يخص اليابان والاتحاد السوفييتي في آخر سنة من الحرب العالمية الثانية. كانت بين البلدين اتفاقية حياد أغلب سنوات الحرب، ولكن في يالطا في فبراير 1945، عاهد ستالين تشرشل وروزفلت على أن الجيش الأحمر سوف يهاجم اليابان في غضون ثلاثة شهور بعد هزيمة ألمانيا النازية. وقد خالج اليابانيين الشك بأن ثمة ما يجري في يالطا، فسألوا نظراءهم في موسكو عن ذلك، فأكدوا لهم أن «علاقتهم عادية وثابتة ومستندة» إلى اتفاقية الحياد<sup>(18)</sup>. بيد أنه في الثامن من أغسطس من العام 1945 شن السوفييت هجوما على اليابان. وأحيانا يُجبر القادة الميالون إلى كتمان تحركاتهم الهجومية ضد دولة ما على

الكذب، عندما تنهال أسئلة الصحفيين المحليين الملحة بشأن العملية المقبلة. بيد أن المقصود بهذا النوع من الأكاذيب هو الدولة المستهدفة وليس مواطني ذلك الرئيس. على سبيل المثال، خلال حملته الانتخابية الرئاسية سنة 1960 طالب المرشح الديمقراطي جون كينيدي بأن تدعم الولايات المتحدة معارضي الرئيس كاسترو على قلب النظام في كوبا<sup>(19)</sup>، وكان منافسه، نائب الرئيس ريتشارد نيكسون، يعلم علم اليقين أن أمريكا منغمسة حتى النخاع في هذا المشروع. ولكنه كان يعلم في الوقت نفسه أن الأمر سوف يكون عرضة للكشف إذا أيد رأي جون كينيدي. ولذا وجدناه يهاجم اقتراح كينيدي واصفا إياه بأنه «من أخطر التوصيات غير المسؤولة التي اقترحها خلال حملته الانتخابية»، على الرغم من أنه يؤمن في قرارة نفسه بأنها فكرة جيدة، قد دافع عنها داخل الحكومة. ولقد كان نيكسون يكذب لكي يخدع كاسترو، وليس الشعب الأمريكي. ولكم كان حينها يود أن يقول الحقيقة .

وقد وجد جودي باول، سكرتير الرئيس جيمي كارتر للإعلام، نفسه في موقف مشابه في أبريل 1980، عندما سأله أحد الصحفيين عن مدى صحة نية أمريكا شن عملية عسكرية على إيران لتحرير الرهائن الأمريكيين<sup>(\*)</sup>. ومع أن ذلك كان حقيقيا، فإن باول شعر بأنه لم يكن أمامه خيار سوى الكذب والإنكار، ويقول إن ذلك غير صحيح، لأنه لو كان قد فعل العكس، لعرفت الحكومة الإيرانية عملية محاولة الإفراج عن الرهائن<sup>(20)</sup>، وبالتالي اضطر أن يخدع الصحافي.

النوع الرابع، يمكن للدولة فيه أن تكذب لتتستر على نواياها العدائية تجاه دولة أخرى منافسة، ليس بغرض تسهيل عملية الهجوم، بل لتتحاشى استفزاز تلك الدولة.

(\*) في 25 أبريل 1980، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عملية كوماندوز سرية في إيران من أجل تحرير 52 رهينة أمريكية كانوا محتجزين في السفارة الأمريكية بطهران. وقد أطلق على العملية اسم إيغل كلو (Eagle Claw) أو إيفننج لايت (Evening light) وكذلك راييس بول (Rice Bowl). بيد أن العملية فشلت فشلا ذريعا. ويرى الرئيس جيمي كارتر أن خسارته في الانتخابات للمرة الثانية كانت بسبب فشل تلك العملية. وقد واجهت تلك العملية مشكلات عديدة منذ بدايتها، مما أدى إلى إلغائها نهائيا. حيث جرى إرسال 8 طائرات هليكوبتر لمكان التجمع في صحراء طبرستان، ولكن 5 منها فقط وصلت بحالة جيدة، حيث تعرضت الأولى لمشكلات ميكانيكية، وتعرضت الثانية لعاصفة غبارية عطلتها عن العمل، وتفككت مروحة الثالثة. وقد كان من المتفق عليه أنه إن وصل إلى مكان التجمع أقل من 6 طائرات فإن هذا يعني إلغاء العملية، وعندما اتخذ قرار إلغاء العملية، وفي أثناء المغادرة، تحطمت إحدى الطائرات واصطدمت بألوية أخرى كانت مجهزة بمعدات ووقود وبنود، ما أدى إلى حريق مات بسببه 8 عسكريين أمريكيين. فاز بتلك الانتخابات رونالد ريغان الذي دخل في مفاوضات للإفراج عن الرهائن بواسطة الجزائر، بعد قضاء 444 يوما في الحجز داخل السفارة. [المترجم].

وقد برز هذا المنطق بوضوح في الأيام الأولى للحرب الباردة، عندما عقدت دول أوروبا الغربية معاهدتين للدفاع المشترك، وهما معاهدة دنكرك في العام 1947، ومعاهدة بروكسل في العام 1948. ويقال إن كلتا المعاهدتين كانت بمنزلة كوابح لطموح ألمانيا المتعافية. ولكن في حقيقة الأمر، فإن الاتفاقيتين كانتا قد أبرمتا، أساسا، لاحتواء التوسع السوفييتي في أوروبا. وقد كذب القادة البريطانيون والفرنسيون بخصوص هذه التحالفات لأنهم لا يريدون استفزاز الاتحاد السوفييتي - الذي كانوا يرون فيه تهديدا خطيرا لهم - إن كان بالإمكان تجنبه<sup>(21)</sup>.

النوع الخامس من الكذب بين الدول هو عندما تحاول الدولة أن تؤثر في تصرفات ونشاط دولة أخرى منافسة، وذلك عن طريق التهديد بالهجوم عليها، حتى إن لم تكن هناك نية حقيقية بشن الحرب. والغرض من هذا التهديد الوهمي هو إخضاع وإجبار العدو على القيام بشيء لم يكن في الأساس يريد أن يقدم عليه. كان سلوك ألمانيا خلال العامين 1905 و1906، بشأن الأزمة المغربية، مثلا على هذا النوع. كان صنّاع السياسة الألمانية مُصرين على خلق أزمة مع فرنسا بشأن المغرب تؤدي إلى حل مذكرة التفاهم الموقعة أخيرا بين بريطانيا وفرنسا. فقد هددت ألمانيا بشن الحرب سعيا إلى تحقيق هذا الغرض، على الرغم من أنه، كما كتب المؤرخ نورمان ريتش، «لم يكن التفكير في حل عسكري واردا ولا حظي بأي تأييد جدي من قبل القادة الألمان في أي مرحلة من مراحل الصراع بشأن المغرب»<sup>(22)</sup>.

ومن الممكن أيضا استخدام إستراتيجية التهديد الفارغ تلك لردع العدو عن الاستمرار في تحقيق سياسات معينة. فعلى سبيل المثال، شعرت حكومة الرئيس ريغان في أغسطس من العام 1986 بالقلق من نوايا إرهابية محتملة للزعيم الليبي معمر القذافي. ولمنع تحققها نشر البيت الأبيض تقارير كاذبة بشأن «ضربة أخرى سوف توجه إلى الرئيس القذافي بقصف أمريكي، وربما بانقلاب عسكري، لإقصائه عن الحكم»<sup>(23)</sup>، على الرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن تنوي توجيه ضربة أخرى إلى ليبيا، ولكنها قصدت أن يأخذ الرئيس القذافي هذا التهديد مأخذ الجد ويتخلى عن نشاطه لدعم الإرهاب.

كما تعتبر سياسة حلف الناتو النووية في أثناء الحرب الباردة مثلا آخر للتهديد الأجوف لوقف سياسات بعينها. فقد كان موقف الحلف الرسمي هو أنه إذا هاجمت

دول حلف وارسو<sup>(\*)</sup> أوروبا الغربية، وبدأت في التقدم عبر ألمانيا، فسوف يضطر حلف الناتو<sup>(\*\*)</sup> إلى استعمال السلاح النووي لإجبار الاتحاد السوفيتي وحلفائه على وقف نشاطهم العدواني، وإخضاعهم للتراجع إلى مواقعهم الأولى على الحدود الألمانية. غير أن هناك شخصيات مهمة من صنّاع القرار في الحكومة الأمريكية، ومنهم هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأمريكية الأسبق، وروبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الأسبق، كانا قد وافقا علنا وأيدا هذه السياسة عندما كانا في الحكومة، ولكنهما تراجعاً عنها لاحقاً عندما أصبحا خارج الحكومة، وصرحا بوضوح بأنه لم يكن من الممكن استعمال السلاح النووي لحماية غرب أوروبا في حالة أي هجوم واسع من قبل الاتحاد السوفيتي<sup>(24)</sup>. ويعود سبب عدم رغبتهما في استعمال السلاح النووي إلى أنه من المؤكد أن ترد روسيا الضربة باستعمال سلاحها النووي أيضاً، مما يعرض الطرفين لانتحار جماعي متبادل. ومع ذلك، فقد بدا منطقياً بالنسبة إلى صنّاع قرار الناتو أن يحذروا السوفييت بأن الحلف سيستخدم ترسانته النووية للدفاع عن أوروبا الغربية، حتى وإن كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم أنها فكرة مجنونة، لأن موسكو لا تعلم يقيناً أن تلك الأسلحة لن تُستخدم، مما عزز بقوة من عنصر الردع. النوع السادس، من المحتمل أن يسعى القادة إلى الكذب لكي يستفروا دولة أخرى حتى تهاجمهم، أو تهاجم غيرهم. وقد مثل سلوك بسمارك<sup>(\*\*\*)</sup> قبيل الحرب

(\*) حلف وارسو هو حلف عسكري كان يقوده الاتحاد السوفيتي السابق، ويضم سبع دول في أوروبا الشرقية هي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وهنغاريا وبولندا ورومانيا وألبانيا [انسحبت في العام 1968]. واسمه الرسمي هو «اتفاقية الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة». نشأ خلال فترة الحرب الباردة كرد فعل على ضم ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو في العام 1955. وفي يوليو 1991، أعلن انتهاء حلف وارسو، كما حل الاتحاد السوفيتي أيضاً في ديسمبر 1991. [المترجم]. (\*\*\*) حلف الناتو، واسمه الرسمي «منظمة اتفاقية شمال الأطلسي»، وهو حلف عسكري وقّعت اتفاقية في أبريل 1949 ومقره بروكسل (بلجيكا)، ويشمل في عضويته 28 دولة. يتعهد فيه الأعضاء بالدفاع عن أي دولة عضو تتعرض للتهديد. وكاد الناتو يتفكك بعد سقوط جدار برلين وتوحيد ألمانيا وتفكك الاتحاد السوفيتي. ولكن يبدو أن القائمين عليه يحاولون إبقائه، حيث شارك في عمليات حفظ السلام في البوسنة وأفغانستان. ومن اللافت أن بعض الدول الأعضاء السابقين في حلف وارسو قد انضموا أو أبدوا رغبة في الانضمام إلى حلف الناتو. [المترجم].

(\*\*\*) أوتوفان بسمارك، سياسي ومستشار بروسيا وموحد ألمانيا. هيمن على الساحة السياسية الأوروبية من العام 1860 إلى العام 1890. في حقبة ستينيات القرن التاسع عشر افتعل عددا من الحروب أدت إلى توحيد الإمارات الألمانية. في العام 1862 عينه الملك فيلهلم الأول وزيرا رئاسيا ثم أصبح المستشار ولقب بالمستشار الحديدي، وفي العام 1871 أوجد الإمبراطورية الألمانية وأصبح المستشار الأقوى، وصار في عهده الملك ويلهلم الأول قيصرا. ولكن القيصر ويلهلم الثاني أزاحه في العام 1890. [المترجم].

## الكذب بين الدول

البروسية<sup>(\*)</sup> الإسبانية في العام 1870 واحدا من أشهر أنواع الاستفزاز الذي يعطي فيه الحاكم المبرر لدولة أخرى حتى تهاجم دولته<sup>(25)</sup>. وقد فعلها بإطلاق أكاذيب مصوغة بشكل محكم. كان المستشار البروسي ملتزما بتوحيد ألمانيا، وكان يعلم أن استفزاز فرنسا حتى تعلن الحرب عنى بروسيا، أو حتى اختلاق أزمة كبيرة لدفع فرنسا إلى حالة فوضى، سيساعد في تحقيق هدفه. ولتحقيق ذلك سعى سعيًا حثيثًا في ربيع العام 1870 إلى تنصيب أمير من بروسيا على عرش الحكم في إسبانيا، مدركًا أن ذلك سيثير غضبا عارما في فرنسا. ومع ذلك، وجدناه ينكر أي دور له في تلك المؤامرة، وكان إنكاره ذاك كذبا.

وقد أطلق بسمارك كذبة أخرى أكبر، وأكثر أهمية، عندما «تلاعب» في رسالة إيمس (Ems Dispatch) الشهيرة من القيصر فيلهلم الأول<sup>(\*\*)</sup> إلى نابليون الثالث<sup>(\*\*\*)</sup>. فبعد فشل محاولته تنصيب الأمير البروسي على عرش إسبانيا، طالب الفرنسيون القيصر بأن يتعهد بعدم تكرار ذلك مرة أخرى. بيد أن القيصر رفض ذلك في رده المكتوب، ولكنه ترك الباب مفتوحا لمفاوضات لاحقة. وخشية من أن يؤدي ذلك الوضع إلى حل سلمي للأزمة، تلاعب بسمارك بصياغة مسودة رسالة القيصر، ليبدو الأمر كأن القيصر لم يقل «لا» فقط، بل حتى ليبدو كأنه أغلق الباب نهائيا أمام أي نقاش بشأن الموضوع مستقبلا. وعندما نُشر التلغراف «المعدل»، نتج عنه غضب عارم في كل أرجاء فرنسا. وبعدها بفترة وجيزة أعلن نابليون الثالث، في حماقة ظاهرة، الحرب على بروسيا.

النوع السابع من الأكاذيب هو عندما يؤدي قلق دولة ما من أن حلفاءها لن يأخذوا خطر الدولة المنافسة لها مأخذ الجد، إلى الكذب عبر المبالغة في إمكانيات تلك الدولة الحربية، أو سلوكها العدواني، حتى تثير انتباه حلفائها إلى الخطر. ولقد لجأت حكومة الرئيس بوش إلى هذا النوع من الكذب في العام 2005، عندما شعرت بأن الصين

(\*) مملكة بروسيا وُجدت منذ العام 1525 حتى العام 1918، ثم تقاسمتها ست دول من فرنسا إلى روسيا. [المترجم].  
(\*\*) فيلهلم الأول توج في العام 1861 ملكا على بروسيا، ثم أصبح في العام 1871 أول قيصر ألماني في الرايخ الثاني بعد توحيد ألمانيا على يد بسمارك [المترجم].  
(\*\*\*) نابليون الثالث، هو لويس نابليون بونابارت وريث نابليون الأول. ولد في العام 1808 وتوفي في العام 1873. صار رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية من العام 1848 وحتى العام 1852، وكان أول رئيس لفرنسا يُنتخب بالتصويت المباشر، عندما منعه الدستور والبرلمان من الترشح لفترة ثانية، نظم انقلابا في العام 1851 وأعلن نفسه إمبراطورا بلقب نابليون الثالث في العام 1852. [المترجم].

واليابان وكوريا الجنوبية لم يقدروا جدية الخطورة التي تشكلها كوريا الشمالية<sup>(26)</sup>. ولكي تستثير انتباههم، بعثت الحكومة الأمريكية بموظفين من مجلس الأمن الوطني إلى آسيا ليدعوا بأن كوريا الشمالية قد باعت لليبيا مادة اليورانيوم (يورانيوم هيكسافلورايد)، وهو مكون أساس لصناعة أسلحة نووية. بيد أن ذلك لم يكن صحيحا. فقد كانت باكستان، وليست كوريا الشمالية، هي التي باعت المادة إلى ليبيا. وعلى الرغم من أنه من الممكن أن تكون باكستان قد أخذته في الأصل من كوريا الشمالية، فلا يوجد دليل موثق بأن بيونغيانغ أعطته لإسلام آباد، مع علمهم بأنه سيؤول في نهاية الأمر إلى ليبيا. والحقيقة أن الدليل المتوافر يشير إلى أن الصفتين منفصلتان.

وهناك نوع ثامن من أنواع الكذب بين الدول، وهو عندما يحاول الزعماء التضليل لتسهيل عمليات التجسس أو التخريب في وقت السلم، وكذلك للتخفيف من مغبة السقوط دوليا في حالة اكتشاف فعلتهم في التجسس والتخريب. مثلا، كذب عندما كذبت الولايات المتحدة بخصوص طائرتها التجسس «يو - 2»، التي كان يقودها غاري باورز وأسقطت في الأراضي السوفيتية في ربيع العام 1960. كان الرئيس الأمريكي آيزنهاور حينها على وشك التوجه إلى فرنسا لمقابلة الزعيم السوفيتي خروتشوف لعقد اتفاقية منع اختبار السلاح النووي، وقد أكد بوضوح أنه لا يريد أن يدخل في أي نقاشات أو تعقيدات بخصوص طائرات «يو - 2» المثيرة للجدل. وبعد إسقاط الطائرة أعلم الرئيس بأنها مزودة بألية تحطيم ذاتية، ما يؤكد عدم نجاة الطائرة وقائدها باورز. لذا، وبعد أن أعلن خروتشوف إسقاط الطائرة، صرحت الحكومة الأمريكية بأن الطائرة ليست تجسس، بل طائرة أرصاد جوية تابعة لـ «ناسا» ضلت طريقها في الأجواء السوفيتية. وعندما عثر الروس على قائد الطائرة غاري باورز وأظهروه للعلن، صرحت الحكومة الأمريكية، مرة ثانية، بأنه من المحتمل أن يكون قد فقد وعيه نتيجة لقلة الأوكسجين وتاه في الأجواء السوفيتية. وأخيرا أجبرت واشنطن على الاعتراف بأن باورز كان في مهمة تجسس في الأراضي السوفيتية.

ولكن لم تكن هذه هي نهاية الكذبة، فقد اختلقت حكومة آيزنهاور قصة فحواها أن الرئيس قد وافق على برنامج التجسس، بيد أنه لم يشترك شخصا في التخطيط لإطلاق الطائرات. غير أن آيزنهاور اعترف لاحقا بالقول «إن كل التعليمات الخاصة بالدخول والتوغل جرى تنفيذها بعلمي وموافقتي»<sup>(27)</sup>.



وتمثل فضيحة لافون<sup>(\*)</sup> المشينة، المتورطة فيها إسرائيل، مثالا آخر على هذا النوع من أنواع الكذب بين الدول. ففي العام 1954 سعت إسرائيل إلى تخريب علاقة مصر مع بريطانيا والولايات المتحدة، وذلك بزرع شبكة جاسوسية إسرائيلية داخل مصر لهدم وتخريب المنشآت البريطانية والأمريكية وجعلها تبدو وكأن المصريين هم المسؤولون عن ذلك التخريب. وبعد تفجير مكتبتي مركز المعلومات الأمريكي في الإسكندرية والقاهرة وضرب بعض الأهداف الأخرى في أماكن متعددة، انفرط عقد الخطة التآمرية، وجرى القبض على المخربين. ولم يكن بالمستغرب أن يصرح رئيس الوزراء الإسرائيلي موسى شاريت كذبا بأن «المسألة برمتها هي مكيدة دنيئة دُبرت في الإسكندرية، وأن محكمة صورية عُقدت لمحاكمة مجموعة من اليهود الذين سقطوا ضحية لاتهامات كاذبة»<sup>(28)</sup>.

في النوع التاسع، تكذب الدول لتحسين وضعها العسكري في أثناء تجهيزها للعمليات العسكرية في زمن الحرب. ففي الحرب العالمية الثانية، مثلا، أُطلق البريطانيون حملة تضليل واسعة ضد ألمانيا النازية كان الكذب فيها أمرا عاديا. في هذا السياق، قال تشرشل كلمته الشهيرة: «في زمن الحرب يصبح الصدق شيئا ثميناً، لا بد أن يحاط بسياج من الأكاذيب»<sup>(29)</sup>. ولم يكن البريطانيون استثناء في هذا الشأن، فقد أكد الرئيس الأمريكي روزفلت في العام 1942 أنه «على استعداد أن يضل ولا يقول الصدق إذا كان ذلك يساعده في كسب الحرب»<sup>(30)</sup>. وفي الحقيقة، فقد انتهج كل المشاركين في الحرب العالمية الثانية حملات الكذب الإستراتيجية ضد منافسيهم. وتُعتمد هذه الإستراتيجية بالفعل في كل حرب<sup>(31)</sup>.

أما النوع العاشر من الكذب بين الدول، فيحدث حين يلجأ القادة إلى الكذب للخروج بأفضل النتائج لمصلحة دولهم في أثناء التفاوض بشأن الاتفاقيات والمعاهدات الرسمية الأخرى. ولربما يكذبون على نظرائهم في التفاوض بخصوص أملاكهم أو قدراتهم، وأكثر من ذلك، ربما يخادعون بشأن السعر التحفظي - الذي فوقه أو تحته لا يمكن أن يتم أي اتفاق. ومن المتوقع أن نجد نماذج كثيرة من هذا النوع من الكذب في مواقع عديدة، منها حظر السلاح ومفاوضات وقف الحرب

(\*) نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، بنحاس لافون (1904 - 1976)، وعرفت أيضا باسم «عملية سوزانا». [المحررة].

على الصعيد الأمني، والديون العالمية، والتعاملات التجارية في الجانب الاقتصادي. وعلى كل، فإن هذا هو ما يحصل بالضبط عندما يريد الأفراد أن يتفاوضوا على شراء عربة أو منزل. كذلك فإن «النظرية التفاوضية»، التي جذبت انتباه الباحثين في العلاقات الدولية في السنين الأخيرة، تتوقع الكثير من الكذب والخداع في مثل هذه الظروف. «إن قوة التفاوض»، بكلمات توماس شيلينغ الحائز جائزة نوبل في الاقتصاد، «هي القوة في الخداع والتمويه»، والتمويه، بالطبع، هو «تقديم معلومات غير صحيحة»<sup>(32)</sup>.

غير أنني، ولدهشتي الكبيرة، لم أستطع أن أجد إلا عددا قليلا من الرؤساء والديبلوماسيين، يخدعون أو يكذبون بعضهم على بعض في مفاوضات إبرام العهود والاتفاقيات الأخرى<sup>(33)</sup>. من المحتمل أن تكون هناك حالات كثيرة، لكن إن كانت الحال كذلك، فمن المؤكد أنها قد أخفيت تماما ولم تعد موجودة في سجلات التاريخ. إذ عندما ينبجج الفرد في خداع شخص آخر، يكون من غير المعقول أن يتفاخر بذلك بعد واقعة الخديعة مباشرة<sup>(34)</sup>، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى مطالبة الطرف المخدوع بإعادة التفاوض بشأن الاتفاق أو امتناعه عن أي اتفاقيات مستقبلية مع الطرف المخداع. ولكن هذا النوع من النقاش ليس منطقيا - كما ذكرت سابقا - لأنه ليس من السهل أن تُخفى الكذبة زمنا طويلا. فمن الصعب أن نصدق أن الخديعة في المفاوضات الدولية أمر وارد ومتكرر عبر الزمن، من دون أن تكشف من هذه الأكاذيب سوى حالات بسيطة<sup>(35)</sup>.

إحدى الحالات التي كُشفت هي ذات علاقة باليونان، عندما حاولت أن تغطي على عجز ميزانيتها حتى يتسنى لها الدخول في منطقة اليورو<sup>(36)</sup>. فوفق قواعد الاتحاد الأوروبي، يسمح للدولة العضو بأن تستخدم اليورو كعملتها، إذا استطاعت أن تحافظ على ميزان العجز عند أقل من 3 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي. وعندما كان يجري تقييم اليونان في أواخر التسعينيات لاحتمال دخولها إلى منطقة اليورو، كان عجزها قد تجاوز بكثير السقف المطلوب. وللتعامل مع هذه المشكلة كذبت أثينا بشأن أرقامها للسنوات المطلوبة، مدعية أن عجزها أقل من 3 في المائة، في حين أنه لم يكن كذلك. وقد نجحت مغامرتها، واستطاعت أن تستخدم اليورو كعملة لها في العام 2001.

كما كذبت الولايات المتحدة الأمريكية على حلفائها في أوروبا الغربية (فرنسا وألمانيا وإيطاليا ودول البنلوكس<sup>(\*)</sup>) في بداية الخمسينيات، لكي يصادقوا على اتفاقية الدفاع المشترك الأوروبية، والتي وقعوا عليها في مايو 1952. وقد أيدت حكومة الرئيس آيزنهاور المصادقة بشدة على أمل أن تساعد هذه الخطوة على التوازن مع الاتحاد السوفيتي، وتمكن أمريكا من سحب معظم قواتها من أوروبا الغربية. وكما وصفها المؤرخ مارك تراكتنبرغ فإن «النقطة الأساسية في هذه الاتفاقية هي دمج فرنسا وألمانيا لتصبحا النواة القوية في هذا الاتحاد لمواجهة روسيا، وبالتالي يسهل على أمريكا سحب قواتها في القريب العاجل»<sup>(37)</sup>.

لكن الشك قد انتاب الدول الأوروبية الحليفة بأن دعم أمريكا لمسألة التصديق على اتفاقية الدفاع المشترك نابع في الأساس من رغبة واشنطن القوية في سحب قواتها من أوروبا، وهو ما لم تكن تريده معظم الدول الأوروبية، وخصوصا فرنسا. وللتعامل مع تلك المعضلة، ظلت حكومة الرئيس آيزنهاور تؤكد مرارا وتكرارا لحلفائها أن التصديق على الاتفاقية لا يعني سحب القوات الأمريكية، بينما لم تكن تلك التصريحات صادقة. ولما تسربت الأخبار إلى الصحافة عن نوايا الأمريكيين، كان وزير الخارجية جون فوستر دالاس، كما قال أحد الباحثين، «مستعدا لأن يكذب علنا مدعيا عدم وجود أي خطة معدة لسحب القوات الأمريكية من أوروبا»<sup>(38)</sup>.

### متى تكذب الدول بعضها على بعض؟

هناك أربعة ظروف يكون فيها الكذب محتملا بين الدول، بيد أن ذلك لا يعني أن القادة يكذبون بشكل متكرر في مثل هذه الأوضاع. تميل الدول التي تعيش في مناطق الصراع الخطرة، والتي يكون فيها التنافس الأمني حادا، إلى الكذب أكثر من الدول التي تعيش في مناطق آمنة نسبيا. وتعود هذه النزعة أساسا إلى القيمة العالية التي تضعها الدولة لبقاتها. وبالطبع، فالدول التي تعيش في مناطق النزاع يتولد لديها شعور بعدم الأمان والاطمئنان، وأنها دائما معرضة ومكشوفة

(\*) دول البنلوكس هو اتحاد اقتصادي أبرم في العام 1944 يضم 3 ممالك هي بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. والاسم مشتق من الحروف الأولى لكل دولة. [المترجم].

أمام العدو، ولذلك تلجأ إلى كل الطرق والإستراتيجيات المتاحة لتقوية سبل الأمن. باختصار، يكون الكذب سهلاً لزعماء يظنون أنهم يعيشون في عالم «هوبزوي»<sup>(\*)</sup>. كذلك يكون القادة أكثر قابلية للكذب في الأزمات مقارنة بأوقات الهدوء النسبي. فالدولة التي تسعى دائماً إلى تجنب الحرب، تكون دوافعها قوية لنشر الأكاذيب والدعايات إن كان من شأن ذلك أن ينهي الأزمة من دون الدخول في الحرب. من جانب آخر، سيكذب الزعيم الذي يصر على تحويل أزمة إلى حرب بالتأكيد، إن كان يعتقد أن تلك الأكاذيب ستهيئ الظروف لشحن الحرب والانتصار فيها. ولا ننكر في هذا المجال أن كلا من الطرفين المتنازعين، يكون في حالة شك وتوجس من تصريحات الطرف الآخر، مما يجعل إطلاق الأكاذيب المقنعة أمراً صعباً، وإن لم يكن مستحيلاً. علاوة على ذلك، نجد أن الكذب يتفشى بين الدول في زمن الحرب أكثر منه في زمن السلم. ففي كتابه الصادر في العام 1928 عن الكذب في الحرب العالمية الأولى، يذكر السياسي البريطاني آرثر بونسونبي أنه «لا بد أن يكون هناك كذب كثير متعمد قد وقع من العام 1914 إلى العام 1918 أكثر من أي وقت آخر في تاريخ العالم»<sup>(39)</sup>. وعلى الرغم من أنه من الصعب عملياً إثبات هذا الادعاء، لأنه من غير الواقعي حساب وجمع كل الأكاذيب الدولية التي قيلت عبر الزمن، فإنه من المؤكد أن هناك كما كبيراً من الكذب في الحرب العالمية، كما أكد بونسونبي وآخرون. وفي الوقت نفسه فإنه من الصعب التفكير في حقبة امتدت خمس سنوات في القرن الماضي قبل العام 1914 شهدت اقتتالاً في أوروبا استخدم فيها الكذب بالمستوى الذي شاهدناه في الحرب العالمية الأولى.

وليس من المستغرب أن يلجأ الحكام إلى الكذب عندما يبدأ إطلاق النار فعلياً. فالحرب خطيرة، حيث تجد نخب السياسة الخارجية أن وجود بلادهم صار على المحك. لكن، حتى في النزاعات الأقل خطورة - مثل وضع الولايات المتحدة في فيتنام، أو وضع الاتحاد السوفييتي في أفغانستان - فإن القادة عادة ما يعتقدون أن الهزيمة، أياً كانت، تسبب أضراراً بالغة للمصلحة الوطنية. هذا النوع من التفكير يجعل تبرير الكذب مهمة سهلة للقادة. كذلك فإن هناك فرصاً كثيرة للكذب

(\*) نسبة إلى الفيلسوف توماس هوبز، ويعني السيادة المطلقة للسلطة. [المترجم].

في أثناء الحرب، مادامت الحروب تحتوي على عدة اشتباكات، على الصعيدين السياسي والحربي، يكون فيها الحافز على خداع الغير قويا جدا. لذا يصبح الخداع جزءا لا يتجزأ من الحرب.

وأخيرا، من الأرجح أن يكذب القادة على الدول المنافسة أكثر مما يكذبون على الدول الصديقة. «الصدق للأصدقاء، والكذب للأعداء» كما قال أحد الباحثين منذ سنوات طويلة<sup>(40)</sup>. وبالتعريف، فإن المنافس أكثر خطورة من الصديق، ولا بد من وجود طرق تجعلك متفوقا على الخصم أكثر من تفوقك على الصديق. والكذب أحيانا يؤدي هذا الغرض. ولأن الدول الحليفة عادة تساعد حليفاتها في التعامل مع منافس عنيد، يكون هناك حافز قوي للدول للمحافظة على علاقات جيدة مع الحلفاء، ولبناء بعض الثقة معهم، فيصبح الكذب سلعة كاسدة ولا ضرورة لها. بالطبع قد يؤدي توافر الثقة بين الحلفاء أكثر منها بين الدول المتنافسة إلى تمرير نوع من الكذب اليسير البسيط بينهم من دون أن يؤثر في العلاقة القائمة. وتبقى الحقيقة الماثلة أنه حتى في حالة الكذب اليسير بين الحلفاء فإنه قد يضعف الثقة ويفسد الشراكة إن تم اكتشافه، مما سيؤدي إلى الإضرار بالدولة التي أطلقت الكذبة.

ولا ننكر أن الدول تتوصل إلى اقتناع أحيانا بضرورة خداع حلفائها خدمة لمصالحها الإستراتيجية، لأننا لا نجد دولتين متطابقتين في المصالح - بما في ذلك الحلفاء - وفي زمن الأزمات نجد أن بعض الدول تتخلى عن حليفاتها، أو حتى أحيانا تنقلب عليها. فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد. ولنتذكر أن الاتحاد السوفييتي قد هاجم اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد أن أعطى طوكيو ضمانا كاذبا بعدم نيته الهجوم. إن غياب التحالفات الدائمة يوضح لنا أسباب قيام النظام العالمي على الفردية المطلقة. وهذا المنطق المصلحي الذاتي يوضح لنا لماذا كذبت إسرائيل على أمريكا في الستينيات بخصوص تطوير أسلحتها النووية. فزعما إسرائيل قد آمنوا منذ زمن إيمانا قاطعا بأنه من الضروري المحافظة على علاقتهم الجيدة مع الولايات المتحدة. ولكن من الواضح أنهم شعروا بشكل أقوى بأهمية امتلاك إسرائيل الرادع النووي لتأمين بقائها، حتى لو اضطرها ذلك إلى الكذب على الولايات المتحدة.



## إثارة الذعر

يستخدم أسلوب «إثارة الذعر»، عندما يرى قادة الدولة خطرا محدقا بهم، ولا يتمكنون من إقناع الشعب برؤية الذئب المائل أمام أبوابهم، من دون اللجوء إلى حملات الخديعة. كان وزير الخارجية دين آتشيسون يعاني قلقا شديدا لإحساسه بأن الشعب الأمريكي لا يعبر الخطر الآتي من الاتحاد السوفيتي (في أواخر الأربعينيات) اهتماما كافيا، ولذا كان يرى أنه من الضروري أن يحرص القادة الأمريكيون على أن يكونوا «أوضح من الحقيقة»، وإلا فإنهم لن ينجحوا في الحصول على دعم الشعب لتنفيذ الإجراءات التي كان يراها ضرورية للتعامل مع هذا التهديد<sup>(1)</sup>. ولم يكن الهدف من ذلك هو خداع رجل الشارع البسيط فقط، بل رجال الطبقة المتعلمة المستنيرة، بمن فيهم الخبراء في الشؤون الخارجية الذين ربما يميلون إلى تقليل أهمية التهديد بأساليب خطيرة. ومن الممكن

يتضح لنا جوهر إستراتيجية إثارة الذعر في تصريح شهير لكمال أتاتورك: «من أجل الشعب، رغما عن الشعب»

أيضا توجيه حملات إثارة الذعر إلى موظفي الدولة الذين - ربما - يميلون أيضا إلى تلطيف الأمر وتهوين الخطر، على عكس ما يرى قادة الدولة. وعلى الرغم من كون هذا السلوك منبوذا، فإن القادة يلجأون إليه لظنهم أنه يخدم المصلحة العامة، وليس لمكاسب شخصية. ويتضح لنا جوهر إستراتيجية إثارة الذعر في تصريح شهير لكهال أتاتورك «من أجل الشعب، رغما عن الشعب»<sup>(2)</sup>.

إن القادة الذين يستخدمون أسلوب إثارة الذعر قد يستهدفون إثارة حالة خوف غير موجودة في مخيلة الشعب، أو - في أغلب الأحوال - نجدهم يبالغون في تضخيم أثر تهديد موجود فعلا، ولكنه يخرج عن الدوائر الحكومية. ويتلخص الهدف النهائي من وراء ذلك في الحصول على دعم شعبي لزيادة الإنفاق العسكري، أو زيادة التوظيف في الجيش، أو دعم التجنيد الإجباري. كما يمكن أن يستخدم تضخيم التهديد للحصول على دعم لشن حرب على عدو متربص. وعلى الرغم من أن إثارة الذعر تظهر عادة في زمن السلم، فإنها يمكن أن تستخدم في أثناء سير الحرب، إذا شعر القادة الرؤساء بأن الشعب قد تراخى في دعمه المعنوي، أو إذا تنصل الجيش من التزامه القتالي.

وقد أدت إستراتيجية إثارة الذعر دورا مهما في السياسة الخارجية الأمريكية في السبعين سنة الماضية؛ فقد لجأت ثلاث حكومات أمريكية إلى استخدام تلك الإستراتيجية لجر الشعب الأمريكي المتردد إلى الحرب. وكما أشرنا سابقا، فقد كذب الرئيس روزفلت في حادثة السفينة الحربية الأمريكية (Greer)، في أواخر صيف العام 1941، لاستثارة الرأي العام الأمريكي ضد الألمان، على أمل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية<sup>(3)</sup>. كانت السفينة الحربية تعمل في منطقة شمال الأطلسي، وحدث أن التحقت بها طائرة حربية بريطانية لتتبعها وترصد غواصة ألمانية. فكان أن ألقت الطائرة قذائف عميقة، ولكنها اضطرت إلى الرجوع إلى قواعدنا لنضوب الوقود. بيد أن السفينة «غرير» استمرت في تتبع الغواصة التي لم تتعطل من ضربات الطائرة البريطانية، فكان أن ردت الغواصة بدورها بإطلاق توربيدو على المدمرة الأمريكية التي ردت بدورها على الغواصة بقذائف عميقة، ولم تصب أي منهما الأخرى. ثم عادتا إلى الاشتباك بعد ساعات قلائل، وأيضا من دون خسائر للطرفين.



وبعد أسبوع من تلك الحادثة خاطب الرئيس روزفلت الشعب الأمريكي من خلال الراديو، فأطلق ثلاث كذبات، فذكر بوضوح أن الهجوم على المدمرة الأمريكية حدث من دون استفزاز من جانبها، ولم يتطرق إلى الطائرة البريطانية التي أطلقت النار أولاً، فضلاً عن تتبع المدمرة الأمريكية قبل رد الغواصة على المدمرة<sup>(4)</sup>، وذكر أيضاً أن الغواصة الألمانية هي التي أطلقت النار أولاً ومن دون سابق إنذار، مع سبق الإصرار على إغراق المدمرة «في المياه الأمريكية الدفاعية»، وانتهى بالقول بأن هذا الفعل هو «قرصنة، أخلاقياً وقانونياً»<sup>(5)</sup>.

كما أصر روزفلت على أن هوية المدمرة كانت واضحة بالنسبة إلى الغواصة الألمانية. بيد أن الحقيقة كانت خلاف ذلك، حيث أبلغ مسؤولو البحرية الأمريكية روزفلت - قبل يومين من الحادث - بأنه «لا يوجد أي دليل على علم الغواصة بجنسية المدمرة التي كانوا يطلقون النار عليها». وأخيراً صرح روزفلت بأنه «لا ننوي البدء بأي حرب مع هتلر ولا نسعى إليها الآن». ولكن الحقيقة أنه قد قابل تشرشل في الشهر السابق على وقوع هذا الحادث (أغسطس)، ونقلنا عن رئيس الوزراء البريطاني، فقد «أخبره بأنه سوف يشن الحرب على ألمانيا من دون أن يعلنها، وبأنه سوف يزيد تدريجياً من الأعمال الاستفزازية... وسيعمل كل ما في وسعه لكي يصنع حدثاً. كان الرئيس واضحاً بأنه يبحث عن ذريعة تعطيه المبرر لبدء الأعمال العدائية». وهكذا، جاءت حادثة المدمرة «غرير» لتعطيه المسوغ الكافي لتحقيق هدفه، ولكنها لم تحقق له رغبته في الدخول في الحرب العالمية الثانية. كان هجوم اليابان على «بيرل هاربر»، في 7 ديسمبر من العام 1941، مشفوعاً بإعلان هتلر الحرب على أمريكا، بعد أربع سنوات من الهجوم الياباني، هو الذي حقق دخول أمريكا الحرب.

جاء تصرف الرئيس ليندون جونسون ومستشاريه في السياسة الخارجية في أثناء حادثة خليج تونكين، في أوائل أغسطس 1964، مشابهاً تماماً لسلوك الرئيس روزفلت خلال حادثة المدمرة «غرير»<sup>(6)</sup>. كانت تداعيات الأحداث في فيتنام الجنوبية تسير من سيئ إلى أسوأ بالنسبة إلى الولايات المتحدة. وقد حاول جونسون أن ينقذ الوضع بتصعيده الحرب ضد فيتنام الشمالية، لكنه أدرك - في المقابل - أن الرأي العام الأمريكي غير متحمس لخوض حرب كبيرة في جنوب شرق آسيا، وأدرك في نهاية

الأمر أنه في حاجة إلى تفويض من الكونغرس ليمنحه الصلاحية لخوض حرب شاملة على فيتنام الشمالية. وبالفعل جاءت الفرصة المواتية للحصول على دعم الكونغرس لخطوات جونسون التصعيدية في 4 أغسطس 1964، عندما وصلت معلومات إلى واشنطن، بأن سفن مراقبة تابعة لفيتنام الشمالية قد هاجمت المدمرة الأمريكية مادوكس (Maddox) في خليج تونكين ولم يضع الرئيس وقته، حيث استطاع في 7 أغسطس تمرير قرار خليج تونكين من خلال الكونغرس. وقد منح ذلك القرار الرئيس جونسون تفويضا مطلقا لشن الحرب على فيتنام الشمالية.

وفي حقيقة الأمر فإن حكومة الرئيس جونسون اختلقت كذبتين عما حدث في مياه شواطئ فيتنام الشمالية، كانت الكذبة الأولى هي إصرار الرئيس ومساعديه وتعمدهم إعطاء انطباع بأن هجوما فعليا قد حدث في 4 أغسطس، ولا مجال للشك فيه، فعلى سبيل المثال، رد الرئيس جونسون على احتجاج الزعيم السوفييتي خروتشوف بأن لديه «دليلا كاملا وغير قابل للنقض» بأن الفيتناميين الشماليين كانوا قد هاجمو «مادوكس»<sup>(7)</sup>، وفي السياق ذاته، أكد روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع، للسيناتور بورك هيكنلوب في 4 أغسطس أن «الدليل على الهجوم دليل قاطع تماما»<sup>(8)</sup>. وقد أقر مقترح مشروع القرار الذي أرسلته الحكومة الأمريكية إلى الكونغرس في الخامس من أغسطس في سرية، بأن الفيتناميين الشماليين «هاجموا القطع البحرية للولايات المتحدة بشكل متعمد ومتكرر»<sup>(9)</sup>.

بيد أن الحقيقة هي أنه وبعد ساعات من الإعلان عن الهجوم المزعوم، تساءل قائد المدمرة مادوكس في تقريره عما إذا كان هناك هجوم قد وقع بالفعل<sup>(10)</sup>؛ ففي 4 أغسطس، وفقا للمؤرخ فريدريك لونغفول، ضغط الرئيس جونسون بشدة على ماكنمارا «ليتحري بدقة عن الحادثة»، وقد فعل ذلك لأنه يعلم أن هناك شكوكا فيما إذا كان ذلك الهجوم قد حدث فعلا<sup>(11)</sup>. وفي صبيحة اليوم التالي أبلغ ماكجورج بندي، مستشار الأمن القومي، موظفيه بأن «الدليل الذي بين يديه اليوم أضعف مما كان عليه في أمس»<sup>(12)</sup>. وفي اليوم التالي أيضا (6 أغسطس) أبلغ والت روستاو، نائب بندي، المجتمعين في وزارة الخارجية «بأنه من غير المحتمل أن يكون هناك هجوم قد حدث في الرابع من أغسطس»<sup>(13)</sup>. وعندما علم بندي بما قاله نائبه روستاو، قال إنه عليه أن «يغلق فمه»<sup>(14)</sup>. وباختصار، فقد كان كذبا القول بأن الولايات المتحدة

لم يكن لها أي شكوك عما إذا كان هنالك هجوم قد وقع بالفعل على مادوكس في الرابع من أغسطس.

أما الكذبة الثانية، فتتعلق بادعاء حكومة الرئيس جونسون بأن مادوكس كانت مجرد «دورية استكشافية» روتينية في خليج تونكن، وأن الهجوم المزعوم عليها كان «متعمدا ومن دون استشارة»<sup>(15)</sup>. في حقيقة الأمر فإن مادوكس كانت موجودة في تلك المياه في مهمة تجسسية، لجمع معلومات لمصلحة قوات فيتنام الجنوبية التي كانت تهاجم ساحل فيتنام الشمالية في تلك الأيام، وليس من المستغرب أن يدرك معظم صانعي القرار في السياسة الأمريكية أن هانوي ستعامل مع المدمرة الأمريكية على أنها جزء من تلك الهجمات<sup>(16)</sup>. على الرغم من أن الدليل لم يكن قويا، فإنه يمكن القول باحتمال أن أمريكا كانت تسعى إلى استفزاز فيتنام الشمالية لكي تهاجم مادوكس<sup>(17)</sup>، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان روبرت ماكنمارا يكذب حتما عندما أبلغ الكونغرس في 4 أغسطس أن «أسطولنا البحري لم يكن جزءا من الهجمات، ولم تكن له علاقة بفيتنام الجنوبية، ولم يكن على علم بأي تحركات فيتنامية جنوبية، إن كانت هناك أي تحركات أصلا... أقولها بكل وضوح، هذه هي الحقيقة»<sup>(18)</sup>.

وقبل هجومها على العراق في 19 مارس 2003، انغمست حكومة الرئيس بوش في إثارة الذعر. ليس هناك أدنى شك في أن الرئيس بوش ومستشاريه الرئيسيين كانوا مقتنعين تماما بأن صدام حسين يشكل خطرا، وأنه لا بد من إزاحته عن الحكم عاجلا قبل أجل. وفي الوقت نفسه، كانوا يدركون أن عامة الشعب الأمريكي غير متحمس لغزو العراق. وعلاوة على ذلك لم يكن الجيش الأمريكي نفسه، والمخابرات، ووزارة الخارجية والكونغرس ميالين إلى الحرب. وللتغلب على حالة الممانعة لغزو العراق، لجأت حكومة الرئيس بوش إلى حملات الكذب والتضخيم والمبالغة في الخطر الذي يشكله صدام، واشتملت تلك الحملات على التلفيق والكتمان والكذب الصريح على الشعب الأمريكي. وسوف أتناول أربع أكاذيب أساسية:

**الكذبة الأولى** أطلقت برأسها في 27 سبتمبر 2002، حين قال وزير الدفاع دونالد رمسفيلد، إنه يملك دليلا «لا يخرقه الرصاص» بأن صدام قد عقد حلفا وثيقا مع أسامة بن لادن<sup>(19)</sup>، ولكنه في حقيقة الأمر، لم يكن يملك أي دليل، وقد اعترف بذلك في 4 أكتوبر 2004، في أثناء حديثه لمجلس العلاقات الخارجية بقوله: «وفق معلوماتي،

فإنني لم أطلع على أي دليل فعلي وقوي يربط بين الاثنين<sup>(20)</sup>. وفي السياق ذاته، أقرَّ وزير الخارجية كولن باول الذي كان قد زعم قبل الحرب بأن أسامة بن لادن في «تحالف مع العراق»، وأن هناك «علاقة مشبوهة بين العراق والشبكة الإرهابية لتنظيم القاعدة»، واعترف في يناير 2004 بأنه: «لم أجد دليلاً قاطعاً على العلاقة بينهما، ولكن يظل وجود العلاقة احتمالاً قائماً، ولذا كان من الحكمة والحيطه أن نأخذ الأمر مأخذ الجد كما فعلنا في ذلك الوقت»<sup>(21)</sup>.

كان لدى حكومة الرئيس بوش دليل قاطع قبل الحرب بأن أسامة بن لادن وصدام لم يعملوا معاً. فكما ذكرنا آنفاً، هناك شخصيتان مهمتان في تنظيم القاعدة أُلقي القبض عليهما بعد الحادي عشر من سبتمبر، واستُجوباً على انفراد، ذكر أنه لا علاقة بين الاثنين. وعلاوة على ذلك، لم تستطع المخابرات المركزية ولا مخابرات الدفاع أن تجدا دليلاً قاطعاً ومنطقياً على تلك العلاقة قبل غزو الولايات المتحدة العراق<sup>(22)</sup>. كما لم تستطع اللجنة الخاصة بالتحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن تكشف النقاب عن التآمر والتحالف بين القيادتين<sup>(23)</sup>.

الكذبة الثانية ظهرت حين زعم مهندسو الحرب على العراق بأن الولايات المتحدة تملك الدليل القاطع، وعن يقين، على أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل، في حين أن ذلك لم يكن صحيحاً. وبالطبع كانت هناك مبررات منطقية للشك في احتمالية امتلاك صدام أسلحة كيميائية وبيولوجية، ولكنه لم يكن هناك دليل مباشر على ذلك. في الواقع، عندما التقى رمسفيلد والجنرال تومي فرانكس بالرئيس بوش ليعطياه تقريراً عن الوضع في 6 سبتمبر 2002، قال فرانكس: «السيد الرئيس، لقد بحثنا عن صواريخ سكود، وأسلحة أخرى من أسلحة الدمار الشامل لعشر سنوات ولكننا لم نجد شيئاً حتى الآن. لذا فلا أستطيع إبلاغك بأنني أعلم عن وجود أي أسلحة بالتحديد في أي مكان. فلم أرَ أي سكود»<sup>(24)</sup>. كما لم تستطع هيئات المخابرات أيضاً، أن تجد الدليل على أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل<sup>(25)</sup>. وأكثر من ذلك، لم يعثر مفتشو منظمة الأمم المتحدة على أي دليل بين نوفمبر 2002 ومارس 2003، على الرغم من الحرية المطلقة الممنوحة لهم لتفتيش أي بقعة داخل العراق. وطبعاً، لو كانت الحكومة الأمريكية تعلم مكان تلك الأسلحة، لكانت قد أبلغت المفتشين الدوليين بذلك.

وعلى الرغم من غياب الدليل الدامغ، فإن نائب الرئيس ديك تشيني قد أكد في اجتماع للمحاربين القدامى، في أواخر أغسطس 2002، أنه «لا شك في أن صدام يمتلك الآن أسلحة الدمار الشامل. ليس هناك شك في أنه يجهزها ليستخدمها ضد أصدقائنا، وضد حلفائنا، وضدنا»<sup>(26)</sup>. وبعد شهر من هذا التصريح أدلى وزير الخارجية كولن باول بالتصريح نفسه: «لا شك في أن صدام يملك مخزوناً من أسلحة كيميائية»<sup>(27)</sup>. وفي الخامس من فبراير 2003 صرح باول للأمم المتحدة: «من الواضح أنه لم يعد هناك شك في أن صدام يمتلك أسلحة بيولوجية، كما يمتلك القدرة على إنتاج مزيد ومزيد منها»<sup>(28)</sup>. وفي الاتجاه نفسه، فقد صرح الرئيس بوش، في 17 مارس 2003، بأن «المعلومات التي جمعت من حكومتنا وحكومات أخرى، لا تدع مجالاً للشك في أن النظام العراقي مستمر في تملك وإخفاء أخطر ما عرف العالم من أسلحة»<sup>(29)</sup>. وفي الشهر نفسه، ذهب رمسفيلد إلى ما هو أبعد من ذلك، حين أعلن أن الولايات المتحدة تعلم أن صدام حسين يملك أسلحة الدمار الشامل «وتعلم مكان هذه الأسلحة»<sup>(30)</sup>. إن مثالا آخر لهذا النوع من الخداع هو ادعاء نائب الرئيس تشيني، في 8 سبتمبر 2002: «نحن نعلم، بأعلى درجات اليقين المطلق، بأنه [أي صدام] يستخدم قدرات الشراء المتاحة لديه للحصول على الأجهزة التي يريدتها لتخصيب اليورانيوم لبناء سلاح نووي»<sup>(31)</sup>، وقد كانت الأجهزة التي أشار إليها ديك تشيني هي أنابيب الألمونيوم التي استوردها من الخارج. ولكن، اتضح لاحقاً أن هناك خلافاً حاداً داخل منظومة المخابرات بشأن الغرض النهائي من تلك الأنابيب؛ فقد أشار بعض المحللين إلى أن هذه الأنابيب صممت لتكون قوة نافذة تساعد على صناعة السلاح النووي، وقال البعض الآخر، ومنهم خبراء في وزارة الطاقة - وهي الهيئة التي تمتلك أفضل الخبرات الفنية حول الموضوع - عن حق، إن هذه الأنابيب قد صُممت لصناعة الصواريخ الحربية<sup>(32)</sup>، وبصورة عامة، فقد كانت هناك شكوك جديدة داخل أجهزة الاستخبارات عما إذا كان صدام قد أعاد تأهيل برنامجه للأسلحة النووية<sup>(33)</sup>، وباختصار، فإنه لا يمكن لنا أن نزعم أن العراق كان يحاول شراء هذه الأنابيب لتخصيب اليورانيوم.

**الكذبة الثالثة:** أطلقت حكومة الرئيس بوش عدة تصريحات قبل الحرب لترسيخ الإيحاء بأن صدام كان مسؤولاً جزئياً عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، من دون التصريح الواضح بارتباطه بتلك الأحداث. كان الهدف من ذلك أن يحملوا

الشعب الأمريكي على استنتاج صورة غير صحيحة من دون الإفصاح عن ذلك الاستنتاج. وبالتالي فليس من قبيل المصادفة أن نجد نحو نصف الشعب الأمريكي يؤمن بأن الديكتاتور صدام حسين قد ساعد في تدمير سوق التجارة العالمي عندما بدأت الحرب في نصف مارس 2003<sup>(34)</sup>. غير أنه لم يكن هناك أي دليل على تورطه في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، كما ذكر الرئيس بوش ونائبه تشيني ومستشارة الأمن الوطني كونداليزا رايس والوزير رمسفيلد، ونائب وزير الدفاع بول ولفوتز، وقد اعترفوا جميعهم بعدم وجود ذلك الدليل عندما سئلوا مباشرة عن الموضوع<sup>(35)</sup>. ومع العلم بعدم وجود دليل، فإن الحكومة الأمريكية ذهبت إلى آخر حد في سبيل تثبيت ذلك الارتباط في عقول الشعب الأمريكي. فعلى سبيل المثال، عندما طلب السيناتور مارك ديتون (ديموقراطي - مينيسوتا) من رمسفيلد، في 19 سبتمبر 2002، أن يوضح «الأسباب القاهرة التي جعلت أمريكا تشن حربها السريعة» على العراق في حين أنها لم تكن مجبرة على ذلك في البداية. أجاب الوزير: «ما الذي اختلف؟ الذي تغير هو أن هناك ثلاثة آلاف شخص قد قُتلوا... أما الجديد فهو العلاقة بين شبكات الإرهاب مثل تنظيم القاعدة ودولة إرهابية مثل العراق»<sup>(36)</sup>، وفي رسالته للكونغرس في 18 سبتمبر 2003، التي حدد فيها الأبعاد والمبررات لغزو العراق، كتب الرئيس بوش أن الولايات المتحدة كانت تعمل ضمن أطرها القانونية «لاتخاذ الإجراءات الضرورية ضد الإرهابيين العالميين، والمنظمات الإرهابية، بما فيها تلك الدول، والمنظمات، أو الأشخاص الذين خططوا، ودبروا، ونفذوا، وأمروا وساعدوا، الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001»<sup>(37)</sup>. وحتى بعد سقوط بغداد، في أبريل 2003، ظل بوش وقادته يشيرون إلى الارتباط المباشر بين العراق وما حدث في 11 سبتمبر. فمثلا، عندما تحدث الرئيس بوش من على متن حاملة الطائرات يو أس أس إبراهيم لينكون، في الأول من مايو 2003، قال: «إن معركة العراق هي أحد الانتصارات ضمن الحرب على الإرهاب التي بدأت في 11 سبتمبر 2001 وما زالت مستمرة حتى الآن»<sup>(\*)</sup>. واستمر ليقول «إن تحرير العراق

(\*) هناك إضافة لحديث بوش من على المدمرة لنكون، حيث تحدثت خلف قطعة كبيرة مكتوب عليها «تم إنجاز المهمة»، وبالطبع لم تكن المهمة قد أنجزت بعد، بل زادت تكاليف وخسائر الجيش الأمريكي بعد ذلك. وحين طلب من بوش تفسير لذلك قال إن قبطان المدمرة هو من وضع ذلك الإعلان. فما كان من القبطان إلا أن أرسل تصريحاً بأن ذلك غير صحيح، وأن إعلان «تم إنجاز المهمة» جاء به الرئيس بوش وطاقمه، وأنه لم يكن لديه علم به. وأن «كل الترتيبات الإعلامية قام بها بوش وطاقمه»، فاضطر بوش إلى الاعتراف بذلك لاحقاً. [المترجم].

هو خطوة متقدمة في حملتنا ضد الإرهاب. وها نحن قد أزلنا واحدا من حلفاء القاعدة... وقطعنا أحد مصادر تمويل الإرهاب... نحن لم ننس ضحايا 11 سبتمبر، ولا المكالمات الهاتفية الأخيرة، ولا قتل الأطفال بدم بارد، ولا البحث في الأنقاض. فبتلك الهجمات، أعلن الإرهابيون ومؤيدوهم الحرب على الولايات المتحدة، والحرب هي ما سيحصلون عليه»<sup>(38)</sup>.

كما قال نائب الرئيس ديك تشيني، الذي مارس دورا بارزا في نشر هذه الأكاذيب، في 14 سبتمبر 2003، إنه إذا انتصرت الولايات المتحدة في العراق «نكون قد وجهنا ضربة قاصمة في قلب الإرهاب في قاعدة الإرهابيين الجغرافية التي كانوا ينطلقون منها ويهددوننا لعدة سنوات، وعلى الأخص الهجوم علينا أخيرا في 11 سبتمبر»<sup>(39)</sup>. وللمرة الثانية، ليس هناك أي دليل على تعاون صدام مع بن لادن، دع عنك الزعم بمساعدة الديكتاتور العراقي لتنظيم القاعدة بأي شكل في هجوم 11 سبتمبر. ومع ذلك ظلت حكومة الرئيس بوش تنشر القصة المزيفة لكسب الدعم والسند للحرب ضد العراق، الذي بدا في وضع متدهور في أواخر صيف 2003<sup>(40)</sup>.

الكذبة الرابعة: في السنة السابقة على الحرب، ظل الرئيس بوش ومستشاروه يرددون أنهم يأملون أن يجدوا حلا سلميا لأزمة العراق، وأن الحرب في ذاتها هي الخيار الأخير، فعلى سبيل المثال، أبلغ بوش رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو بيرلسكوني، في 30 يناير 2003، أنه لم يقرر بعد استعمال القوة ضد العراق. ثم تحدث إلى الشعب الأمريكي، وبيرلسكوني إلى جانبه، بأنه مازالت هناك فرصة مفتوحة لتفادي الحرب، بيد أن المهلة أصبحت قصيرة جدا<sup>(41)</sup>. وفي الأسبوع التالي، في ميونخ، صرح رمسفيلد علنا بأننا «مازلنا نأمل ألا تكون هناك حاجة إلى استخدام القوة لنزع سلاح صدام حسين. ولكي أكون واضحا: لا أحد يريد الحرب»<sup>(42)</sup>.

وفي حقيقة الأمر، فقد كانت حكومة الرئيس بوش مصممة على الحرب منذ صيف 2002، إن لم يكن قبل ذلك، لم يكن الذهاب إلى الأمم المتحدة في سبتمبر 2002 سوى تغطية دبلوماسية، وليس لتجنب الحرب، فمثلا نرى أن ريتشارد هاس، رئيس تخطيط السياسات في وزارة الخارجية، يقول إنه كان يعلم أن الحرب واقعة لا محالة بعد لقائه مع كونداليزا رايس في أول يوليو 2002. فحين سأل مستشارة الأمن الوطني عن «جدوى التركيز على العراق في هذه المرحلة، بالنظر إلى الإرهاب

وقضايا أخرى، أخبرته بالأ يقم نفسه في هذه الأمور لأن قرار الحرب قد صدر وانتهى الأمر»<sup>(43)</sup>.

وتقريبا في الوقت نفسه، استنتج صانعو القرار السياسي في بريطانيا أن واشنطن قد حسمت أمرها وعزمت على الحرب ضد العراق. وقد وردت خلاصة أفكارهم في ملخص اجتماع لهم برئاسة رئيس الوزراء توني بلير في 23 يوليو 2002، حيث جاء في محضر ذلك الاجتماع التالي:

«أفاد [رئيس المخابرات السرية في بريطانيا] بمحادثاته في آخر زيارة له إلى واشنطن بأن هناك تغييرا كاملا في التوجه. إن التحرك العسكري قد أصبح وشيكا لا محالة. يريد بوش إزاحة صدام بعمل عسكري، مبررا ذلك بارتباطه بالإرهاب وامتلاكه أسلحة الدمار الشامل». واستمر المحضر ليقول إن «وزير الخارجية البريطاني قال إنه سوف يناقش هذا الأمر مع كولن باول هذا الأسبوع. وبدا واضحا أن بوش قد عزم على الخيار العسكري، على الرغم من عدم تحديد زمن لذلك»<sup>(44)</sup>. وأخيرا التقى بوش بكولن باول في 13 يناير 2003، وأخبره بأنه قد قرر شن الحرب على العراق<sup>(45)</sup>. عقد ذلك الاجتماع قبل كلمة بوش للشعب الأمريكي بمعية بيرلسكوني بأسابيع قليلة، والتي صرح فيها بأن تفادي الحرب مازال أمرا محتملا، وكذلك قبل تصريح رمسفيلد في ألمانيا في الوقت نفسه بأن «الحرب مازال من الممكن تفاديها»<sup>(46)</sup>.

### لماذا يلجأ القادة إلى إثارة الذعر؟

يلجأ القادة إلى استعمال سلاح إثارة الذعر عندما يشعرون بأن هناك خطرا مباشرا يهدد الأمن الوطني، لا يراه الشعب، ولا يمكنه تقديره بالطرق المباشرة والصادقة<sup>(47)</sup>. ويظن القادة أن الطريقة الوحيدة لتحريك الشعب لفعل الصواب هو خداعهم من أجل مصلحتهم. فأسلوب إثارة الذعر، وهو سلوك يفرض من الأعلى إلى الأدنى، هو سلوك غير ديموقراطي في حقيقته، ومع ذلك يمارسه القادة لأنهم يعتقدون أنه يحقق مصلحة وطنية، وليس مصلحة شخصية.

وهناك أسباب كثيرة تجعل المواطنين العاديين لا يدركون المخاطر التي تواجه البلاد. وربما لا تكون لديهم معرفة كافية بالشؤون الدولية للتبصر بالأخطار المحدقة بدولهم، وإن قدم لهم قادتهم أدلة واضحة عليها. علاوة على ذلك، قد لا يملكون



الذكاء المطلوب للتعرف على الخطر. ومن الممكن أيضا أن يجنبوا أمام التهديدات. باختصار، فإن العامة قد يكونون عرضة لبعض الجهل والغباء والجن. وفق هذا المنطق، عندما يحدث ذلك، فعلى النخبة أن تشعل حماس مواطنيها لكي ينهضوا للتصدي للتحدي المائل أمامهم.

ومن الأمثلة الجيدة لهذا النوع من التفكير، تصرف حكومة الرئيس ترومان<sup>(\*)</sup>، عندما حاولت إقناع الشعب الأمريكي بدعم زيادة الإنفاق العسكري في صيف العام 1950<sup>(48)</sup>. فكان الرئيس وكبار مستشاريه في شؤون السياسة الخارجية يعتقدون أن السواد الأعظم من الشعب ربما لن يوافق على هذه الزيادة الضخمة. وعليه لا بد من صناعة «حملة ذعر سيكولوجية». وبالطبع، فعندما يأخذ صانعو القرار السياسي الشعب على هذا الطريق، لا بد من أن يواجهوا أحيانا مواقف صعبة تضطربهم إلى الكذب لبث الخوف في الجمهور ليضمنوا مساندة الشعب لسياسة الحكومة.

يصبح الأمر أكثر صعوبة عندما لا تتجاوب النخبة المتعلمة مع ما يبدو أنه خطر يهدد البلاد في ظرف ما. فلربما ينظر إلى هؤلاء من المعارضين، ذوي الدراية والخبرة، على أنهم تنقصهم الرؤية الحسيفة للسياسة الدولية، أو أن تفكيرهم يشوبه نوع من الضبابية، أو ينقصهم النضج، ولذا يكون من الضروري تضخيم حجم التهديد لشد عزمهم. وقد تكون قراءتهم لما هو متوافر عن التهديد الذي يواجه بلدهم من الأدلة قراءة غير صحيحة، مما يجعلهم يرسمون صورة متفائلة عنه. فإذا فشل القادة في حل هذه المشكلة عن طريق تزويد هؤلاء المنشقين بمعلومات أكثر دقة، فلا مفر عندئذ من اللجوء إلى سلاح إثارة الذعر.

بيد أن أسلوب الخداع قد لا ينجح مع هؤلاء المتعلمين المتمردين، لأنهم بطبيعة الحال يدركون ما يجري حولهم، فمن الصعب أن تنطلي عليهم الكذبة. والحل الآخر البديل الذي ربما يكون أكثر فاعلية هو أن تستعمل سلاح إثارة الذعر لتحريك

(\*) الرئيس هاري إس ترومان هو الرئيس الأمريكي الرقم 32، تولى الرئاسة من 1945 إلى 1953، كان نائبا للرئيس فرانك روزفلت لفترة قصيرة قبل أن يخلفه بعد وفاته في العام 1945. كان رئيسا في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية وبالتالي وقعت عليه مسؤولية اتخاذ قرار إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناغازاكي. انتخب في العام 1948 مع تصاعد الاحتقان مع الاتحاد السوفيتي وبداية الحرب الباردة. شهدت فترة رئاسة ترومان خروج أمريكا من عزلتها السياسية الخارجية، حيث أسهمت بشكل مباشر في تأسيس الأمم المتحدة ودشن مبدأ ترومان في محاربة الشيوعية، وخصص 13 مليار دولار كخطة مارشال لإعادة بناء أوروبا ما بعد الحرب. [المترجم].

الجمهور الأوسع، واستعدائه تجاههم. وأخيراً، سوف يجد هؤلاء المتمرّدون أنفسهم في عزلة عن الآخرين، وفي وضع مشبوه مما قد يؤثّر في مستقبلهم المهني الذي قد يصبح مهدداً فيضطرون إلى التخفيف من انتقاداتهم، أو يهادنون أو يلزمون الصمت، أو ربما حتى يضطروا إلى أن يغيروا أقوالهم، ويساندوا سياسات الحكومة. فعلى سبيل المثال، أقر ليزلي غيلب، الرئيس السابق لمجلس العلاقات الخارجية بصراحة فائقة أن هذه السياسة جعلته يغيّر رأيه ويؤيد الحرب على العراق في 2003: «كان تأييدي للحرب في البداية نابعا من اتجاهات مؤسفة في وسط العاملين بالسياسة الخارجية، منها الحفاظ على وضعك الوظيفي، والحوافز التي تنهال عليك من جراء تأييد الحرب، والحفاظ أيضا على وضعك السياسي والمصداقية المهنية»<sup>(49)</sup>. هناك تفسير آخر للجوء القادة إلى استعمال سلاح إثارة الذعر، لكنه أقل ازدياء واحتقارا للجمهور. فمن المحتمل أن يكون النظام السياسي للدولة متهاكاً إلى درجة أنه غير قادر على الاستجابة السريعة لمجابهة خطر داهم في الوقت المناسب. وقد كانت الحكومة الأمريكية الناشئة تحت مواد الكونغرسالية خير مثال للوصف السابق. بل قد يقول البعض إن النظام الرقابي الذي أنشئ في ظل الدستور غير مهياً للتعرف والتعامل مع التهديدات الخارجية في وقت سريع وكاف<sup>(50)</sup>. وبالتالي ستكون لدى القادة حوافز قوية لاستخدام سلاح إثارة الذعر عندما تتصلب آلية عمل الحكومة لتحريك الشعب لمواجهة الخطر المحدق بهم.

من السهل نسبياً أن يكذب صناع السياسة على جماهيرهم. فابتداءً، يسيطر صناع القرار السياسي على أجهزة مخابرات الدولة، التي تمكنهم من الحصول على معلومات لا يستطيع العامة معرفتها أو الوصول إليها على المدى القصير على الأقل. وهكذا يصبح في مقدور صناع القرار أن يتلاعبوا بتدفق تلك المعلومات للناس بطرق مختلفة، وسنجد أن معظم الناس يميلون إلى تصديق ما يقوله لهم حكامهم، إلا إن وجدت دلائل قوية بأنهم يتعرضون للخداع. كذلك يستطيع الرئيس أن يستغل منبره الخطابي ليتلاعب بمسارات السياسة الخارجية بوسائل مختلفة، بما في ذلك الكذب على الجمهور. وللرؤساء الأمريكيين صلاحيات ونفوذ واسع بهذا الشأن.

يعتبر الكذب على الجمهور أمراً سهلاً نسبياً لسبب آخر. فكما أشرنا، من الصعب على رؤساء الدول أن يكذب بعضهم على بعض في القضايا المهمة، لأنه لا توجد ثقة

بين الدول. وعادة ما ترغم الفوضى الدول على أن تكون حذرة وواعية في تعاملها مع الغير، وبالذات إذا كان الموضوع متعلقا بالأمن القومي. بيد أنها ليست هي الحالة داخل معظم الدول، حيث نجد معظم الناس، ومن بينهم النخبة المتعلمة، أكثر ميلا إلى الثقة بحكومتهم، والتي يفترض أن أهم وظيفة لها هي حمايتهم. وقد علق روبرت ماكنمارا في إحدى المرات: «أنا لا أتخيل أحدا لديه أبسط معرفة بمجتمعنا، أو نظام حكمنا، يشك في وجود مؤامرة» لاستفزاز حرب ما<sup>(51)</sup>. وبالتأكيد فإن عددا كبيرا من الأمريكيين يؤيدون ما ذهب إليه ماكنمارا، كونهم يتوقعون من رؤسائهم أن يكونوا صادقين معهم. وهذه الثقة، بالطبع، هي التي تجعل خداع الشعب أمرا سهلا، ولذلك فإن ما تحدث عنه ماكنمارا ليس واردا وممكننا فقط، بل إن لدينا أدلة عليه.

ولربما يظن البعض أن إشاعة الذعر سلوك غير مجد، لأن المخادع سوف يكشف لاحقا، ويلقى جزاءه من قبل جمهوره. ومن الممكن أيضا أن يفقد مصداقيته من قبل مواطنيه، أو ربما يخسر الانتخابات إذا عاد وترشح للمنصب مرة أخرى. ومن الواضح هنا أن هذه الاحتمالات لا تمثل رادعا، لسبب بسيط، وهو أن الحكام الذين يكذبون يظنون أنهم يستطيعون أن يفلتوا من المساءلة. فمن غير المؤكد أن تلك الأكاذيب سيتم اكتشافها في زمن قصير. لقد مضى أكثر من ثلاثين سنة لكي يُكشَف النقاب عن كذبة الرئيس جون كينيدي على الشعب الأمريكي بشأن كيفية معالجته أزمة الصواريخ الكوبية. وكما سنناقش في الفصل التالي، فإن الرئيس كينيدي كان قد عقد اتفاقا سريا مع الاتحاد السوفييتي بأن تزيل الولايات المتحدة صواريخ جوبيتر من تركيا مقابل سحب السوفييت صواريخهم من كوبا. وقد أنكر الرئيس كينيدي ومستشاروه إبرام هذا الاتفاق خلال الأزمة وبعد حلها.

علاوة على ذلك، يعتقد الكاذبون أنهم حتى لو ضبطوا متلبسين بصناعتهم، فإنهم يستطيعون الاعتماد على محامين متميزين وأصدقاء في مواقع النفوذ، لكي يساعدهم على ترتيب دفاع ذكي يجنبهم التعرض للعقوبة. أخيرا، وهذا هو الأكثر أهمية، فإن الرؤساء الذين يستغلون سلاح إثارة الذعر مقتنعون تماما بأن تقييمهم لحالة الخطر صحيح، حتى لو كذبوا في جوانب بسيطة تتعلق ببعض الجزئيات. هم يعتقدون يقينا أنهم على حق، وأن ما فعلوه إنما يصب في مصلحة البلد. وعليه فلن تكون لتلك الأكاذيب قيمة تذكر إذا كشفت على المدى البعيد، خصوصا إذا نجحوا

في تسليط الضوء على التهديد الذي يواجه البلاد وتعاملوا معه بصورة فعالة. أي أن الغاية هنا تبرر الوسيلة.

ويتجلى هذا النمط من التفكير في حملة الخداع والكذب التي قامت بها حكومة بوش قبيل قيام الحرب على العراق. ولعلها كانت في غاية النجاح لو كان انتصار الولايات المتحدة انتصارا كاسحا كما كان في العام 1991. ويوضح تعليق ريتشارد كوهين، الكاتب في جريدة «واشنطن بوست» في نوفمبر 2005، بشأن تدهور الحرب الثانية على العراق، يوضح قدرة الانتصار العسكري على التطهير: «كان يمكن أن نسامح الرئيس بوش لخوضه حربا تحت مبررات زائفة، لو أن ما نتج منها كان شرق أوسط ديمقراطيا في وضع أفضل»<sup>(52)</sup>.

### عندما تستخدم النخبة سلاح إثارة الذعر

يؤثر نمط النظام الحاكم بشكل كبير في احتمالية استخدام أسلوب إثارة الذعر. وبالخصوص، فإنه أكثر استخداما في الأنظمة الديمقراطية منه في الأنظمة الأوتوقراطية، وذلك لأن القادة في الأنظمة الديمقراطية عليهم أن يأخذوا الرأي العام في الاعتبار. وبالطبع فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع الحكام المنتخبين ديمقراطيا يرون أن شعوبهم في حاجة إلى خديعة ما لأنهم غير قادرين على تقييم الحقائق وتقديرها تقديرا صحيحا، حتى إن رأى بعضهم ذلك. ويتأصل هذا النوع من التفكير في أوساط اليمين الأمريكي، حيث يسود اعتقاد بأن الديمقراطيات تكون في وضع أضعف حين تتنافس مع الأنظمة غير الديمقراطية، لأن الرأي العام أحيانا يقف حجر عثرة أمام تشكيل سياسة خارجية فاعلة وقوية. وقد كان نمط التفكير هذا سائدا في أثناء الحرب الباردة، وعلى الأخص وسط بعض المحافظين الجدد، وبعض المتشددين أمثال جيمس بيرنهام وجان فرانسوا ريفل<sup>(\*)</sup>، الذي رأى

(\*) جيمس بيرنهام ولد في العام 1905 وتوفي في العام 1987، وهو فيلسوف ومنظر سياسي أمريكي. بدأ حياته يساريا ماركسيا تروتسكيا ثم انتقل لاحقا إلى اليمين ليصبح أبرز منظري حركة المحافظين الأمريكية. ومن أبرز مؤلفاته «الثورة الإدارية» (1941)، وكان مساهما رئيسا في مجلة المحافظين الأمريكية ذا ناشيونال ريفيو. أما جان فرانسوا ريفل، فقد ولد في العام 1924 وتوفي في العام 2006. وهو كاتب ومنظر وسياسي فرنسي دافع بقوة عن السلوكيات الأمريكية في العالم، وانتقد الحساسية والعداء الأوروبيين لأمريكا وعلى الأخص بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. [المترجم].

أن الجمهور في الديمقراطيات الغربية يميل إلى المهادنة أكثر من مجابهة الأعداء  
الخطيرين<sup>(53)</sup>.

إن فكر المحافظين الجدد<sup>(\*)</sup>، الذي يتمحور حول عدم قدرة الجمهور على  
التعامل مع الحقائق بصورة صحيحة، يتلخص فيما قاله إيرفينغ كرسستول أحد الآباء  
المؤسسين لهذه الحركة: «هنالك حقائق مختلفة وفق اختلاف الناس. هنالك حقائق  
تناسب الأطفال، وحقائق تناسب الطلاب، وحقائق تناسب المتعلمين الكبار، وحقائق  
أخرى تناسب الكبار المتعلمين تعليما عاليا. التصور بأن هناك حقيقة واحدة تناسب  
الجميع ليس إلا وهم الديمقراطية الحديثة. وهو غير قابل للتطبيق»<sup>(54)</sup>.

بيد أن هذا المنظور لا ينحصر في المحافظين فقط، كما يتضح جليا حين نقرأ  
كتاب «جمهور الأشباح»<sup>(\*\*)</sup> لوالتر ليبمان، وهو ليس من المحسوبين على اليمين  
بأي صورة<sup>(55)</sup>.

وقد يكون هذا النوع من السلوك أكثر انتشارا في الديمقراطيات، لكنه ليس  
مقتصرا فقط عليها، لأننا في عصر القوميات نجد بعض الرؤساء في دول غير  
ديموقراطية يعيرون انتباها لرأي الجمهور. فهتلر، على سبيل المثال، كان يتتبع بشكل  
لصيق تفكير الشعب الألماني في كل المواضيع، وذهب إلى أبعد الحدود ليتأكد إن  
كانت سياساته تتمتع بتأييد وسند جماهيري واسع. وكانت حكومته، كما نبهنا إيان  
كيرشو: «واعية وحريصة على صناعة مفهوم الإجماع»<sup>(56)</sup>، وعلى الرغم من ذلك،  
نجد أنه كلما اشتدت قبضة الحاكم الفردي على مجتمعه، قلت الحاجة إلى اللجوء  
إلى أسلوب إثارة الذعر.

وتؤثر الجغرافيا كذلك في نمط استخدام إثارة الذعر كأحد أسلحة الدولة.  
فالدولة التي تجاورها دولة معادية مشاكسة لا تحتاج إلى مبالغة في تصوير التهديد،

(\*) «المحافظون الجدد» هي حركة تجديدية في وسط التوجه المحافظ، وإن كان أغلب من تبنها هم من  
الديموقراطيين الذين انتقدوا الحزب الديموقراطي خلال فترة الستينيات من القرن الماضي. ويبدو أن مصطلح  
المحافظين الجدد قد أخذ في الصعود من مناوئتهم ومنتقديهم. والملاحظ أن العديد من منتسبي المحافظين الجدد  
صاروا من مشاهير الساسة في أمريكا في العقود الأربعة الماضية. وقد بلغ أوج نفوذهم خلال فترة رئاسة جورج دبليو  
بوش وخطوطا ونفذوا لغزو العراق سنة 2003. ومن أبرزهم بول وولفوتز وريتشارد بيرل وجون بولتون وإليوت  
أبرامز ويول برعرا. ويتسم المحافظون الجدد بدفاعهم القوي عن إسرائيل ودعوتهم لنشر الديمقراطية. [الترجم].

(\*\*) Walter Lippmann, *The Phantom Public*.

فالعُدو قريب جدا. وفي مثل هذه الحالات نجد أن الجمهور يدرك الخطر ويأخذ الحيطة من جاره. وفي المقابل فإن الدول التي لا تتشارك حدوديا مع عدو يهددها، تكون أكثر احتمالا لاستخدام أسلوب إثارة الذعر كسلاح. حيث يبدو العدو البعيد جغرافيا أقل تهديدا من العدو القريب، فيلجأ الحكام إلى التضخيم والمبالغة لبث الخوف والذعر.

والدول التي تفصلها مياه عريضة عن أعدائها الأساسيين وحلفائها - وأسميها الدول المتوازنة البعيدة - عادة ما تميل إلى استعمال سلاح الخوف والذعر؛ لأن المياه تعد حاجزا دفاعيا عظيما<sup>(57)</sup>.

وبمقارنة حجم تضخيم درجة التهديد في كل دولة من القوى الكبرى في الحرب العالمية الأولى، ندرك تماما كيف أن الجغرافيا كان لها أثر قوي في الخطاب السياسي للرؤساء المختلفين لوصف أعدائهم في أثناء الحرب. فقد كان أسلوب إثارة الذعر من التهديد الألماني أقل استخداما في فرنسا وروسيا من مثيله في بريطانيا والولايات المتحدة. وهذا أمر ليس بمستغرب، لأن الدولتين الأنجلوساكسونيتين: بريطانيا والولايات المتحدة، دولتان متوازنتان بعيدتان، وعلى العكس، فإن فرنسا وروسيا لم تشتركا حدوديا مع الإمبراطورية الألمانية فقط، بل تقاطلان ألمانيا داخل حدودها. وكذلك فإن ألمانيا لم تكن في حاجة إلى استعمال إثارة الذعر، لأنها كانت تقاتل أعداءها على حدودها الشرقية والغربية.

وأخيرا، فإن الرؤساء الذين يذهبون إلى حروب من اختيارهم - كالحروب الوقائية أو الاستباقية - في الأغلب يستعملون أسلوب إثارة الذعر. فمن الصعب أن تجعل الشعب مؤيدا لحرب وقائية، حيث تهاجم دولة دولة أخرى لا تشكل خطرا آتيا عليها وقت الهجوم، فالتهديد ليس خطيرا في حينه، ما يعني تراجع استشعار الرأي العام للخطر. علاوة على ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة التنبؤ بما سيحصل في المستقبل، فسنجد أن أغلبية الشعب سيظنون أن التهديد غير جدي لسبب أو لآخر. يضاف إلى ذلك أن الحروب الوقائية ممنوعة بنص القانون الدولي، كما هي الحرب العادلة، مما يجعل قبول شن الحرب أمرا صعبا في كثير من الدول. لهذه الأسباب مجتمعة يفضل كثيرون - ومنهم الخبراء - تبني سياسة «ننتظر لنرى»، على أمل ألا تحصل مشاكل. وللتصدي لهذا، يرى أنصار الحرب أنه من الضروري إثارة

## إثارة الذعر

الذعر لخلق الانطباع بأن هناك خطرا مباشرا، وتعزيز الحرب الوقائية ضد العدو، واستباق الهجوم قبل العدو. فالحروب الوقائية، وهي أساسا شكل من أشكال الدفاع عن النفس، معترف بها على نطاق واسع بأنها مشروعة وعادلة في الوقت نفسه<sup>(58)</sup>. وعودة إلى فترة التهيئة للحرب الأخيرة على العراق، فإنه من المهم ملاحظة أن الولايات المتحدة هي دولة ديمقراطية ومتوازنة وبعيدة، وكانت تحاول إقناع شعبها بشن حرب وقائية.

ولذا، لم يكن مستغربا، أن تطلق حكومة بوش الأكاذيب، وأن تنغمس في أنواع أخرى من الخداع لخلق الانطباع بأن صدام حسين كان يشكل تهديدا مباشرا، وأن الولايات المتحدة، استنادا إلى ذلك، كانت تشن حربا استباقية وليست حربا وقائية<sup>(59)</sup>.





## التغطيات الإستراتيجية

هناك نوعان من التغطيات الإستراتيجية، فالقادة قد يكذبون عندما تفشل سياسة ما فشلا ذريعا، ويكون دافعهم الأساسي إلى الكذب هو حماية مصلحة البلاد، وليس حماية الأفراد الذين كانوا وراء هذا الفشل، وإن جاءت حماية أولئك المسؤولين كنتيجة غير مقصودة. ويكذب القادة أيضا لإخفاء إستراتيجية جيدة ولكنها مثيرة للجدل، خشية أن تواجه برفض جماهيري حقيقي يمنع تبنيها. والهدف ليس إخفاء سياسة ركيكة عن الحلبة السياسية، بل تطبيق سياسة محددة من دون إثارة معارضة قوية. وفي كلتا الحالتين، يعتقد القادة بوجود أسباب إستراتيجية منطقية لتغطية الأمر، ولذلك هم يكذبون من أجل تقديرهم لما يرون فيه مصلحة بلدانهم. وبينما يوجّه الكذب بين الدول إلى الدول الأخرى، توجّه إثارة الذعر إلى الجبهة الداخلية. أما التغطية الإستراتيجية فتوجّه عادة إلى الجمهورين،

«القائد في البلاد غير الديمقراطية يكون أقل ميلا، من نظيره في البلاد الديمقراطية، إلى إخفاء سياسة مثيرة للجدل عن شعبه»

الداخلي والخارجي. ولكي نكون أكثر دقة، فإن القائد الذي يعتاد تغطية وإخفاء سياسات فاشلة أو مثيرة للجدل يحاول دائما أن يخدع جمهوره في الداخل، وأحيانا يحاول أن يخدع دولا أخرى في الوقت نفسه. وبعبارة أخرى، فإن الجمهور المستهدف بالتغطيات الإستراتيجية يمكن أن يكون فقط الجمهور الداخلي، أو يكون جمهور الداخل بالإضافة إلى جمهور الخارج. غير أن الجهة المستهدفة في إطار هذا النوع من الخداع، لا يمكن أن تكون مجرد دولة أخرى، وإلا فسيصبح نوعا من أنواع الكذب بين الدول.

من المهم تأكيد أن التغطيات الإستراتيجية ليست فقط أمثلة للكتمان، والذي يحدث عندما يخدع الحكام جماهيرهم المستهدفة بحجب المعلومات عنهم، أو بعدم التعليق أو الحديث عن مشكلة ما تخص سياسة خارجية مهمة. ففي حالة التغطيات الإستراتيجية، يتعامل القادة بالضرورة مع قضايا دولية ذات جوانب علنية، ومن المؤكد أنها ستطرح أسئلة يصعب على الحكومة أن تجيب عنها. في مثل هذه الحالات يلجأ القادة إلى استخدام الكذب على مواطنيهم، لأنهم يعتقدون أنه يخدم المصلحة الوطنية العليا، وفي السياق ذاته يكذبون على دول أخرى.

### لماذا يستخدم القادة التغطيات الإستراتيجية؟

أحد الأسباب التي تدفع القادة إلى إخفاء العجز الذي سبب الفشل هو رغبتهم في إخفاء نقاط ضعفهم عن أعين العدو، الذي ربما يستغلها ضدهم، أو خشية أن تؤثر الحقائق سلبا في علاقتهم بدول أخرى. ومن الطبيعي أيضا أن يقلقوا على جبهتهم الداخلية، حيث قد تؤدي الأخبار عن فشل العمليات إلى تقويض الوحدة الوطنية، وهو أمر تزداد أهميته عندما تدخل الدولة في حرب طويلة لا تسير عملياتها بشكل إيجابي.

في الحرب العالمية الأولى، مثلا، وجدنا أن المارشال جوزيف جوفري، القائد العام للجيش الفرنسي، لم يحسن التخطيط لمعركة «فردان»<sup>(\*)</sup> (في العام 1916)، ومن ثم أساء إدارتها. وبالتأكيد فإنه لم يكن جديرا بهذه المهمة، وكان معظم القادة

(\*) نشبت معركة فردان في العام 1916 بين الجيشين الألماني والفرنسي، واستمرت ثمانية أشهر، وهي من أكبر وأطول وأكثر المعارك دموية إبان الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية. وتذهب التقديرات إلى أن ضحاياها زادوا على 700 ألف، غير أن تقديرات أكثر حداثة ترفع الرقم إلى أكثر من مليون، الأمر الذي يجعلها من أكثر المعارك كلفة في التاريخ. [المترجم].

السياسيين الفرنسيين يعلمون ذلك. ولكنهم لم يتمكنوا من كشف عدم كفاءته للجمهور في حين كان آلاف الجنود يُقتلون أو يُجرحون كل أسبوع. كانوا يخشون أن يؤدي كشفهم الحقيقة عن جوفري، في زمن حرب، إلى إضعاف الروح المعنوية في الجبهة الداخلية، وربما يقوض جهود الحرب نفسها. ولهذا السبب لجأوا إلى كتم نقاشاتهم الحادة عن جوفري بعيدا عن أنظار الجماهير، وصوروه، كذبا، على أنه قائد كفء، مكتمل العتاد والعدة. إن «الاهتمام بالروح المعنوية»، كما كتب الباحث إيان أوسبي، «قد منعه من السقوط في العار الرسمي»<sup>(1)</sup>. ولعله كان سيغدو ضربا من الجنون أن يكشفوا للألمان أن القوات الفرنسية التي يقاتلونها في فردان تواجه مشكلة كبيرة، لأنها تحت قيادة قائد غير كفء.

ومثل تصرف إسرائيل بعد مذبحه «قبية» المشينة حالةً أخرى على التغطية على سياسة فاشلة، لأسباب رأى قاداتها أنها مبررة<sup>(2)</sup>، ففي 14 أكتوبر 1953 تحركت فرقة كوماندوز بقيادة الميجر آريل شارون، إلى قرية قبية في الضفة الغربية، وقتلت تسعة وستين فلسطينيا، جلهم من النساء والأطفال ردا على مقتل امرأة إسرائيلية وطفليها في اليوم السابق. جاءت الأوامر من القيادة المركزية الإسرائيلية التي أشرفت على الهجوم بأن الهدف هو «مهاجمة قرية قبية، واحتلالها بصورة مؤقتة، والقتل لأقصى حد لأجل طرد سكان القرية من منازلهم»<sup>(3)</sup>.

أثار هذا التصرف ضجة كبرى حول العالم، بمن في ذلك الجالية اليهودية في أمريكا، عندما علموا بما ارتكبه الجنود الإسرائيليون في قبية. وقد كتب الباحث أفي شليم من جامعة أكسفورد قائلا: «إن مذبحه قرية قبية قد أطلقت العنان لاحتجاج عالمي ضد قسوة غير مسبوقه لإسرائيل في تاريخها القصير»<sup>(4)</sup>. وكذلك سببت الأخبار الفظيعة عن الهجوم مشاكل جمة للحكومة الإسرائيلية في الجبهة الداخلية<sup>(5)</sup>. واستشعارا للمشاكل المحتملة على المستوى الداخلي، فضلا عن الضرر الذي أصاب سمعة إسرائيل دوليا، حاول قادة إسرائيل إنقاذ الموقف عن طريق الكذب. فقد كتب المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس: «في 19 أكتوبر، ظهر رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون متحدثا على الهواء برواية مختلقة عما حدث». فرمى اللوم في المذبحه على مستوطني الحدود اليهود، حيث قال: «إن الحكومة الإسرائيلية بدورها تدين بشدة الاتهام السخيف أن 600 رجل من القوات النظامية الإسرائيلية قد اشتركوا في تلك الفعلة... وقد حققنا في الأمر،

فاتضح لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أنه لا توجد أي وحدة عسكرية لم تكن في قواعدها في ليلة الهجوم على قبية»<sup>(6)</sup>. غير أن كذبة بن غوريون لم تنطل على أحد، حيث أصدر مجلس الأمن في 24 نوفمبر بيانا شديد اللهجة يندد فيه بالعملية.

كما قد يكذب القادة لتغطية موضوع مثير للجدل لأنهم مقتنعون بأنه سليم إستراتيجيا، ولكنهم يريدون إخفاءه عن جمهورهم، أو ربما عن الدول الأخرى. والمعنى الضمني هنا أن أغلبية مواطنيهم ليست لديهم الحكمة الكافية لإدراك المعاني والمضامين البعيدة لهذه السياسة. لذا فإنه من المنطقي للقادة تبني إستراتيجية أو سياسة ما وإخفاؤها عن الجمهور، وإلا فقد يجبر الرأي العام الحكومة على التراجع عنها، الأمر الذي قد يضر بمصلحة الدولة. ومن هنا ندرك أن منطق التقييم القاسي نفسه بعجز الجمهور عن التفكير السليم يُتبع في إثارة الذعر، وكذلك في التغطيات الإستراتيجية.

كانت جهود الرئيس جون كينيدي المضنية لحسم أزمة الصواريخ الكوبية بطريقة سلمية مثلا حيا لرئيس يكذب من أجل أن يخفي سياسة مثيرة للجدل<sup>(7)</sup>. ولكي ينهي الأزمة قبل أن تتصاعد إلى حرب بين القوتين العظميين، وافق كينيدي على طلب السوفييت أن تسحب الولايات المتحدة منظومة صواريخها النووية جوبيتر من تركيا، مقابل سحب السوفييت صواريخهم أيضا من كوبا<sup>(8)</sup>. وكان الرئيس كينيدي

(\*) عُرضت مكتبة جون كينيدي في مدينة بوسطن الأمريكية قبل سنتين لأول مرة تسجيلات للنقاشات التي جرت منذ بداية الأزمة في 16 أكتوبر 1962 وحتى نهايتها في 28 أكتوبر. وقد حُضرت المعرض شخصا وكانت المعلومات مثيرة لأنها كانت مسجلة بالصوت، حيث اتضح أن الرئيس كينيدي كان يخفي جهاز تسجيل تحت طاولة الاجتماعات بالبيت الأبيض.

كان عنوان المعرض هو «على الحافة»، وذلك لتصوير كيف أن العالم كان قد حبس أنفاسه من احتمال قيام حرب نووية بين القوتين العظميين في العالم.

وتعد أزمة الصواريخ الكوبية إحدى أهم الحالات الكلاسيكية للنزاعات في أدبيات العلاقات الدولية. استغرقت الأزمة 13 يوما، وتلخص في إقدام الاتحاد السوفييتي إبان زعامة نيكيتا خروتشوف على توقيع اتفاقية سرية مع الرئيس الكوبي فيديل كاسترو من أجل نصب صواريخ باليستية على الأراضي الكوبية. وبدأت الحادثة على خلفية محاولات الولايات المتحدة الإطاحة بالرئيس كاسترو، وكانت آخر تلك المحاولات الإنزال العسكري الفاشل على خليج الخنازير في العام 1961، كما جاء بعد نصب الولايات المتحدة منظومة صواريخ باليستية جوبيتر في إيطاليا وتركيا يصل مداها إلى الاتحاد السوفييتي بسهولة. وافق خروتشوف على نصب الصواريخ في كوبا استجابة لطلبها ولردع أمريكا عن التعرض لكوبا. وبعد أن تأكدت الاستخبارات الأمريكية من حقيقة البدء ببناء منظومة الصواريخ، طالبت الاتحاد السوفييتي بتفكيك منصات الصواريخ وإعادتها إلى الأراضي السوفييتية. وعلى أثر ذلك فرض الرئيس كينيدي حصارا بحريا على السفن الداخلة إلى كوبا وأمر بتفتيشها. وعلى مستوى آخر بدأت مفاوضات سرية بين كينيدي وخروتشوف حول كيفية إنهاء الأزمة، والتي كان حلها عن طريق تفكيك الصواريخ السوفييتية وإعادتها. وفي المقابل تفكيك الولايات المتحدة لصواريخ جوبيتر في إيطاليا وتركيا. غير أن الجزء الثاني الخاص بجوبيتر ظل سرا. [المترجم].

يعلم تماما أن هذا التنازل قد لا يقبله الرأي العام الأمريكي، وكذلك اليمين السياسي، ويمكن كذلك أن يؤثر سلبا في علاقة واشنطن بحلفائها في حلف الناتو، وبالأخص تركيا. ولذلك اشترط على السوفييت ألا يتحدثوا عن هذا الاتفاق علنا، وإلا فإنه سينكره ويتراجع عنه نهائيا. وعلى رغم كل هذه الحيلة والحذر في إخفاء المعلومة، كانت هناك بعض الشكوك في الغرب بأن اتفاقا قد أبرم، وقد وُجّهت أسئلة بهذا الخصوص إلى الحكومة الأمريكية. كذب الرئيس وكبار مستشاريه، وأنكروا وجود اتفاق لسحب منظومة صواريخ جوبيتر من تركيا. وعند النظر إلى الحدث الآن، سيبدو أن ما فعله كنيدي كان كذبة بيضاء، استطاعت أن تنزع فتيل المواجهة الخطيرة بين دولتين تمتلكان أسلحة نووية.

في الفترة الواقعة بين العامين 1922 و1933، تلقى الجيش الألماني تدريبات عسكرية في الاتحاد السوفييتي، مما مثل خرقا لاتفاقية فرساي<sup>(8)</sup>. وكان القادة الألمان يتوجسون من أن يعرضهم اكتشاف هذه الأنشطة لانتقادات حادة من اليساريين في جمهورية فايمار<sup>(\*)</sup> الألمانية، وكذلك من بريطانيا وفرنسا اللتين ستسعيان إلى وقف هذه الأنشطة غير القانونية. إذن لم يكن مستغربا أن تكذب ألمانيا لإخفاء ذلك الاتفاق. كما أن هناك حالة أخرى تعتبر أكثر إثارة للجدل حدثت في بريطانيا في أواسط الخمسينيات، عندما بدأ البرلمان يسمع قصصا عن معسكرات العمل الإلزامي التي أقامتها الحكومة الاستعمارية في كينيا لمقاتلي حركة «الماو ماو» التحررية<sup>(9)</sup>. وقد كانت الحكومة البريطانية تخشى تداول هذا الموضوع إعلاميا، فيجبر الرأي العام الحكومة على إنهاء سياستها القمعية في كينيا، مما سيعني الانتصار لحركة «الماو ماو»، وإن حدث ذلك فإن الأمر لن يكون في مصلحة تماسك الإمبراطورية البريطانية. وللتعامل مع تلك التسيريات القوية، كذب القادة البريطانيون بشأن وجود معسكرات القمع، وهاجموا بحدّة كل من كشفوا عن تلك الممارسات.

أخيرا، نعرف الآن أن اليابان قد عقدت عدة اتفاقيات سرية مع الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة. فمثلا، سمحت طوكيو في العام 1969 للسفن الأمريكية المحملة

(\*) فايمار (Weimar) هي مدينة في وسط ألمانيا نشأ فيها ما يمكن اعتباره أول نموذج ديمقراطي في ألمانيا، حيث اجتمع ممثلو الشعب في العام 1919 وصاغوا دستورا جديدا استمر العمل به حتى صعود الحزب النازي، ثم تولى هتلر السلطة في العام 1934. [المحررة].

بالسلاح النووي بأن ترسو في الموانئ اليابانية<sup>(10)</sup>. وكذلك هناك اتفاقية سرية تتضمن أنه على اليابان أن تدفع الجزء الأكبر من تكاليف الوجود العسكري الأمريكي على أراضيها. ومن المؤكد أن جدلا واسعا كان سيثار حينها لو كشف عن هذه الاتفاقيات. والحقيقة أن الاحتجاج القوي المتوقع من الجمهور الياباني كان من شأنه أن يلغي تلك الاتفاقيات. على أي حال، يمنع القانون الياباني مرور السفن المحملة بالأسلحة النووية بالموانئ اليابانية. مع ذلك رأت القيادة اليابانية أن تلك الاتفاقيات تخدم المصلحة الوطنية لليابان، ولذا تكتمت عليها ولم تعلنها للملا. لكن، لم يطل الزمن حتى بدأ البعض يشك في أن اتفاقيات كهذه قد جرى توقيعها، وبدأت الأسئلة تنهال على قيادات الحكومة اليابانية، ولم يكن مستغربا أنهم كذبوا وأنكروا وجود تلك الاتفاقيات من الأساس.

### متى يصبح استخدام التغطيات الإستراتيجية أكثر احتمالا؟

من الواضح أن معرفة متى يعد استخدام التغطيات الإستراتيجية أكثر احتمالا هي أمر بالغ التعقيد، ويعود ذلك إلى أن هذا النوع من الخداع يتضمن سلوكين - إخفاء تقصير وفشل ما، وإخفاء سياسات مثيرة للجدل - وجمهورين مختلفين: جمهور الدول الأخرى، والجمهور الداخلي للقائد.

فلنبدأ أولا في فحص السؤال حول متى تكون احتمالية كذب القائد أكبر لإخفاء سياسة فاشلة أو مثيرة للجدل عن دولة أخرى؟ ليس غريبا أن تنطبق الظروف التي تدفع القادة إلى الكذب على الدول على التغطيات الإستراتيجية. في كلتا الحالتين، يكذب القادة على دولة أخرى فيما يرون أنه يخدم المصلحة الوطنية، وهذا يعني أن الأكثر احتمالا أن يعمد القادة إلى التغطية الإستراتيجية الموجهة إلى جماهير أجنبية عندما تكون دولتهم في الحالات التالية:

1 - تقع في إقليم خطر.

2 - متورطة في أزمة.

3 - في حالة الحرب.

4 - تتعامل مع منافس وليس مع حليف.

إن التغطية الإستراتيجية، بالطبع، ليست فقط نوعا من الكذب بين الدول، بل

هي أكثر من ذلك؛ فالقادة يوجهون تلك الأكاذيب إلى شعوبهم وإلى العالم الخارجي. والتكتم على الفشل وعجز الإدارة غالباً ما يحصل في زمن الحرب، وبالأخص إذا كانت الحرب من أجل البقاء. وفي هذه الظروف، حين تكون المخاطرة بوجود الوطن عالية، يضطر القادة إلى الكذب على شعوبهم، إن وجدوا إلى ذلك ضرورة، ليتفادوا الهزيمة ويكسبوا الحرب. وعلاوة على ذلك، يكون إخفاء الأخطاء عن الجمهور أثناء الحرب سهلاً نسبياً، لأنهم في ظروف يكون بيد الحكومة فيها الكثير من الصلاحيات لتقييد حرية تدفق المعلومات والتلاعب بها، مبررة ذلك بحالة الحرب. كذلك، لأن الخداع يعد أمراً مقبولاً خلال الصراع مع عدو شرس. وأخيراً، فإن حدوث فشل عملياً في الأرض بصورة أو بأخرى هو أمر اعتيادي في أي صراع، مما يعني وجود فرص ودوافع كثيرة لاستخدام التغطية الإستراتيجية<sup>(11)</sup>.

ماذا عن السياسات المثيرة للجدل؟ من الأرجح أن يُعمد إلى إخفائها عن الجمهور في الدول الديمقراطية أكثر من الدول غير الديمقراطية. ولعل أقرب سبب لتفسير ذلك هو أن القادة في البلاد الديمقراطية يعيرون رأي الجمهور انتباهاً كبيراً، حيث سيتم تحميلهم المسؤولية من خلال الانتخابات الدورية، وبالتالي فقد لا يستطيعون المضي في سياسة يرونها حكيمة، وهم متأكدون من أنها لا تحظى بدعم شعبي، متجاهلين احتمالية السقوط السياسي الناتج عن تجاهل التوجهات الشعبية. في مثل هذه الحالات تحديداً تكون الدوافع قوية لتبني سياسة ما من دون الإعلان عنها، ومن ثم يكذب القادة إن كانت هناك حاجة إلى الكذب، لإخفاء ما فعلوه. وبالتأكيد هناك قدر من المحاسبة في البلاد غير الديمقراطية، ولكن ليس بالقدر الموجود في البلاد الديمقراطية. وعليه، يكون القائد في البلاد غير الديمقراطية أقل ميلاً، من نظيره في البلاد الديمقراطية، إلى إخفاء سياسة مثيرة للجدل عن شعبه.

بالطبع هناك قدر كبير من الشفافية في الديمقراطيات، مما يعني أن على القادة الإجابة بجدية عن الأسئلة المثارة، التي تتضمن توفير قدر ما من المعلومات حول الموضوع، قد تضع هذه الظروف القادة في مواقف يضطرون فيها إلى الكذب لإخفاء سياسات مثيرة للجدل. وفي المقابل، في البلاد غير الديمقراطية لا توجد حرية مناقشات عامة، مما يسهل على القادة إخفاء السياسات المثيرة للجدل من دون الحاجة إلى الكذب.

والنقطة الجوهرية هنا أن احتمال لجوء الدول إلى التغطية على كارثة سياسية أو إخفاء سياسة خلافية تحكمه الظروف والملابسات نفسها التي تضطر الدول إلى أن يكذب بعضها على بعض، ولكن مع فارق بسيط، أن التغطية على سياسة فاشلة غالبا ما تحصل أثناء الحرب، وإخفاء السياسة الخلافية تحصل في أغلبية الأحوال في الديمقراطيات.



## الأساطير القومية

مع ظهور القومية الوطنية في القرنين الماضيين، سعت عرقيات ومجموعة قوميات وطنية عديدة حول العالم نحو تأسيس دولها، التي عُرفت بـ «الدول القومية». وفي أثناء عملية البناء هذه، حاولت كل مجموعة أن تخلق أساطيرها الخاصة المقدسة عن ماضيها، تصورها بشكل أفضل، وتصور خصومها من المجموعات القومية الأخرى بصورة سلبية<sup>(1)</sup>. وقد كتب أستاذ العلوم السياسية بجامعة «MIT» الأمريكية، ستيفن فان إيفرا، أن هذه الأساطير الشوفينية «تأتي في أشكال ثلاثة: تقديس الذات، تنقيتها من الأخطاء، والإضرار بالآخر»<sup>(2)</sup>. ويتطلب اختراع هذه الأساطير ونشرها على نطاق واسع حول العالم الكذب في الوقائع التاريخية أو الأحداث السياسية المعاصرة. «الغلطة التاريخية»، كما وصفها المنظر السياسي الفرنسي أرنست رينان، تشكل «عنصرا مهما في صناعة الدولة»<sup>(3)</sup>.

«ترتبط شرعية الدولة بالظروف والملابسات التي أحاطت بولادتها، وأغلب الناس لا يريدون الاعتراف بأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئة»

## لماذا صنعت النخبة الأسطورة القومية؟

تتحمل النخبة التي تسيطر على مسارات التفكير في دولة ما مسؤولية كبيرة عن خلق هذه الأساطير، وهم يفعلون ذلك لسببين أساسيين. تساعد هذه القصص الكاذبة في تعضيد التضامن الجماعي؛ وكذلك تساعد في خلق شعور قوي بالوطنية، وهو عنصر أساس في بناء الدولة والمحافظة عليها. وعلى وجه الخصوص، فإن هذه القصص الخيالية تضيف على المجموعة العرقية أو القومية الإحساس بالانتماء إلى مشروع نبيل، الذي لا يستدعي الفخر به فحسب، بل يستحق تحمل المصاعب لأجله، والقتال والموت في سبيله إن استدعى الأمر. تظهر هذه الحاجة إلى إبراز الجوانب الإيجابية لأمة ما في القانون الذي أقرته الحكومة الفرنسية في فبراير 2005، والذي ألزم كتب مقررات التاريخ في مدارس الثانوية العامة بإبراز الجوانب الإيجابية في التاريخ الاستعماري الفرنسي<sup>(4)</sup>.

يبدو أنه من المهم الإشارة إلى أن خلق الأساطير القومية ليس مجرد تأليف بعض النخب قصصا مختلفة وتمريها إلى جماهيرهم. فالحقيقة هي أن الناس العاديين يكونون عطشى لتلك الأساطير؛ فهم في حاجة إلى سماع قصص وحكايات عن الماضي، تصورهم بأنهم أحياناً ذوو قبعات بيضاء، بمواجهة القوميات الأخرى ذوي القبعات السوداء. وبالتالي، فإن خلق الأساطير القومية هو فعل مدفوع من الأدنى كما هو مدفوع كذلك من الأعلى.

يخلق أفراد النخبة الأساطير القومية أيضاً لاكتساب مشروعية دولية<sup>(5)</sup> والعائد من وراء هذا قليل، لأنه من الصعب جر الغرباء والأجانب إلى قصص تتعارض مع الروايات الموضوعية للأحداث التاريخية. ومع ذلك، فهناك استثناءات لتلك القاعدة. فقد يتمكن القادة من «بيع» أساطيرهم القومية لحليف لصيق تكون له عادةً مصلحة في قبولها وتصديقها. ففي بداية الحرب العالمية الثانية، على سبيل المثال، خلقت النخبة الألمانية أسطورة أن جيشهم - الفيرماخت - لم تكن له أي علاقة بقتل المدنيين الأبرياء على الجبهة الشرقية خلال تلك الحرب الوحشية<sup>(6)</sup>. وقد قيل حينها إن جهاز الاستخبارات إس إس - الذي يمثل فئة صغيرة من الشعب الألماني ويرتبط بهتلر بصورة مباشرة - هو المسؤول عن تلك الأعمال المرعبة. فالجيش الألماني، استناداً إلى هذه الرواية، كانت يدها نظيفتين.

لقد «بلعت» الولايات المتحدة هذه القصة الكاذبة خلال السنوات الأولى من الحرب الباردة، حين كانت تعمل بشكل لصيق مع نازيين سابقين، ومتعاونين مع النازيين، ومنتسبين سابقين إلى الجيش الألماني، وأيضاً لأنها كانت تعمل على إعادة تأهيل الجيش الألماني، وجعله جزءاً لا يتجزأ من حلف شمال الأطلسي. فلم يكن إذن مستغرباً، كما يذكر كريستوفر سمبسون في كتابه عن تجنيد واشنطن للنازيين بعد الحرب العالمية الثانية، أن «ترك مراجعة أكثر كتب التاريخ انتشاراً في الغرب عن الحرب، مع استثناءات بسيطة، انطبعا قويا بأن كل الوحشية التي تمت في محارق النازية كانت مسؤولية جهاز إس إس، وليس كل الجهاز أيضاً»<sup>(7)</sup>. غير أنه وفي أواخر الستينيات، بدأ الباحثون الألمان في كشف النقاب عن القصة الحقيقية، وهي أن الجيش الألماني كان جزءاً لا يتجزأ من آلة القتل الألمانية التي تسببت في كل هذا الدمار البشري خلال الحرب العالمية الثانية. ولكن آنذاك، كان كل من الجيش الألماني الجديد «البونديزفير» (Bundeswehr)، والناو قد تأسسا بالفعل، فلم يعد تقبل حقيقة ما حصل على الجبهة الشرقية بين العامين 1939 و1945 يمثل مشكلة سياسية كبيرة للولايات المتحدة.

كذلك يحدث أحياناً أن تصدر دولة لديها جاليات مؤثرة وذات نفوذ قوي في الشتات الأساطير القومية لجالياتها في الخارج. وأحسن مثال لهذه الظاهرة هو إسرائيل والجالية اليهودية في أمريكا. فلم يكن للصهاينة أن يؤسسوا دولة يهودية في فلسطين من دون إبادة عرقية واسعة لسكانها العرب الموجودين هناك منذ قرون. وقد أدرك قادة الصهاينة هذه النقطة على نطاق واسع قبل تأسيس الدولة الإسرائيلية. وجاءت الفرصة المواتية لطرد الفلسطينيين في أوائل العام 1948، عندما نشبت الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين. أجلى الصهاينة عرقياً نحو سبعمائة ألف فلسطيني من أرضهم التي أصبحت لاحقاً إسرائيل، ورفضوا بإصرار السماح لهم بالعودة إلى منازلهم حتى بعد أن توقفت الحرب. وبالطبع، هذه قصة تضع إسرائيل في دور المعتدي، مما يجعل من الصعب على هذه الدولة الناشئة أن تكسب الأصدقاء وتخلق أثراً في العالم، وعلى الأخص في الولايات المتحدة.

ولهذا لم يكن مستغرباً أن تبذل إسرائيل وأصداؤها الأمريكيون جهوداً مضنية بعد أحداث العام 1948 لتوجيه اللوم في عملية طرد الفلسطينيين إلى الضحايا

أنفسهم. واستنادا إلى الأسطورة التي جرى اختراعها وتأليفها، فإن الفلسطينيين لم يجرِ «تطهيرهم عرقيا» من قبل الصهاينة، ولكنهم، كما قيل، فروا من منازلهم لأن الدول العربية المحيطة بهم طلبت منهم المغادرة، حتى تتمكن جيوشها من الدخول وإلقاء اليهود في البحر. ومن ثم يعود الفلسطينيون إلى منازلهم بعد أن يجري «تطهيرها» من اليهود. هذه القصة لم يتم ترويجهها وقبولها بشكل واسع في إسرائيل فحسب، ولكن في الولايات المتحدة كذلك على مدى ما يقرب من الأربعة عقود، وقد أدت دورا أساسيا في إقناع الكثير من الأمريكيين برؤية إسرائيل بصورة إيجابية والتعاطف معها في صراعها المستمر مع الفلسطينيين. غير أن باحثين إسرائيليين، وآخرين، فككوا أوهام تلك الأسطورة، وغيرها من الأساطير، على مدى العقدين الماضيين، وبدأ التاريخ الجديد للحكاية يظهر ببطء في سياق المنطق الأمريكي تجاه الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، بطرق جعلت بعض الأمريكيين أقل تعاطفا مع ماضي إسرائيل وسلوكها الحالي تجاه الفلسطينيين<sup>(8)</sup>.

### عندما تعمل النخبة على صناعة الأساطير القومية

تعزز الأمم بشكل مستمر بأساطيرها الأساسية، لأن أغلب أفرادها يحتاجون إلى مثل هذه القصص لتعزز فيهم الإحساس بالهوية، ولأنها تقوي من التضامن المجتمعي. وعليه، فإننا نستطيع القول إن عملية صناعة الأساطير القومية هي عملية مستمرة طوال الوقت. وبالطبع، تحتاج تلك القصص إلى تحديث من فترة إلى فترة، مع ظهور معلومات جديدة عن الماضي تستلزم خلق أساطير جديدة للتعامل مع المراحل الجديدة في تاريخ الأمة. ولذا، يمكن للفرد أن يتوقع احتدام إطلاق الأكاذيب القومية في بداية الحروب، وفي الأحداث عالية التأثير قومية، والتي تتضمن النزاعات الحادة حول سلوك الدولة محل الخلاف، والتي بدورها يمكن أن تحيي صراعات قديمة اندثرت في زمن مضى. وفي مثل هذه الأحوال، تعمل النخبة ليلا ونهارا لإظهار أمتها في أبهى صورة ممكنة، وتظهر الأمم المنافسة في أبشع صورة.

يمكننا كذلك أن نتوقع أن تصبح صناعة الأساطير القومية في أعلى حالاتها عندما يكون هناك خلاف حاد بشأن قضايا تتعلق بنشأة الدولة. ترتبط شرعية الدولة بالظروف والملابسات التي أحاطت بولادتها، وأغلب الناس لا يريدون الاعتراف

بأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئة. فمقدار الأكاذيب التي تُطلق في هذه الأحوال يعتمد على عاملين: حجم القسوة والوحشية التي صاحبت إنشاء تلك الدولة، ومدى حداتها.

وبالتحديد، فكلما كانت ظروف إنشاء الدولة قاسية وعنيفة، كان هناك مزيد من السلوك المشين الذي يتطلب إخفاءه، وبالتالي تزداد حاجة النخبة إلى الكذب بشأن ما جرى فعلا وقت إنشائها. وتعد أساطير «تلميح الذات»، كما لاحظ فان إفيرا، أكثر أنواع الكذبات القومية الثلاث<sup>(9)</sup>. كلما كانت الأحداث حديثة الوقوع، كان الناس على الأطراف المختلفة من النزاع يتذكرونها ويتأثرون بها أكثر. باختصار، عندما يكون إنشاء الدولة حديثا وقاسيا، فعلى النخبة أن تكذب وتجتهد أكثر لتلطف قصة تصورهم كأنهم فرسان نبلاء، وتصور الجانب الآخر بأنهم شياطين. على سبيل المثال، انظر إلى الخمس عشرة دولة التي ظهرت على أثر تفكك الاتحاد السوفيتي السابق بطريقة سلمية<sup>(\*)</sup>. لم يكن للنخبة في هذه الدول حاجة إلى تليفيق قصص عن كيفية ظهور هذه الدول إلى حيز الوجود في العام 1991، لأن تفكك الاتحاد السوفيتي كان سلميا<sup>(\*\*)</sup>. (بالطبع، هناك دوافع قوية لتلك الدول للكذب عن نواحٍ أخرى في تاريخها الطويل، وهم يفعلون ذلك على أي حال). على العكس من حالة تلك الدول، نجد إنشاء إسرائيل والولايات المتحدة، وكلتاهما قد تورطت في جرائم خطيرة ضد البشر الذين كانوا يعيشون في تلك الأراضي التي احتُلت وأصبحت تحت الاستعمار. ليس من المستغرب أن تبذل إسرائيل وأمريكا جهودا مضنية لتصوير ذلك التاريخ بأنه مشرق بدلا من سرد الوقائع بكل ما فيها من قسوة. ولكن هذا لم يعد أمرا

(\*) خرج من رحم الاتحاد السوفيتي 15 دولة جديدة أولاها روسيا الاتحادية، التي ورثت مقعد الاتحاد السوفيتي الدائم في مجلس الأمن الدولي. أما الـ 14 دولة المتبقية فهي أرمينيا وأذربيجان وبلاروسيا (روسيا البيضاء) وأستونيا وجورجيا وكازاخستان وقيرغيزستان ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وطاجيكستان وتركمناستان وأوكرانيا وأوزبكستان. [الترجم].

(\*\*) على العكس مما جرى في انفصال سلمي لمكونات الاتحاد السوفيتي السابق، وكذلك الانفصال السلمي بين مكوتو تشيكوسلوفاكيا، لم تسر الأمور بالطريقة نفسها في يوغوسلافيا، حيث جرت حروب طاحنة على أسس عرقية ووطنية. وحدثت فيها - وعلى الأخص في البوسنة - مذابح جماعية. وعلى أثر ذلك تأسست أول محكمة جنائية دولية خاصة للبوسنة، والتي تمكنت من القبض على أغلبية المتهمين، وكان آخر قضاياها الحكم على رادوفان كاراديتش. أما الدول التي انفصلت عن يوغوسلافيا السابقة فهي صربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وسلوفينيا ومونتغرو. وفي حين أعلنت كوسوفو رغبتها في الاستقلال، فإنها مازالت تخوض معركة سياسية وقانونية للانفصال عن صربيا في أروقة الأمم المتحدة، خصوصا أنها حصلت على دعم أكثر من 109 دول من أعضاء الأمم المتحدة، ومنها الولايات المتحدة وأغلبية الدول الأوروبية. [الترجم].

مقلقا بالنسبة إلى الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، لأن الأحداث الخلافية حصلت في زمن بعيد، فهي تبدو كالتاريخ المندثر. أما إنشاء إسرائيل، في المقابل، فهو وجود حديث، وقضية إنشائها تعد موضوعا حاليا ومثيرا للجدل، ليس لما للفلسطينيين من صوت عالٍ ومسموع فحسب، ولكن لأن عددا قليلا من الباحثين (ومعظمهم من الإسرائيليين أنفسهم) قد تحدوا هذه الأساطير. وكما هو متوقع، فلم يغير معظم الإسرائيليين، وأنصارهم من الأمريكيين، وجهة نظرهم تجاه نشأة إسرائيل، بل هم يضاعفون جهودهم المضنية لتسويق تلك الأساطير.

## الأكاذيب الليبرالية\*

تشكلت عبر التاريخ منظومة من الأعراف السائدة التي تبين أشكال السلوك المقبول وغير المقبول بين الدول، سواء في حالة الحرب أو السلم. وترتبط هذه الأعراف ارتباطا وثيقا بنظرية «الحرب العادلة» والأيديولوجية الليبرالية بصورة عامة، وأغلبها صار مصنفا ضمن القانون الدولي.

(\*) تعرض مفهوم الليبرالية لكثير من الجدل في أوساط سياسية وثقافية واجتماعية مختلفة. ومن الواضح هنا أن المقصود هو استخدام المصطلح باعتبار الليبرالية الوجه الآخر لعملة القانون الدولي وقوانين الحرب والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، فلسنا في وارد تعريف الليبرالية بمعناها الفكري والنظري، فلذلك مبعث آخر. ما أراد المؤلف قوله هو أن العالم اليوم بمنظومته الدولية وبصرف النظر عن تركيبة الدولة ومنهجها ملتزم ولو من حيث الشكل بإطار اتفاقيات دولية وقانون دولي يغطي كل المجالات تقريبا، وأن الدول عندما تقوم بأفعال مشينة وانتهاكات صارخة في الحروب وغيرها، إنما هي في واقع الحال تناقض تلك التوجهات الدولية، وعلى هذا الأساس ومحاولة منها التغطية على تلك الانتهاكات، تطلق الأكاذيب التي اختار لها مصطلح الأكاذيب الليبرالية. [المترجم].

«إن أوضح دليل على استقرار قيمنا على مر السنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»

مايكل والزر

يُقر معظم رجال الدولة في أنحاء العالم بمعظم هذه الأعراف الليبرالية، ويقبلون ويؤكدون التزامهم بسيادة القانون. وعلى الرغم من ذلك يرى القادة أحيانا أن مصلحة بلادهم تضطرهم إلى ما يخالف تلك الأعراف. ويتضمن هذا السلوك غزو الدول الأخرى من أجل مكاسب إستراتيجية وشن حروب وقائية، إضافة إلى شن حروب بأسلوب وحشي، ينتهك نظرية الحرب العادلة. فعلى سبيل المثال، أوضح أستاذ العلوم السياسية في جامعة ديوك ألكساندر داونز في كتابه الوافي «استهداف المدنيين في الحرب»<sup>(6)</sup> أن «حالة التهور لكسب الحرب، وحماية الأرواح مكلفة، وحروب الاستنزاف طويلة الأمد تدفع المحاربين نحو استهداف المدنيين الأعداء»<sup>(1)</sup>. كما أكد أن «الدول الديمقراطية هي الأكثر احتمالا في أن تستهدف المواطنين المدنيين من الدول غير الديمقراطية». ويجب أن نتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد قتلت عمدا نحو تسعمائة ألف مواطن مدني في اليابان في الأشهر الخمسة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، لا لغوفاها من الهزيمة في الحرب، بل لأنها أرادت أن تكسب الحرب من دون غزو الأراضي اليابانية<sup>(2)</sup>. وقد صرح الجنرال كيرتس لومي، الذي كان مسؤولا عن حملة القصف القاتلة حينذاك: «لو كنا خسرنا الحرب، لكننا سنحاكم جميعنا كمجرمي حرب»<sup>(3)</sup>.

ولا يقتصر هذا السلوك الوحشي للدول على زمن الحرب فقط. فالولايات المتحدة، مثلا، مارست دورا أساسيا في دفع الأمم المتحدة إلى فرض عقوبات اقتصادية على العراق من أغسطس 1990، حتى مايو 2003. وقد أدى ذلك الحظر الاقتصادي والتجاري إلى كارثة إنسانية، راح ضحيتها قرابة 500 ألف مدني عراقي وفق تقديرات منظمة يونيسيف<sup>(4)</sup>. وكذلك قد يعقد رجال الدولة تحالفات مع دول بغية عندما يرون أن ذلك التحالف منطقي إستراتيجيا. فحتى يهزموا ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، تعاون رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل والرئيس الأمريكي روزفلت مع الرئيس السوفييتي جوزيف ستالين، الذي لم يكن مجرد طاغية فقط، بل واحدا من أكثر من اعتمد القتل الجماعي في تاريخ البشرية<sup>(5)</sup>.

(\*) Alexander Downes, *Targeting Civilians in War*.



عندما تتصرف الدول بطرق تخالف الأعراف الليبرالية، أو القانون الدولي، يلجأ حكامها في الأغلب إلى تليفق القصص والأكاذيب وتعميمها بهدف التغطية على ما يفعلون. فلم يكن مستغرباً أن نجد النخب البريطانية والأمريكية - بما في ذلك الأكاديميون والصحافيون وصناع القرار - قد بالغت في أثناء الحرب العالمية الثانية في تجميل صورة ستالين أمام العالم، حتى لا يظهر أن بريطانيا وأمريكا يحكهما أشخاص قساة، يتعاونون مع طاغية قاتل من أجل هزيمة طاغية آخر<sup>(6)</sup>. وعليه، فقد وصف ستالين أحيانا بعبارات ودية مثل «العم جو»، في حين جرى التقليل من الاختلافات الجذرية بين النظامين السياسيين الأمريكي والسوفييتي، والإيحاء بأن النظام السوفييتي نظام ديمقراطي أيضاً.

وقد تعرضت جهود الحلفاء الغربيين في تصوير ستالين بصورة لا تعكس حقيقته إلى امتحان صعب في ربيع العام 1943، عندما علم تشرشل وروزفلت أن السوفييت قد قتلوا آلافاً من البولنديين - معظمهم من ضباط الجيش - في غابة كاتين قبل ثلاث سنوات في ربيع العام 1940<sup>(7)</sup>. وكما علق أحد صانعي القرار في بريطانيا: «إنه أمر غريب حقاً، عندما نكون نقاتل من أجل هدف أخلاقي، وعندما نسعى إلى التعامل بجديّة تجاه مجرمي الحرب، ثم نكتشف أن حلفاءنا متهمون بالجرائم نفسها»<sup>(8)</sup>. وعلى الرغم من ذلك، فقد اتهمت الحكومة البريطانية مباشرة ألمانيا النازية بتلك الجرائم، وهي تعلم يقيناً أن الاتحاد السوفييتي هو المسؤول عنها. وقد أكدت وزارة الخارجية أن «القصة يجب أن يجري التعامل معها باعتبارها محاولة ألمانية لتقويض تضامن التحالف». في حين أصدرت إدارة الحرب السياسية، وهي وحدة حكومية مؤثرة معنية بالدعاية الحربية، تعميماً يؤكد أن «من واجبنا التأكد من أن يسجل التاريخ أن حادثة غابة كاتين لم تكن سوى محاولة فاشلة من جانب ألمانيا لتأخير الهزيمة بطرق سياسية»<sup>(9)</sup>.

وهناك مثال آخر للأكاذيب الليبرالية نجده في ألمانيا النازية ومحاولاتها المضنية لرمي اللوم على بولندا، بأنها السبب في اشتعال الحرب العالمية الثانية في 1 سبتمبر 1939. ففي ذلك اليوم المؤثر، قال هتلر لبرلمانه إنه كان ينتظر بفارغ الصبر منذ يومين «كي ترسل حكومة بولندا موفدها للحديث معه، ولكن لم يصل أحد»<sup>(10)</sup>. ويفترض من معنى كلامه أنه كان راغباً في الوصول إلى حل دبلوماسي فيما يخص النزاع بين

الدولتين بشأن مستقبل دانزيغ<sup>(\*)</sup> والممر البولندي<sup>(\*\*)</sup>، وأن بولندا هي التي لا ترغب في التعاون معه، لأن رؤساءها غير راغبين في السلام. وبعد أن أكد «حبه للسلام»، ادعى هتلر أن بولندا قد أطلقت نيرانها على أهداف في ألمانيا أولا، وأن الجيش الألماني لم يقم إلا بـ «الرد على تلك النيران». وبعبارة أخرى، أن ألمانيا كانت تتصرف دفاعا عن النفس فقط. بيد أن الحقيقة هي أن ألمانيا كانت قد شنت عدة هجمات على ساحل بولندا في 31 أغسطس، ودبرت هذه الهجمات بصورة تجعل بولندا كأنها هي التي بدأت القتال، في الوقت الذي كانت فيه بولندا ضحية لعدوان نازي.

مثال أخير يخص إستراتيجية القصف الجوي البريطاني على ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية. ففي بواكير ربيع العام 1942، بدأت القيادة الجوية حملات القصف الجوي البريطاني على ألمانيا، والتي كان مؤكدا أنها ستؤدي إلى قتل الكثيرين من المدنيين الألمان. غير أن الحكومة البريطانية لم تكن تريد أن يعرف شعبها أنها تعمدت قتل المدنيين، لأن ذلك يعد انتهاكا صارخا لقوانين الحرب. لذلك كذب المسؤولون البريطانيون مؤكدين أن القصف كان منحصرا على الأهداف العسكرية، لأن «القصف المتعمد على المدنيين ممنوع». غير أن ما ذكره المؤرخ ماكس هيسستنغز يخالف تلك الرواية، حيث كتب: «من بداية الحرب إلى نهايتها، ظل الوزراء يراوغون - وفي الحقيقة، يكذبون بشكل واضح ومكرر - عن طبيعة القصف الهجومي»<sup>(11)</sup>.

## لماذا تلجأ النخبة إلى الأكاذيب الليبرالية؟

ربما يظن الفرد أنه لا حاجة إلى الأكاذيب الليبرالية مادام معظم الناس يدركون بحسهم البديهي أن السياسة الدولية شيء قذر وخطير، وأن للدول أحيانا مبرراتها المنطقية للتصرف بطرق قد تكون منافية للأعراف الليبرالية، أو القانون الدولي. وعلى الرغم من أن هناك شيئا من الحقيقة في هذه المقولة، فإن معظم الناس يفضلون القول، متى ما استطاعوا ذلك، أن دولهم دائما تتصرف بعدالة، وأن أعداءهم على عكس ذلك.

(\*) دانزيغ (أو غدانسك) هي مدينة ساحلية بولندية تمتعت بحكم ذاتي وفقا لمعاهدة فرساي (1919) بعد أن كانت تابعة للإمبراطورية الألمانية، وهي موقع اشتعال شرارة الحرب العالمية الثانية، عندما شن هتلر هجومه عليها في سبتمبر 1939. [المحررة].

(\*\*) الممر البولندي هو شريط من الأرض أعطى لبولندا طريقا مباشرا إلى بحر البلطيق، وفق معاهدة فرساي، وكان محل تنازع بين ألمانيا وبولندا. [المحررة].

## الأكاذيب الليبرالية

وعليه، فإن القادة يكذبون أحيانا ليغطوا فظاعة سلوك بلدانهم، لأن شعبهم لا يريد أن يسمع الحقيقة. ويشبه هذا المنطق تماما منطق صناعة الأساطير القومية. وبالطبع، يكذب القادة أحيانا ليصوروا أنفسهم بأنهم على درجة عالية من المسؤولية وملتزمون بالقانون الدولي، وأحيانا يكذبون خشية الوقوف أمام القضاء لاحقا. حتى أسامة بن لادن شعر بحاجة إلى توضيح مبررات القاعدة لقتل الآلاف من المدنيين في 11 سبتمبر<sup>(12)</sup>.

وتبقى الحقيقة أن هناك أناسا كثيرين في العالم يرتبطون بمنظومة الأعراف الليبرالية والقواعد القانونية التي يفترض أن توجه وتقتن سلوك الدولة، ويريدون أن يروا دولتهم تعمل بموجبها. ويوضح ذلك بدقة المفكر السياسي مايكل والزر حين كتب: «إن أوضح دليل على استقرار قيمنا على مر السنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»<sup>(13)</sup>.

علاوة على ذلك، وكما هو الشأن مع صناعة الأسطورة القومية، يلجأ القادة إلى الأكاذيب الليبرالية لكسب المشروعية في الخارج. ولكن العائد في هذه الحالات ربما يكون قليلا وذلك للأسباب نفسها. ف«الخارجيون» في الأغلب يكون لديهم تقدير جيد لما حدث بالفعل على أرض الواقع، وعن الأحداث الملققة، وبالتالي فمن الصعب خداعهم. وبالطبع، فمن الممكن في بعض الأحيان خداع عدد من الناس في دولة صديقة ممن لديهم حافز قوي - أيديولوجي أو إستراتيجي - لتصديق أكاذيب ليبرالية محددة. باختصار، فإن الأكاذيب الليبرالية صعبة التسويق في الخارج، وبالأخص عندما تتعلق بالأحداث الراهنة.

## متى يُستخدم الكذب الليبرالي؟

في واقع الأمر، فإن كل القادة تقريبا - سواء كانوا يقودون أوتوقراطيات ديكتاتورية أو ديموقراطيات، يميلون إلى تبرير سلوكهم عبر الأعراف الليبرالية أو القانون الدولي، حتى لو كانت أفعالهم نتيجة حسابات دقيقة وإستراتيجية، ومحسوبة بدقة وواقعية شديدة. غير أن ذلك الميل إلى استخدام الخطاب والمنطق الليبرالي لا يسبب أي مشاكل، مادام سلوك الدولة توافق مع التوجهات الواقعية والليبرالية على حد سواء، وهو ما يفترض أن تكون عليه الحال. ومثال لذلك، كان يسهل الدفاع عن مشاركة

أمريكا في حربها ضد اليابان الإمبراطورية وألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية على أسس أخلاقية وإستراتيجية. وربما ينطبق الأمر ذاته على قرار أمريكا باحتواء الاتحاد السوفييتي في أثناء الحرب الباردة، أو عندما قررت أن تخوض حربها ضد العراق في العام 1991.

بيد أن المشاكل تبدأ عندما تتعارض وتتناقض الواجبات الواقعية مع المثالية. وفي هذه الحالات تميل النخبة في المجتمع إلى التصرف بواقعية، والتحدث بمثالية وليبرالية، مما قد يتطلب استعمال الخديعة، بما فيها الكذب.

## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

كان تركيزنا حتى هذه اللحظة منصبا على الفوائد الكامنة والمحتملة للكذب الدولي، وعلى تبيان المكاسب التي من الممكن أن يظفر بها القادة لبلادهم حين يكذبون على الدول الأخرى أو على شعوبهم. بيد أنه في المقابل، هناك تكاليف وخسائر مرتبطة بأنواع الأكاذيب الدولية المختلفة، وهناك ثمن يدفع عندما تحقق الكذبة ما قصد من وراء إطلاقها.

ولكي نقيم الجوانب السلبية للأكاذيب الدولية - وأرجو ملاحظة أنني قد نظرت إلى الموضوع من وجهة نظر نفعية فقط - فإنه من الضرورة بمكان أن نضع في اعتبارنا كيف كان تأثير كل من أنواع الكذب الخمسة في السياسة الداخلية والخارجية. ولتحقيق ذلك فنحن في حاجة إلى إيجاد معايير مختلفة لتقييم النتائج

«من الصعب تصور استمرارية الحكم الديمقراطي لزمين طويل إذا فقد الشعب احترامه لقادته، وأهم مجرد حفة من الكذابين؛ وإذا فقد احترامه لمؤسساته لأنها موغلة في الفساد»

السلبية المحتملة للكذب في كل مجال. ولنبدأ من خلال وصف المعيار الأساس للسياسة الداخلية.

يؤدي الكذب المتكرر إلى الإضرار الكبير بأي جهاز سياسي، لأنه يخلق ثقافة تضليل مسمومة<sup>(1)</sup>. وعليه فإنه من الذكاء أن يحرص القادة ومواطنوهم على تقليل حجم الكذب في بلدانهم. غير أن ذلك بالطبع ليس بالأمر السهل، حيث توجد أحيانا حوافز قوية للأفراد لأن يكذبوا ويغشوا لتحقيق مآربهم، حتى إن كان لذلك السلوك الأثني آثاره السلبية في المجتمع ككل. فلننظر مثلا إلى ما فعله بيرني مادوف<sup>(\*)</sup>، المستثمر المعروف في وول ستريت، والذي احتال على الآلاف من زبائنه بمبالغ تجاوزت مليارات الدولارات. وقد كان له شركاء بالطبع. ولهذا السبب فعلى الحكومات أن تمارس دورها في تقنين ومراقبة سلوك مواطنيها في مجالات مختلفة، ولهذا تستنكر النخب في أغلب المجتمعات وتدين الكذب في القضايا الاقتصادية والسياسية المحلية.

وعلى ضوء هذه الخلفية، يثير إطلاق الأكاذيب الدولية مخاطر كامنة ومخاوف عميقة. وبالتحديد، فإنه من المحتمل أن يكون للكذب في قضايا السياسة الخارجية مردوده العكسي على الحياة اليومية داخل حدود البلد. وبعبارة أخرى، فإن الكذب الصريح في السياسة الدولية - حتى لو كان يتبع منطقا إستراتيجيا - قد يتسرب إلى مسرح الأحداث المحلي ويسبب مشاكل كبيرة بشرعنته لعدم الأمانة في الحياة اليومية. إن المبالغة في اللجوء إلى التغطية والإخفاء والتلفيق قد تؤدي أيضا إلى نتائج غير

(\*) يعد بيرني مادوف، وهو من مواليد 1938، واحدا من أكبر المحتالين في العصر الحديث. وهو محتال أمريكي كان رئيسا لناسداك «سوق الأسهم» حتى قبيل القبض عليه في 2008. وكانت شركته بيرنارد مادوف للاستثمار من أهم الشركات الصانعة للأسواق المالية في الولايات المتحدة. وظف عائلته: أخاه بيتر وابنة أخيه شانا وابنيه مارك وأندرو في الشركة، واحتفظ هو بإدارتها بسرية عالية. وقد حكم على أخيه بيتر بعشر سنوات سجنًا، أما ابنه مارك فقد انتصر شنقا بعد سنتين من القبض على أبيه، ومات أندرو بالسرطان في 2014.

أدار مادوف شركته ضمن ما يعرف بنظام بونزي للاحتيال. وهو نظام للتلاعب بالأسهم من خلال استدراج المستثمرين عن طريق إقناعهم بتحقيق أرباح عالية، بينما يجري التلاعب بأموالهم بحسابات وهمية. وفي 10 ديسمبر 2008 تقدم ابنا مادوف مارك وأندرو للسلطات المعنية ليبلغا بأن أباهما قد اعترف لهما بأن كل أعماله التي يديرها هي من نظام بونزي، وقال لهما إن كل شيء كان كذبة كبيرة. ومباشرة تحركت السلطات المعنية وألقت القبض عليه وأودعته السجن ووجهت له اتهامات بالاحتيال. علما أن شكاوى عديدة سابقة حوله كانت تصل إلى الجهات المعنية ولكن يجري تجاهلها. وفي مارس 2009 اعترف مادوف بـ 11 تهمة وخداعه آلاف المستثمرين بمليارات الدولارات. وتقدر الأموال المفقودة بما يقارب 65 مليار دولار. حكم عليه بالسجن 150 عاما وهي المدة الأقصى المسموح بها. لمزيد انظر: Erin Arvedlund, *Too Good To Be True: The Rise and Fall of Bernie Madoff*, Portfolio, 2009.

## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

محمودة، ولكن كل أنواع الخداع تلك لا تقارن خطورتها بالضرر الذي يحدثه الكذب المتفشي الصريح.

للخداع الروتيني أربع نتائج سلبية في الحياة داخل الدولة، وهي أشد وطأة خصوصا على الأنظمة الديمقراطية. فعندما ينتشر الكذب على نطاق واسع فإن ذلك يجعل تصويت المواطنين على قضايا معينة، أو على مرشحين، أكثر صعوبة، وذلك ببساطة لأنهم ربما يكونون قد بنوا قراراتهم على معلومات مغلوطة وكاذبة. كيف للناخب أن يحاسب السياسي أو القائد، عندما يكون من المستحيل معرفة حقيقة أفعاله؟ تنجح الديمقراطيات عندما تتضمن سوقا لتبادل الأفكار وتلاقحها، وهو ما يمكن حدوثه فقط عندما يتمكن المواطنون من الحصول على المعلومات الموثوقة، وعند توافر مستويات عالية من الشفافية والأمانة.

ويؤدي كذب المسؤولين الحكوميين - بعضهم على بعض أو على الجمهور - إلى إعاقة عملية صنع القرار في الدولة، سواء أكان ذلك في دولة ديمقراطية أم غير ذلك<sup>(2)</sup>. والسبب الرئيس لذلك هو أن تكاليف عالم الأكاذيب والخدعة باهظة جدا، لأن صناع القرار حينها لن يثق بعضهم ببعض، وبالتالي سيبدلون جهودا مضاعفة، وأوقاتا طويلة للتحري والتأكد تماما من أن المعلومات التي بين أيديهم صحيحة. ولكن، حتى لو بذلوا الجهود اللازمة، فقد ينتهي بهم الأمر دون الحصول على كل المعلومات المطلوبة، فتكون قراراتهم مبنية على معلومات زائفة، مما يزيد من احتمالات انتهاج سياسات خاطئة.

علاوة على ذلك، فقد يقوض الكذب المتكرر سيادة القانون، الذي هو بمنزلة القلب بالنسبة إلى الحياة الديمقراطية. ولخص ذلك باقتدار باتريك فيتزجيرالد، المدعي العام الذي دان موظف البيت الأبيض لويس (سكوتر) لبيبي في أكتوبر 2006 بسبب كذبه بشأن دوره في كشف هوية أحد العاملين في الاستخبارات المركزية، حين قال: «الحقيقة هي بمنزلة المحرك لنظامنا القضائي. فإن ساومت على الحقيقة، فقدت كل شيء»<sup>(3)</sup>. وبالطبع، فقد وجدت القوانين جزئيا لمعاقبة الكذب، ما يعني أن هناك قدرا متوقعا من عدم الأمانة في أي مجتمع. ولكن لا يجب للكذب أن ينتشر؛ لا بد من مساحة كبيرة من الأمانة والثقة في الحياة العامة لكي يكون أي نظام قانوني فعالا وكفؤا. فلنأخذ، على سبيل المثال، حكاية جورج ريان، الحاكم السابق لولاية إلينوي،

الذي كان مؤيدا لتطبيق الإعدام، بيد أنه اضطر إلى تعليق كل أحكام الإعدام في ولايته لوجود أدلة قاطعة ومقنعة على أن معظم المساجين الذين ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام قد أدينوا بناء على إفادات كاذبة وأخطاء أخرى<sup>(4)</sup>.

وأخيرا، إن تفشي الكذب في دولة ديمقراطية قد يجعل المواطنين يشعرون بالاغتراب إلى درجة فقدان الثقة بحكومتهم الديمقراطية، مما قد يدفعهم إلى تأييد شكل من أشكال الحكم التسلطي. وعلى كل، فمن الصعب تصور استمرارية الحكم الديمقراطي زمنا طويلا إذا فقد الشعب احترامه لقاداته، ورأهم مجرد حفنة من الكذابين، وإذا فقد احترامه لمؤسساته لأنها موغلة في الفساد. وخلاصة القول، فإن الكذب الكثير يسبب أضرارا جسيمة لأي جهاز سياسي.

ولتغيير مسار النقاش، فلنسأل كيف يمكن أن يؤثر الكذب الدولي سلبا في سياسة الدولة الخارجية؟ كما أكدنا سابقا، يكذب الحكام بعضهم على بعض وعلى شعوبهم، لإيمانهم بأن ذلك الكذب يخدم المصلحة الوطنية. وتبقى الحقيقة المؤسفة أن الكذب، أحيانا، يكون منطقيًا من الناحية الإستراتيجية. فإن لم يكن كذلك انتفت المبررات لأنواع الكذب المتنوعة الموصوفة في الفصول السابقة. ومع ذلك، تنتج من الكذب أحيانا ارتدادات عكسية سلبية، فينتهي الأمر بالدولة إلى حال أسوأ مما كانت عليه قبل إطلاق الكذبة. وعليه، فإن السؤال المحوري لتقييم التعقيدات الناتجة من الكذب الدولي هو: ما أنواع الأكاذيب التي من المحتمل أن تنتج منها ارتدادات عكسية وتؤدي إلى نتائج استراتيجية ضارة؟

إجمالًا، إن «احتمالية الانتكاسة العكسية» هي المعيار لتقييم نتائج الكذب الدولي على الجبهة المحلية، بينما احتمالية «الارتدادات السلبية» والإضرار بالدولة أكثر من نفعها هو أفضل معيار لتقييم الأثر في محيط السياسة الخارجية.

### مخاطر الكذب بين الدول

من غير المرجح أن يؤدي كذب الدولة على دولة أخرى إلى مشاكل في الجبهة الداخلية. وعادة ما تكون خطورة الانتكاسة العكسية بسيطة، لأن القادة لا يكذبون كثيرا بعضهم على بعض. بيد أن السبب الرئيس لذلك هو أن معظم الناس يعلمون أن القواعد الحاكمة للسياسة الخارجية غير تلك التي يجري العمل بها في السياسة



## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

المحلية. وعلى الأخص، هم يعلمون أن على القادة أن يكذبوا أحيانا في بعض التعاملات مع دول أخرى، خصوصا إذا كان التعامل مع عدو خطير. وأيا كان الموقف، فإن الكذب مقبول على نطاق واسع، وإن كان كريها، كسلاح إستراتيجي في السياسة الخارجية. ولهذا السبب، فمن النادر، أن يعاقب القادة والديبلوماسيون عندما يُكشف عن كذبهم على دولة أخرى. وعلى العكس من ذلك، يعتبر الكذب عامة خطأ حين يكون الموضوع محليا، لأنه نادرا ما يكون هناك خطر على الدولة عندما يتعلق الأمر بالسياسة الداخلية أو المحلية.

وقد يبدو من غير المنطقي تصنيف الكذب بين الدول بالطريقة التي وصفتها آنفا من دون أن نشجع على شرعنة الكذب على الجبهة الداخلية. بيد أن هذا غير صحيح؛ فبالإمكان رسم حدود منطقية تبين لنا متى يصبح الكذب مقبولا ومتى لا يكون كذلك. ولنتذكر أن معظمنا يقبل حقيقة أن الكذب مسموح به في حالات استثنائية في حياتنا اليومية، من دون أن يجعل منه سلوكا مقبولا في الظروف العادية. فمثلا، عندما كنت طالبا في أكاديمية وست بوينت العسكرية في أواخر الستينيات، كان هناك ميثاق شرف صارم يشترط على الطالب ألا يكذب، ولا يغش، ولا يسرق، وألا يتسامح مع أولئك الذين يمارسون تلك السلوكيات. ولكن، كان مسموحا لنا بالكذبة البيضاء - وكانت تسمى «الشرف الاجتماعي» - في حالات قد نُؤذي فيها شعور الآخرين في موضوع تافه. وللدلالة على ذلك سأذكر مثلا من ذلك الوقت: فإذا زرت منزل قائدك المباشر وقدمت لك زوجته طعاما رديئا، كان من المقبول أن تقول لها إن الطعام كان جيدا ولذيذا. ولكننا كنا مدركين أن إطلاق كذبة في مواقف اجتماعية حرجة كهذه لا يمنحنا الرخصة لأن نكذب في ظروف أخرى.

وكما لاحظنا، ينطبق المنطق نفسه على الناس في تفاوضهم حول شراء منزل أو سيارة. فالوضع يسمح لكل من البائع والمشتري بأن يكذب ويغش بشأن السعر التحفظي، كجزء من قواعد لعبة البيع. غير أن ذلك لا يعني أن الكذب مسموح به في أمور أخرى. والسياسة بين الدول هي أيضا مجال آخر يعتبر فيه الكذب أمرا مقبولا، حيث لا توجد مجازفة أو انتكاسات عكسية.

وبالانتقال إلى النتائج الدولية، فلا شك في أن للكذب بين الدول نتائج سلبية، مثلما تفشل أي سياسة فتسبب ضررا للمصلحة الوطنية. ولكن لا شيء مميزا بالكذب

الدولي يجعله عرضة للنتائج العكسية السلبية، كما هي الحال في نقاشنا عن استعمال إشارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية. وكذلك، فإن الضرر الذي يقع عندما يفشل الكذب بين الدول ليست له تكاليف عالية، وإن كانت له تكاليفه.

والكذبة التي يطلقها رجل الدولة أو الدبلوماسي لدولة أخرى قد تضل طريقها بطريقتين: أولاً، يمكن أن تكتشف مبكراً وحال إطلاقها، فلا تؤدي غرضها المنشود. ولكن ما العواقب للقادة الذين أطلقوا الكذبة؟ ليس من المتوقع أن تكون العواقب وخيمة، لأن الحافز للانتقام ليس بالقوة الكافية، ولأن الكذبة اكتشفت قبل أن تحدث ضرراً للدولة المستهدفة التي لن يكون لديها، في العادة، طرق جيدة لعقاب الكاذب. وواحد من أشكال العقاب المحتمل هو إحراج الكاذب، ولكنها عقوبة بسيطة حقاً. وهي عقوبة غير فعالة في الأغلب، لأن أغلبية الناس يدركون أن القادة يكذب بعضهم على بعض لمصلحة بلدانهم. وكذلك فإنه من الصعب توبيخ قائد استناداً إلى ذلك، حتى لو لم تنجح كذبه وضبط متلبساً.

ولربما تنتقم الدولة المستهدفة بوقف المفاوضات الجارية، أو انتهاج سياسة متشددة تجاه الدولة التي حاولت خداعها. وفي هذه الحالة فإن الكذبة المكشوفة سوف تسبب توتراً في العلاقات بين الدولتين. ولكن من المحتمل ألا يحصل شيء من هذا، ليس لأن الكذبة قد كشفت ولم تسبب الأذى المطلوب، ولكن - كما ذكرت في مرات متكررة - لأن الكذب بين الدول هو أمر مسلم به. لا شك في أن الكذبة المكشوفة سوف تؤدي إلى توتر العلاقة بين دولتين، لكنها لن تكون الدافع الوحيد، بل بالتأكيد ستكون هناك خلافات ونزاعات اقتصادية وسياسية أخرى بينهما.

ويعد موقف حكومة آيرنهور في ربيع العام 1960، حين ضبطت متلبسة بالكذب الصريح حول حادثة طائرة يو 2، مثلاً جيداً للنتائج المرتدة العكسية<sup>(5)</sup>. فقد شعر الرئيس آيرنهور نفسه بالإذلال عندما كشفت تلك الأكاذيب، ولكن الأهم أنه كان حينها يستعد للقاء الرئيس السوفييتي نيكيتا خروتشوف. وكان كلاهما يريد تحسين العلاقة بين القوتين العظميين، وتهدئة سباق التسلح النووي. بيد أن القمة فشلت بسبب كذب الحكومة الأمريكية عن طبيعة مهمة الطائرة. ولكن السبب الرئيس لفشل القمة هو أن الحادثة قد كشفت للجميع أن الولايات المتحدة قد انتهكت الأجواء السوفييتية، واستخدمت طائرات تجسس على الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي

## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

سبب مشاكل كثيرة للرئيس خروتشوف في الجبهة الداخلية، وأصبح من الصعب عليه التعاون مع آيزنهاور. وباختصار، كان للأكاذيب التي أطلقها الرئيس ومستشاروه إلى موسكو أثر ما، ولكن ليس لدرجة كبيرة.

ومن الممكن القول إن الضبط متلبسا بقول الكذب قد يؤدي سمعة الدولة وبالتالي يسبب أضرارا لوضعها الدولي. وكما لاحظنا، فإن سمعة الدولة مهمة على مستوى السياسات الدنيا<sup>(6)</sup>. إذا اعتادت الدولة أن تمارس الكذب في تعاملها مع الشأن الاقتصادي وغيره من الأمور السياسية الأخرى، فسوف توصف بعدم الأمانة، مما يجعل الدول الأخرى تردد في التعاون والتعامل معها مستقبلا. وربما يكون هذا هو أحد الأسباب الذي يجعل الكذب بين الدول نادرا على مستوى السياسات الدنيا، مما لا يعطي وزنا كبيرا لمسألة سمعة الدولة في هذا المضمار.

وفي مجال السياسات العليا، التي يبدو أن الكذب فيها أكثر ظهورا، وإن لم يكن مألوفًا تماما، فإن السمعة لا تهم كثيرا<sup>(7)</sup>. عندما يتعلق الأمر مباشرة بأمن الدولة، فإن قادتها لن يعيروا اهتماما كبيرا لسمعة الدول الأخرى، لأنهم في المقابل لا يمكن أن يكونوا متأكدين أنهم لن يخدعوا من قبل دولة ذات سمعة طيبة. فإذا كانت الدولة قد صدقت عشر مرات متتالية، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن تصدق في المرة الحادية عشرة. إن الانخداع بالأكاذيب عندما يتعلق الأمر بالسياسات الدنيا ليست له أهمية كبيرة، ولكن الأكاذيب سوف تكون لها عواقب وخيمة إذا كان بقاء الدولة ذاتها على المحك. وعليه، فعندما يتعامل القادة مع قضايا تخص الأمن القومي، فإنهم لا يأخذون السلوك السابق للدول الأخرى في الاعتبار، ما يعني أن السمعة السيئة ليست ثمنا باهظا مقابل الضبط متلبسا بالكذب.

وثانياً، قد يؤدي الكذب بين الدول إلى نتائج عكسية مرتدة بطريقة أخرى. وبالتحديد، قد تظل الكذبة زمنا طويلا من دون أن تكتشف، ولكن، قد لا تؤدي غرضها المنشود فترك الدولة التي أطلقتها في وضع أسوأ. لكن، وبعبارة أخرى، يمكن أن يطلق القائد كذبة تفشل في تحقيق المقصود منها. وأفضل مثال على هذه الظاهرة، هو عندما كذب خروتشوف عن قوة سلاحه في أواخر الخمسينيات. فقد بالغ جدا في وصف قدراته الحربية ليقنع الولايات المتحدة الأمريكية ألا تهدد أو تهاجم الاتحاد السوفييتي، وأن تحترم مصالح وطموحات موسكو حول العالم. ولكن كذبة الفجوة

الصاروخية قد أخافت أمريكا فأشعلت فيها روح المنافسة والحماس، فكثفت من سباق التسلح في الوقت الذي كان خروتشوف يهدف إلى أن يهدئ من هذا السباق، ليوجه الإنفاق إلى البرامج الاقتصادية والاجتماعية. وكما يوضح هذا المثال، فحتى الكذبة المحكمة قد ترسل نيرانها العكسية لتكشف الخلل في السياسة التي ارتكزت إليها.

### مخاطر إستراتيجية إثارة الذعر

من الأرجح أن تكون لإستراتيجية إثارة الذعر - وهي ليست كالأكاذيب التي يطلقها القادة بعضهم على بعض - آثارها السلبية الوخيمة في سياسة الدولة الداخلية والخارجية. وابتداءً، هناك احتمال كبير للانتكاسة العكسية؛ فالقادة الذين يلجأون إلى إستراتيجية إثارة الذعر يكشفون جانباً من الاستخفاف بشعوبهم، وبالديموقراطية بصورة عامة. وعلى كل، فهم يكذبون لأنهم يعتقدون عدم قدرة شعوبهم على فهم ومساندة السياسة الخارجية المزمع انتهائها، حتى لو قُدِّم إليهم تقييم مباشر للتهديد المتوقع والظروف المحيطة. ولذلك، ولضمان تبني الدولة السياسة الخارجية الصحيحة، يصبح تضخيم التهديد، بتلفيق القصص عن العدوان والتورط في أنواع أخرى من الخداع، ضرورياً. إن مشكلة هذا النوع من السلوك هي أن نظرة القادة الدونية إلى شعوبهم قد تردت سلبياً عليهم على الصعيد المحلي، فبمجرد أن يصبح القادة مقتنعين بأن شعوبهم قد لا تفهم القضايا المهمة في السياسة الخارجية، وبالتالي لا بد من خداعهم، فإن المنطق ذاته لن يكون بعيداً عن التطبيق على القضايا الداخلية. وفي الأساس، فإن إستراتيجية إثارة الذعر مربكة لدرجة يصبح من الصعوبة معها بناء جدار عازل بين السياستين المحلية والخارجية؛ لأن العلاقة بين القادة وشعوبهم هي العلاقة نفسها في المضمارين. وهذا بالطبع من دون إنكار أن الدوافع إلى استخدام الخداع تكون أكبر عندما تتعلق المسألة بالسياسة الخارجية، وذلك لكونها مرتبطة بأمن الدولة القومي. إن إستراتيجية إثارة الذعر معرضة لأن تترك آثاراً سلبية وإخفاقاً في السياسة الخارجية، وأساس المشكلة هو أن النقاش العام حول التهديد لا يمكن إلا أن يكون مشوهاً، مادام القادة مصرين على خداع شعوبهم بشأن الخطر الذي تواجهه بلادهم. فهم في الأساس لا يعتقدون أن تقييماً صادقاً وأميناً للخطر المحقق بالبلاد كافٍ لحمل الشعب على التجاوب بشكل صحيح. وبالطبع، قد يكون الشعب نفسه - تحت بعض

## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

الظروف - هو العقبة في التعامل مع الخطر بصورة إيجابية وفعالة، مما يجعل اللجوء إلى سلاح إثارة الذعر إستراتيجية منطقية. وبالفعل، فإن مثالا جيدا على هذا هو موقف الرئيس روزفلت، عندما لجأ إلى الكذب بشأن حادث المدمرة الأمريكية غرير Greer في 1941، والذي يمكن اعتباره من أجل المصلحة العامة؛ لأن الشعب الأمريكي لم يقدر الخطر المماثل للولايات المتحدة من ألمانيا النازية تقديرا جيدا<sup>(8)</sup>.

ولكن في المقابل، من المحتمل - وربما من المرجح - أن يكون الشعب ذكيا ومسؤولا، وأن القادة أنفسهم هم العاجزون عن فهم الموقف بصورة صحيحة، مما ينتج سياسة خرقاء. وهذه النتيجة متوقعة، وتحديدًا إذا كانت الدولة تواجه معارضة قوية من الخبراء خارج الحكومة، ومن شريحة عريضة من المواطنين. فلو قدم الحكام حججا منطقية لتمكنوا من الدفاع عنها في مضمار المناقشات الدائرة، من دون الحاجة إلى الكذب على الجمهور، خصوصا الخبراء العارفين ببواطن الأمور، فعندما يضطر القائد إلى اللجوء إلى أسلوب إثارة الذعر، فإن هناك احتمالا بأنه لم يقرأ حثيات التهديد المفترض قراءة جيدة، وأن تقييم الشعب للأمر هو الصحيح. فإذا كانت الحالة كذلك، وانتهجت الحكومة سياسة خطأ، فذلك بالتأكيد سيقود إلى مشكلة خطيرة.

وكذلك، إذا كذب القادة من أجل الدفع بسياسة خطأ، فمن الأرجح أنهم سيفقدون السند الجماهيري حاملا يعلم الشعب أنه قد جرى تضليله، لتتضاعف بذلك مشكلات الدولة. كان هذا ما حدث بالضبط لحكومة الرئيس جونسون في حرب فيتنام، وكما حصل لحكومة بوش في حرب العراق. حيث أصبح واضحا في الحالتين، عندما ساءت أمور الحرب، أن القادة قد استخدموا كثيرا من الكذب والخداع للحصول على الدعم. أما إذا اكتشف الشعب أن القادة والديبلوماسيين قد كذبوا في سياسة قد حققت أهدافها بنجاح، فمن المحتمل ألا يعاقبهم على ذلك؛ لأن لا شيء يقارن بالنجاح في السياسة الدولية. وهذا المنطق بالطبع، يقنع صناع القرار بأنهم يمكن أن يفلتوا من العقاب باستعمال أسلوب إثارة الذعر.

## مخاطر التغطيات الإستراتيجية

قد يؤدي كذلك أسلوب التغطيات الإستراتيجية إلى مشكلات جمة داخل البلاد وخارجها؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، بشأن سياسات فاشلة أو مثيرة للجدل،

يظنون أن شعوبهم عاجزة عن التعامل مع هذه الأمور بذكاء. وكما هو الوضع في حالة اللجوء إلى إثارة الذعر، يكون الوضع مهياً لحدوث انتكاسات عكسية؛ لأن صناع القرار الذين يحملون هذه الأفكار، سينجرفون بسهولة للظن أن الشعب عاجز عن التعامل مع القضايا المحلية المهمة كذلك، مما يفتح أبواب الخديعة والكذب على مصارعها في الجبهة الداخلية، والنتيجة بالتأكيد ستكون عواقب وخيمة على صعيد السياسة الداخلية. تعتمد احتمالات حدوث المصاعب، على صعيد السياسة الخارجية، على نوع التغطية والتستر وتطوراتها، فلننظر في المقام الأول إلى حالة إخفاء سياسة مثيرة للجدل، وكيف بالإمكان أن تحدث نتائج عكسية. قد يتبنى القائد خلسة سياسة معينة، كانت قد خضعت لنقاش مستفيض مفتوح انتهى باقتناعه بأن هذه السياسة هي لمصلحة البلاد، على الرغم من أنها لم تجد التأييد الكامل من المواطنين. وفي حالة أخرى، قد يجد القائد نفسه مضطراً إلى تبني سياسة في الخفاء، قبل أن تحظى بنقاش شعبي واسع، لأنه يعتقد أن تبنيه تلك السياسة سوف يواجه بمعارضة قوية، وفي كلا السيناريوهين على القائد أن يكذب إذا سئل عن تبنيه السياسة المعنية.

هناك احتمال كبير لحدوث نتائج عكسية عنيفة من جراء تغطيات وإخفاءات من هذا النوع؛ لأنه كلما عجز القادة عن تسويق سياساتهم لجماهيرهم بأسلوب منطقي شرعي، فمن المحتمل أن تكون المشكلة في السياسة نفسها، وليست في الجمهور، ويكون هذا صحيحاً إذا واجهت السياسة اعتراضاً كبيراً من الخبراء من خارج الحكومة. غير أنه في السيناريو الأول، كان هناك نقاش عام للسياسة المراد تبنيها على الأقل، حيث اضطر القادة خلالها إلى أن يستمعوا، ويتفاعلوا مع مخاوف معارضتهم، بما في ذلك آراء الخبراء والذين يعلمون كثيراً عن تفاصيل الأشياء، فقد يحمل هذا الأسلوب التفاعلي الحكام على التفكير ملياً في القرار الذي سيتخذونه، مما يقلل من احتمالات التغطية على سياسة فاشلة. ويضاف إلى ذلك، أنهم ربما يكتشفون بعض النقائص والمشكلات في جوانب من السياسة التي يفضلونها، فيعالجون ذلك الخلل بطرق ذكية. أما بالنسبة إلى السيناريو الثاني الذي يفتقر إلى أي نقاش عام، فإنه تقل فيه فرص اكتشاف الخلل، وتقل فرص المعالجة، وبالتالي يرجح أن تعاني السياسة الفشل.

وبالرجوع إلى الأنواع الأخرى من التغطية - لإخفاء سياسة فاشلة - فإن حدوث نتائج عكسية قد يبقى مسألة خلافة، مادامت السياسة المعنية قد فشلت بالفعل. غير

## الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

أن ذلك غير صحيح، حيث تعني تغطية السياسة الفاشلة، والتي تتضمن حماية الأفراد المسؤولين عن ذلك الفشل، وليس إعفاءهم مباشرة من مهامهم، أن السياسة الفاشلة ستظل مستمرة، أو على الأقل جزءا منها، لزمن معين، وهي نتيجة غير مرغوبة، وأوضح مثال على ذلك كان حماية المارشال جوفري وإدارته العسكرية لمعركة فردان ضد ألمانيا، مما أدى إلى استمرار سياسته الفاشلة طوال الشهور العشرة التي استغرقتها المعركة. كان من الممكن أن يكون الجنود الفرنسيون في وضع أفضل لو استبدل بجوفري جنرال آخر أكثر كفاءة مبكرا خلال المعركة.

كذلك فإن تغطية السياسات الفاشلة قد تؤدي إلى كوارث أكثر، ليس فقط بسبب الإبقاء على أشخاص غير مؤهلين في مراكز عليا لفترة من الزمن، ولكن لأن الانشغال بالتغطية يعيق كفاءة نظام الأمن القومي عن أداء مهمته بالشكل المطلوب، مما يجعل من الصعوبة محاسبة صناع السياسات والقادة العسكريين وتحميلهم المسؤولية عن أفعالهم، فلا يمكن لأي مؤسسة أن تعمل بكفاءة من دون محاسبة ومسؤولية على كل مستويات العمل. وأخيرا، إذا ظلت السياسة الفاشلة مخفية لمدة طويلة، فمن الصعب أن يكون هناك نقاش ذو فائدة عن أسباب الخطأ، وعن التدابير الناجعة لتلافي تكرار ذلك الخطأ في المستقبل. والخلاصة هي أن التغطيات الإستراتيجية قد تكون أحيانا ضرورية، ولكنها تحمل في طياتها مخاطر كثيرة، لأنها تتضمن احتمالات كامنة لحدوث نتائج عكسية حادة، كما أنها قد تفسد الحياة اليومية في الجبهة الداخلية.

## مخاطر صناعة الأسطورة القومية

ليس من المحتمل أن يسبب الكذب من أجل تخليد الأساطير القومية أضرارا في الجبهة الداخلية، ولا عواقب وخيمة على السياسة الخارجية. وليس هناك خوف أو خطر من الانتكاسات العكسية، لأن معظم الناس يكونون مأخوذين بهذه الأساطير وسحرها، من دون التعامل معها بواقعية. وقد يرون أنها حقائق جوفاء، ولكنها ليست كذبا، ولا تشويهها لوقائع تاريخية. وقد التقط جورج أورويل<sup>(\*)</sup> خديعة الوهم الجماعي من القومية، قائلا: «إن القومية هي تعطش إلى السلطة، يعززه خداع للذات: فالقومي قد

(\*) جورج أورويل (1903 - 1950)، هو صحفي وروائي بريطاني اشتهر بكتابات المناهضة للأنظمة الشمولية، والمؤيدة للعدالة الاجتماعية والاشتراكية والديموقراطية، مثل روايته «ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون» (1949)، و«مزرعة الحيوانات» (1945). [المحررة].

يقوم بأفعال مفرطة في عدم الأمانة، ولكنه في الوقت نفسه يرى نفسه على حق، إذ يرى نفسه مدافعا عن أمر أسمى منه»<sup>(9)</sup>. بل إننا نجد أنه حتى المتعلمون والنخبة المثقفة المستنيرة يقعون ضحايا لهذه الظاهرة، فينتهون بتصديق أكاذيبهم، وفي هذه الحالة لا يكون التعامل معها باعتبارها أكاذيب. وكما لاحظ الباحث ريتشارد نيوستادت «أن قدرة اللغة البيروقراطية على تضليل الرؤى وعرضها علنا أمر لا يمكن أن يستهان به»<sup>(10)</sup>. وماذا عن السياسة الخارجية؟ أكد عدد من الباحثين البارزين في هذا الصدد، بمن فيهم المؤرخ بول كينيدي من جامعة ييل وستيفن فان إيفيرا، أن هذه الأساطير القومية قد تضلل الدول أحيانا لتتصرف بحماقة<sup>(11)</sup>. وفي الحقيقة، فإن هذه الأساطير قد تحرك الدول نحو التصرف بعنف تجاه جيرانها، نحو رفض حل النزاعات القابلة للحل بطريقة سلمية. وقد قيل أيضا إن الأساطير القومية، على سبيل المثال، كانت السبب الرئيس في سلوك ألمانيا العنيف أوائل القرن العشرين - بما فيه البدء بالحرب العالمية الأولى. كما يقال إن الأساطير الشوفينية عن تاريخ إسرائيل هي أحد الأسباب الرئيسية وراء رفض الإسرائيليين السماح لأن تكون للفلسطينيين دولة حقيقية، مما جعل وضع حد للنزاع الطويل أمرا مستحيلا.

غير أن هذا المنظور غير صحيح، لأن المؤشر السببي يشير في الاتجاه المعاكس؛ حيث تؤدي السياسة الخارجية إلى خلق الأساطير القومية، وليس العكس. وبالتحديد، فإن الخطاب القومي، قد جرى تفصيله ليتناسب مع سلوك الدول، والمدفوع غالبا بحسابات أخرى. ومثال ذلك، أن سلوك ألمانيا العدواني، حتى بداية الحرب العالمية الأولى، قد فرضته مخاوف حول توازن القوى في أوروبا، وجاءت الأساطير القومية في ألمانيا لتبرر سلوكها العدواني<sup>(12)</sup>. كما أن مساعي إسرائيل للسيطرة على كل ما كان يعرف بفلسطين الانتدابية، ورفضها تأسيس الدولة الفلسطينية، كانا جزءا مركزيا في صميم المخططات الصهيونية منذ إنشائها في العام 1880<sup>(13)</sup>. وجاءت كل أفعال وسلوكيات إسرائيل، منذ تأسيسها في العام 1948، متسقة وملتزمة بالرؤية الصهيونية، ولم تكن منساقة بأي من الأساطير القومية التي اخترعها الإسرائيليون. كان الهدف الرئيس من هذه القصص المختلفة هو تحسين سمعة إسرائيل، وتطهيرها من سلوكها العنيف وقسوتها تجاه الفلسطينيين، كي يصدق الإسرائيليون وحلفاؤهم في الخارج أن إسرائيل دائما على صواب، وأن الفلسطينيين دائما على خطأ.



بالطبع، كل هذا لا ينكر أن القومية قد تكون سببا قويا للحرب. وبالفعل، فقد كانت القومية هي الأيديولوجية الأقوى في القرنين الماضيين، وقد أدت دورا أساسيا في تمزيق بعض الدول والإمبراطوريات، كما قادت بعض الدول إلى شن حروب على جيرانها، ومثال ذلك بسمارك الذي شن حروبا وكسبها في الأعوام 1864 و1866 و1870 مدفوعا بقوميته واعتباراته الأمنية<sup>(14)</sup>. ولم يكن هدفه حينها توسيع بروسيا وجعلها آمنة فقط، ولكنه كان يسعى إلى توحيد ألمانيا الكبرى. وعلينا أن نتذكر أن الصهيونية هي واقعا القومية اليهودية، ولم يكن ممكنا أن يأتي الصهاينة من جميع أنحاء أوروبا ليكونوا دولة يهودية في فلسطين من دون أن يتعاملوا بعنف وقسوة تجاه الشعب الذي كان يعيش في تلك البقعة من الأرض. وبالتالي، فإن القومية هي أحد الأسباب الرئيسية للحرب، ولكن لا ينطبق هذا الأمر على الأساطير التي تصاحبها. فعلى الأكثر، للأساطير تأثير من الدرجة الثانية أو الثالثة في سياسة الدولة الخارجية.

### التكاليف الكامنة للاكاذيب الليبرالية

ليست للاكاذيب الليبرالية أيضا آثار سلبية مهمة على الصعيد المحلي أو السياسة الخارجية. وينطبق الوهم الذاتي نفسه الذي يصاحب خلق الأساطير القومية على الأكاذيب الليبرالية: يعتقد معظم الناس أن الكذب لم يحصل، لأنهم يميلون إلى تصديق أن دولتهم تتصرف دائما بنبل، وعليه فليس هناك أي خطورة من أي ارتدادات عكسية. ولكن، حتى في الأحوال النادرة التي لا تنجح فيها الأكاذيب الليبرالية كما ينبغي، ويدرك الجمهور أن الدولة قد تصرف بصورة غير أخلاقية، أو غير قانونية، فإنه ليست هناك خشية كبيرة من ارتدادات عكسية، لأن معظم الشعب يعلم أن القواعد المطبقة على السياسة الخارجية ليست ذاتها المطبقة داخل حدود دولتهم.

ولا يبدو أن هناك أثرا ملحوظا للاكاذيب الليبرالية التي يطلقها القادة في وضع دولتهم على الصعيد العالمي، وينسحب المنطق ذاته الذي بُنى عليه صناعة الأساطير القومية على الأكاذيب الليبرالية. حيث يسعى القادة والديبلوماسيون إلى مضاعفة أمن دولتهم، بغض النظر عن اللغة التي يستعملونها لتفسير أفعالهم في الماضي والحاضر. وبعبارة أخرى، فإن المؤثر السببي يبدأ من سلوك السياسة الخارجية، إلى الخطاب الليبرالي، وليس العكس.



## الخلاصة

يتضح لنا من السجلات التاريخية أنه على الرغم من أن الكذب مُدان كسلوك مشين ومرفوض، فإن القادة - بكل أطيافهم - يؤمنون بأنه أداة مهمة في إدارة شؤون الدولة، من الممكن، بل من الواجب، استخدامها في ظروف متنوعة. ولا يكذب القادة على دول أخرى فقط، ولكنهم يكذبون كذلك على شعوبهم، وهم يفعلون ذلك ظناً منهم أن في ذلك مصلحة لبلدانهم. وأحياناً يكونون على صواب، فمن ذا الذي يقول إن القادة والديبلوماسيين يجب ألا يكذبوا على عدو خطير - خصوصاً في زمن الحرب - إذا أتت خديعتهم بمنافع إستراتيجية؟ وربما يكون أفضل مثال أدى فيه الكذب دوراً مهماً لقلب ميزان القوى لمصلحة دولة هو موقف بسمارك مع فرنسا، عندما استفزها بالكذب لتبدأ

«وأخذنا في الاعتبار الطموح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقع أن تكون سياسة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة»

الحرب على بروسيا 1870، وكسبت بروسيا الحرب، وحققت نصرا فاعلا قاد إلى خلق ألمانيا القومية في قلب أوروبا.

بالإضافة إلى ذلك، يكذب القادة على شعوبهم أحيانا عندما يعتقدون أن لديهم أسبابا منطقية للكذب. ويبدو لي أن الرئيس جون كينيدي كان على صواب عندما كذب على الشعب الأمريكي بخصوص أزمة الصواريخ الكوبية، وعقد اتفاقا مع الاتحاد السوفييتي على صواريخ جوبيتر في تركيا - لأن تلك الكذبة ساعدت في حل أزمة الصواريخ الكوبية - متجنباً بذلك قيام حرب بين قوتين عظميين مسلحتين نوويا.

إلا أن الكذب لا يحقق أغراضه دائما؛ فمن الصعب على القادة أن يخدعوا الدول الأخرى؛ لأن الكذب بين الدول عادة يوجه إلى الدول المعادية أو المحتمل عداؤها، وهي بالطبع حريصة وحذرة ومتشككة في أي شيء يأتي من الخصوم بشأن قضايا تتعلق بأمنهم. ويفسر فقدان الثقة بين الدول المتنافسة عدم وجود كذب كثير بينهم. فمثلا، كان من الصعب على تشرشل أو روزفلت أن يخدعا هتلر، والعكس صحيح. وعلى الرغم من أنه أسهل على القائد أن يكذب على شعبه، لأن الشعب يثق بحكومته، فإن الكذب على المواطنين قد لا يحقق نتيجة، فعلى سبيل المثال، كذب روزفلت على الشعب الأمريكي بخصوص المدمرة غرير Greer في العام 1941، من أجل أن يجبر أمريكا للمشاركة في الحرب العالمية الثانية. ولكن ظلت أكاذيبه من دون أثر كبير في الشعب الأمريكي الذي ظل في مزاجه الانعزالي حتى وقعت حادثة بيرل هاربر.

كما أن الفشل في الوصول إلى الغاية المبتغاة من وراء الكذب ليس المشكلة الوحيدة التي قد تواجه القائد حين يطلق أكاذيب على المستوى الدولي، فهناك أيضا مخاطرة محتملة لاكتشاف الكذبة، مما قد يسبب ضررا للدولة بدلا من مساعدتها في تحقيق أهدافها، كما حدث لحكومة الرئيس آيزنهاور التي أطلقت الكذبة تلو الأخرى، بعد أن أسقط الاتحاد السوفييتي طائرة التجسس يو2. وبالطبع فقد تؤدي تلك الأكاذيب إلى نتائج عكسية، حتى لو لم تُكشف، أو صدقها قادة الدولة المستهدفة. وهذا ما حصل للرئيس خروتشوف عندما بالغ في تعظيم قدراته الحربية وترسانته النووية في أواخر الخمسينيات، فكان أن انتهى به الأمر إلى سباق تسلح مع الولايات الأمريكية لم يكن يرغب فيه بالأساس، كما لم يكن يخدم مصلحة بلاده. كما تعد أكاذيب حكومة الرئيس جونسون عن أحداث خليج تونكين، في أغسطس من العام 1964، مثلا آخر على

## الخلاصة

النتائج العكسية لسلسلة من الأكاذيب المحكمة، فقد أدت تلك الأحداث وأكاذيبها دورا مهما في جر أمريكا إلى الحرب في فيتنام. وبالطريقة نفسها ألفت حكومة الرئيس بوش أكاذيب كثيرة قبل غزوها العراق في مارس من العام 2003، والتي لم يُكشَف عنها في حينها، وأسهمت في تسويق التحرك بإسقاط صدام حسين. في كلتا الحالتين السالفتين أدى استخدام أسلوب إثارة الذعر إلى كوارث إستراتيجية أضرت بالولايات المتحدة إما إضرار. ويعتبر الارتداد العكسي أحد الجوانب السلبية في مضمار الأكاذيب الدولية، أما الجانب السلبي الآخر فيتمثل في الانتكاسة العكسية، وهو الأكثر مدعاة إلى القلق؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، لما يعتقدونه أسبابا إستراتيجية مفيدة، قد يحدثون أضرارا كبيرة في الجسم السياسي بتبنيهم ثقافة عدم الأمانة. ولذلك تبرز سياستا إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية كأخطر أنواع الأكاذيب التي قد يطلقها القادة. فكلاهما يحمل خطر «الانتكاسة العكسية»، لأنهما يتضمنان كذب القادة على شعوبهم، وكلاهما قد يسبب مشكلة على صعيد السياسة الخارجية. أما الأضرار المرتبطة بأنواع الأكاذيب الثلاثة المتبقية: صناعة الأسطورة القومية، والكذب الليبرالي، والكذب بين الدول، فهي أقل ضررا من إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية.

ما الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من فحوصنا أطروحة الكذب الدولي للسياسة الخارجية الأمريكية مستقبلا؟

خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب الباردة قوة عظمى في العالم. ويبدو أن هذا الوضع سيظل من دون تغيير في المستقبل القريب، حيث إن هناك دولة واحدة - الصين - يمكنها تحدي أمريكا على موقعها، ولكن الطريق أمام الصين طويل، ولها مشكلاتها التي قد تبطئ مسيرتها وربما توقفها<sup>(1)</sup>. وفي الوقت نفسه، هناك عدد كبير من صانعي قرار السياسة الخارجية في أمريكا - ومنهم ديموقراطيون وجمهوريون - يؤمنون بأن لأمريكا دورا أخلاقيا ومسؤولية إستراتيجية لا في حفظ وترتيب شؤون العالم فقط، بل في محاولة تشكيل سياسات الدول الأخرى. إضافة إلى أن القادة الأمريكيين لم يترددوا في استعمال القوة العسكرية لتحقيق أهدافهم الكبيرة. وقد خاضت الولايات المتحدة خمس حروب منذ نهاية الحرب الباردة سنة 1989؛ ففي العام 1991 كانت حربها على العراق؛ و1995 و1999 كانت على صربيا؛ 2001 - 2002 كانت حربها على أفغانستان؛ 2003-2011 على كل من أفغانستان والعراق.

إن الحرب المستمرة في أفغانستان والعراق<sup>(\*)</sup> لا بد من أن تكون لها آثارها في السياسة الخارجية، وفي التقليل من حماس النخبة لتغيير العالم بقوة السلاح، ولكن لا أحد يعلم إلى أي حد. وبالتالي، فربما لن ننتظر طويلا قبل أن نرى الولايات المتحدة وقد بدأت حملة عسكرية أخرى. ولا سبب تقريبا يدعوننا إلى التفكير أن ذهنية التزامها بإدارة شؤون العالم ستتغير قريبا، ما يعني أن الولايات المتحدة ستبقى متورطة في السياسة العالمية على المدى المنظور.

ومن المحتمل أن تؤدي هذه السياسة الخارجية الطموحة إلى خلق كثير من المواقف والأوضاع التي سيجد قادة الولايات المتحدة فيها أنفسهم مضطرين إلى إستراتيجية إثارة الذعر. ولا بد من أن نتذكر أن القادة الذين يكذبون على شعوبهم، في الأغلب الأعم، هم أنفسهم قادة الديمقراطيات التي تخوض حروبا باختيارهم في مناطق بعيدة. وينطبق هذا الوصف تماما على الولايات المتحدة، ويمتد أيضا إلى تفسير أكاذيب وخداع حكومة بوش التي أطلقتها قبل شن الحرب على العراق في العام 2003. ولكنها بالتأكيد ليست الحكومة الأولى التي تلجأ إلى سياسة إثارة الذعر، ولن تكون الأخيرة.

تنفق الولايات المتحدة على جيشها أكثر مما ينفق العالم كله مجتمعا؛ ولديها سلاح نووي فعال وراذع، ولديها حماية من الطبيعة بمحيطين بحريين هائلين. وبالنظر إلى درجة الأمان العالية التي تتمتع بها الولايات المتحدة، فإن الطريقة الوحيدة أمام قادتها، لكي يبرروا حاجتهم إلى التدخلات العسكرية الدولية الطموحة، تأتي عن طريق إقناع الشعب الأمريكي بأن المشكلات الصغيرة نسبيًا، هي في واقعها خطيرة، ومتزايدة الخطورة. وأخذًا في الاعتبار الطموح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقع أن تكون سياسة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة. بالطبع هذه أخبار سيئة، لأن إثارة الذعر لا تقتصر على كونها مدمرة للمؤسسات الديمقراطية، لكنها قد تقود إلى كوارث، كما حدث في العراق وفيتنام.

(\*) كانت مستمرة وقت كتابة الكتاب، وانتهت حرب أمريكا على العراق بانسحاب الجيش الأمريكي في ديسمبر من العام 2011. كما أعلن الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، وقف العمليات القتالية في أفغانستان في ديسمبر من العام 2014، غير أن القوات الأمريكية مازالت موجودة هناك. [المحررة].

# الهوامش





## توطئة

- (1) Mary Dalrymple, "Kerry Avoids Calling Bush Liar" **MSNBC.COM**, September, 24, 2004. [www.msnbc.msn.com/id/1087832](http://www.msnbc.msn.com/id/1087832); David Stout, "Kerry Accuses Bush of Hiding the Truth about Iraq" **New York Times**, September 16, 2004. "Transcript: First Presidential Debate", **Washington Post**, September 30, 2004.
- بيد أنه وفق ملاحظة دارليمبل، فإن أعضاء في حملة كيري الانتخابية لم يترددوا في وصف بوش بالكاذب، على الرغم من أن كيري ذاته كان مترددا في استخدام الكلمة.
- Patrick Healy, "Kerry camp Lowers N.H. Expectations: Behind in Polls, Senator Now Seeks spot in Top Two", **Boston Globe**, December, 8, 2003.

## المقدمة

- (1) Charles A. Duelfer, **Comprehensive Report of The Special Advisor to the DCI on Iraq's WMD**, Vol.1 (Washington DC: Central Intelligence Agency, September 30, 2004), 34-35. See also, Julian Borger, "Interrogators Botched Hunt for Iraq's WMD" **Guardian**, April 27, 2005; Rupert Cornwell, "Saddam Was Bluffing over WMD Stocks, Says Report" **Independent**, October 2, 2003; Johanna McGeary, Timothy J. Burger, and Elaine Shannon, "What Saddam Was Really Thinking" **Time**, October 18, 2004, <http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,995422,00.html>, Walter Pincus and Dana Priest, "Hussein's Weapons May Have Been Bluff" **Washington Post**, October 1, 2003; Alec Russell, "Leaked Report Points to Saddam WMD Bluff" **Telegraph**, October 2, 2003.
- (2) George Tenet, **At the Centre of the Storm: My Years at the CIA**, (New York: Harper Collins, 2007), 331-33.
- (3) Duelfer, **Comprehensive Report**, 34.
- (4) كتب سلوبودان ليكيك في مقالة له حول «ادعاءات كذب صدام بخصوص الأسلحة»: «كان صدام ينفي علنا امتلاكه أي أسلحة غير تقليدية. لكنه في المقابل منع مفتشي الأمم المتحدة من العام 1998 وحتى العام 2002 من العمل داخل البلاد، وعند عودتهم إلى العراق في نوفمبر 2002 كانوا يشكون من عدم تعاون العراق معهم تماما».
- Slobodan Lekic, "Aide: Saddam Did Get Rid of Iraq WMD," **Associated Press**, August 2, 2003.
- ليس هناك شك في أن صدام منع مفتشي الأسلحة من التفتيش ما بين العامين 1998 و2002، بيد أن ذلك ليس دليلا كافيا على أنه كان يكذب. وبينما كان المفتشون يشكون من عدم تمكنهم من الدخول إلى بعض المواقع بعد عودتهم إلى العراق، فقد تم حل هذه الإشكاليات، وأعربت الأمم المتحدة عن ثقتها بقدرتها على تقييم إن كان العراق يمتلك أسلحة دمار شامل أم لا. إذا منحوا فترة زمنية مناسبة لتفتيش البلد. في المقابل، أرغمت حكومة بوش المفتشين على مغادرة العراق قبل انتهائهم من عملهم، وذلك لكي تغزو العراق وتزيح صدام من السلطة.
- (5) لا يتفق الجميع على مقولة أنه من المقبول أن تكذب لإنقاذ إنسان بريء، كما يتضح من القصة المشهورة عن «الكذب المعمداني»: ففي العام 1804 اندلع نقاش حاد في كنيسة

معمدانية في ولاية كنتي بشأن إذا كان من المسموح لرجل أن يكذب إن كان لديه زوجة وأطفال أمام غزاة هنود من المحتمل أن يقتلوهم. بعبارة أخرى، هل يصح أن تكذب لحماية عائلتك من مواجهة خطر محقق؟ وقد انقسمت الكنيسة حول الأمر بين «معمدانيين صادقين» وبين «معمدانيين كاذبين».

(6) Lanse P. Minkler and Thomas J. Miceli, "Lying, Integrity, and Cooperation" *Review of Social Economy* 62, no.1 (March 2004): 27-50.

(7) للاطلاع على موقف حاد تجاه الكذب من أي نوع انظر:

Sissela Bok, *Lying: Moral Choice in Public and Private Life*, 2nd ed. (New York: Vintage Books, 1999).

(8) Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics*, (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), Chap.5.

(9) Thomas Hobbes, *Leviathan*, ed. C.B. Macpherson (Harmondsworth, UK: Penguin, 1985), 202.

(10) حول انتشار الخداع، انظر:

Larry Alexander and Emily Sherwin, "Deception in Morality and Law" *Law and Philosophy* 22, no.5 (September 2003): 393-450; F.G. Bailey, *The Prevalence of Deceit* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991); J.A. Barnes, *A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994); Paul Ekman, *Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics and Marriage* (NY: Norton, 1985); Michael Lewis and Carolyn Saarni, eds., *Lying and Deception in Everyday Life* (NY: Guildford, 1993); Clancy Martin, eds., *The Philosophy of Deception* (NY: Oxford University Press, 2009); David Nyberg, *The Varnished Truth: Truth Telling and Deceiving in Ordinary Life*, (Chicago University Press, 1993); Loyel Rue, *By the Grace of Guile: The Role of Deception in Natural History and Human Affairs* (NY: Oxford University Press, 1994).

(11) الشخص المعني يكون في الواقع كاذباً، إذا تعمد عدم ذكر معلومات مطلوبة في استمارة التقدم للوظيفة، فهو ملزم في مثل هذه الحالة بتبيان كل المعلومات المطلوبة، فعلى سبيل المثال، سحبت جامعة هارفارد عرضاً بالقبول لمتقدمة شابة لأنها لم تذكر أنها أدمنت قضائياً بقتل أمها في العام 1990. فقد شعر موظفو هارفارد بأن المتقدمة تتحمل مسؤولية ذكر هذه المعلومة في استمارة الطلب.

Fox Butterfield, "Woman Who Killed Mother Denied Harvard Admission", *New York Times*, April 8, 1995.

(12) كتب أليكساندر وشيروين أن «فلاسفة الأخلاق يميزون بصورة مكررة بين الكذب والخداع ويدينون الكذب على أنه أسوأ اعتداء».

("Deception in Morality and Law", 400).

- (13) Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (New York: Viking, 2004). See Also, James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004). Chaps 2-3; David Wise, **the Politics of Lying: Government Deception, Secrecy, and Power**. (NY: Random House, 1973).
- (14) Immanuel Kant, **Ethical Philosophy**, trans. James W. Ellington (Indianapolis: Hackett, 1983), 90.
- (15) على الرغم من أننا في هذا الكتاب نساوي بين الكذب والخداع، فإن علماء العلاقات الدولية يتحدثون عن خداع الدولة لدولة عن طريق تحريك قواتها المسلحة ونشرها بطريقة توحى بأنها سيتم استخدامها. حتى لو أن نشر القوات المسلحة لا يتضمن فعليا أي كذب، يظل الهدف الأساسي لتلك التحركات هو تضليل الدولة الأخرى. بيد أنني لم أنظر إلى مثل تلك الحالات، لأنها ببساطة لا تتضمن كذبا. لكني لو أدخلتها ضمن الكتاب، فإزني حينها أستطيع الإشارة إلى حالات أكثر من الكذب من هذا المنظور.

### الفصل الأول

(1) يتضح هذا المنطق في البند 1001 من الباب 18 من دليل الولايات المتحدة، وهو اللائحة التي تُجرّم التصريحات الكاذبة، وتحديدا في «تعتبر العبارة كاذبة استنادا إلى البند 1001 وإن كانت صادقة حرفيا إذا نتج عنها تضليل مسؤول فدرالي». انظر:

JaeYoun John Kim, "False Statements" *American Criminal Law Review* 40, no. 2 (Spring 2003): 515.

(2) Harry G. Frankfurt, **On Bullshit** (Princeton, NJ: Princeton University Press 2005).

كسب هاري فرانكفورت كتاب «عن الهراء» الذي قد يبدو وثيق الصلة بموضوعنا، غير أنه ليس كذلك لسببين: أولا، يؤكد مؤلفه بوضوح أن الهراء يختلف عن الكذب، فالناطق بالهراء لا يعبر اهتماما لقول الحقيقة، فـ «قيم الحقيقة لا تؤدي دورا مركزيا في مقولاته.. فهو غير معني بقول الحقيقة أو إخفائها». (55) وفي سياق روايته - عادة ما تكون قصة شاملة - قد يتفوه بأمور خاطئة، ولكن ذلك لا يعد كذبا، لأنه لا يقوله متعمدا وهو يعرف بأنه غير صحيح. (52) «إن عينه لا ترى الحقائق إطلاقا». (56) في المقابل، فإن الكاذبين يهتمون جدا للحقائق، ولكنهم لا يصرحون بها. فالكاذب «يحاول أن يبعثنا عن الإدراك السليم للواقع» (54 - 55). ثانيا، لا توجد أدلة كثيرة على «الهراء» في السياسة الدولية، غالبا لسهولة اكتشافه وعدم جدواه. ويشير فرانكفورت إلى أن «أغلب الناس واثقون بقدرتهم على التعرف على الهراء وتجنب الانخداع به. ولذلك لم تلفت الظاهرة الكثير من الاهتمام أو البحث الجاد» (1)، كما يشير إلى أن الهراء شائع لأن الناس عادة ما يضطرون إلى «الحديث عن أمور يجهلون بها إلى حد ما» (63). وقلما يجد رجال الدولة والديبلوماسيون أنفسهم في مواقف كهذه من دون أن ننكر أنهم يتخذون أحيانا قرارات حمقاء. باختصار، فإنه من غير المنطقي إدراج «الهراء» كنوع رابع من أنواع الخداع.

(3) Quoted in Corey Dade, Suzanne Varnica and Kevin Helliker, "Woods Aims to Stem Damage," *Wall Street Journal*, December 3, 2009.

(4) American Bar Association, *Model Rules of Professional Conduct*, August 2002, Rule 3.3 (a). See also, Monroe H. Freedman, *Lawyers' Ethics in an Adversary System* (Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1975); Robert J. Spitzer, *Saving the Constitution from Lawyers: How Legal Training and Law Reviews Distort Constitution Meaning* (NY: Cambridge University Press, 2008), 11-14.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الباحثين القانونيين يرون أن «نظام المحامجة يفترض أن أفضل الطرق كفاءة وعدالة للتأكد من الحقيقة يكون من خلال تقديم واف للقضية بجانبها أمام قاض مستقل أو محلفين».

(Freedman, *Ethics in an Adversary System*, 9).

بعبارة أخرى، فإن الخداع الذي يمارسه محامو طرفي النزاع هو الوسيلة المثلى للوصول إلى الحقيقة، ولا يتفق كل القانونيين على هذا الرأي، انظر:

Stephan Landsman, *Readings on Adversarial Justice: The American Approach to Adjudication* (St. Paul, MN: West, 1988), Chap 2.

(5) James Risen, "Captives Deny Qaeda worked with Baghdad" *NYT*, June 9, 2003. هناك المزيد من الأدلة التي تلقي بالشكوك على الارتباط المفترض بين بن لادن وصادم، انظر:

**Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq**, Report prepared for Congressman Henry Waxman by the minority staff, Committee on Government Reform, US House of representatives, March 16, 2004, 21-25.

(6) وفق قانون الولايات المتحدة (يو إس كود)، فإن إخفاء المعلومة يعد سلوكاً إجرامياً عندما يتضمن «خداعاً، ترتيباً، أو حيلة». بعبارة أخرى، يجب أن يكون هناك «فعل مؤكد بالإخفاء» انظر:

Kim, "False Statements" 515.

ووفق تصنيفي، فإن ذلك السلوك مشابه للكذب وبالفعل فهو يتضمن الكذب، ولكنه لن ينطبق على تعريفي للإخفاء، الذي لا يتضمن فعلاً مؤكداً.

(7) Quoted in Albert Z. Carr, "Is Business Bluffing Ethical?" *Harvard Business Review*, January-February 1968, 143.

وللحالة التي لا يعتبر فيها التعامل التجاري كذباً، انظر:

Thomas Carson, "Second Thoughts about Bluffing," *Business Ethics Quarterly* 3, no.4 (October 1993): 317-41.

وللوجه الآخر من النقاش، انظر:

Gary E. Jones, "Lying and Intentions," *Journal of Business Ethics* 5, no.4 (August 1986): 347-49.

انظر أيضاً:

Thomas L. Carson, "On the Definition of Lying: A Reply to Jones Revisions,"  
*Journal of Business Ethics* 7, no.7 (July 1998): 509-14.

### الفصل الثاني

(1) على الرغم من أن تركيزنا، في هذا الكتاب، هو على قيام الدول بخلق وتسويق الأساطير القومية، فإنه لا مراء من أن المجموعات الإثنية والعرقية التي ليست لها دولة مستقلة - سواء لأنهم لم تكن لهم دولة في تاريخهم على الإطلاق، أو أنهم فقدوا تلك الدولة - أيضا نجدهم يكذبون فيما يخص ماضيهم. لذا، فإن أطروحاتي بشأن صناعة الأساطير تنطبق على الشعوب من دون دولة، أو على الدول بذاتها.

(2) ظهر هذا النوع من السلوك الأثني بشكل واضح خلال فضيحة إيران كونترا، عندما جرى التحقيق مع كبار موظفي حكومة رونالد ريغان، وجرى توجيه اتهامات بتجاوز القانون لبعضهم، انظر:

Eric Alderman, *When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences* (NY: Viking, 2004) Chap. 5.

(3) تخفيف التهديد هو نوع آخر محتمل من الكذب الإستراتيجي. في مثل هذه الحالة يكذب القائد على الجمهور ليجعل التهديد أقل من أهميته الحقيقية. ويمارس هذا السلوك عادة عندما يسعى القائد إلى تجنب حرب قادمة بمواجهة ضغط شعبي يدفع باتجاه الحرب. بيد أننا لم نتناول تخفيف التهديد في هذا الكتاب، لأن ظهوره نادر.

### الفصل الثالث

(1) Quoted in J.A.Barnes, *A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying* (Cambridge University Press, 1994), 23.

(2) Sissela Bok, *Lying: Moral Choice and Private Life*, 2nd ed. (NY: Vintage Books, 1999), xxlii.

(3) Quoted in Aviashi Margalit, "The Violent Life of Yitzhak Shamir", *New York Review of Books*, May 1992, 23.

رئيس وزراء آخر لإسرائيل، موشيه شاريت، علق في إحدى المرات قائلا: «لقد تعلمت أن دولة إسرائيل لا يمكن لها أن تهيمن في زمننا هذا من دون الخداع والمغامرة. فهذه حقائق تاريخية لا يمكن تعديلها... وفي نهاية الأمر، فإن التاريخ سيبرر الخداع والمغامرة. وكل ما أعرفه أنني أنا، موشيه شاريت، غير قادر على الإتيان بها، وبالتالي فإنني غير مؤهل لقيادة الدولة».

Quoted in Simha Flapan, *The Birth of Israel: Myths and Realities* (NY: Pantheon Books, 1987), 51-52.

(4) من المؤكد أن هذا لا يعني أنه على القادة أن يفترضوا أن رجال الدولة والديبلوماسيين الأجانب يكذبون عليهم، لأن هذا النوع من القلق قد يدفعهم إلى القراءة الخاطئة لمواقف كثيرة يسمعون فيها الحقيقة. وقد جسد ستالين هذا النوع من التفكير في ربيع من العام 1941، عندما رفض الاستماع بحمق إلى التحذيرات التي جاءته من تشرشل وآخرين بشأن هجوم ألماني مؤكد على الاتحاد السوفيتي. انظر:

Richard K. Betts, *Surprise Attack: Lessons for Defence Planning* (Washington, DC: Brookings Institution, 1982), 34-42; Gabriel Goroetsky, *Grand Delusion: Stalin and the German Invasion of Russia* (New Haven, CT: Yale University Press, 1999), Chap.8; Barton Whaley, *Codeword BARBAROSSA* (Cambridge, MA: MIT Press, 1974).

(5) Charles Lipson, "International Cooperation in Economic and Security Affairs," *World politics* 37, no. 1 (October 1984): 1-23.

(6) Quoted in Anthony Marro, "When the Government Tells Lies," *Columbia Journalism Review* 23, no.6 (March/April 1985): 34. See also Arthur Sylvester, "The Government has the Right to Lie" *Saturday Evening Post*, November 18, 1967, 10, 14.

(7) Jody Powell, *The Other Side of the Story* (NY: Morrow, 1984), 223.

من الضرورة الإشارة إلى أن باول لم يكن يتصور أن قادة الحكومات يضطرون إلى الكذب إلى هذه الدرجة، وقد كذب هو مرتين فقط خلال خدمته لأربع سنوات في البيت الأبيض، وندم على اضطارره إلى فعل ذلك في المرتين.

(8) بخصوص راينلاند، كتب المؤرخ آلان بولوك «وبعد مضي سنوات، تساهل هتلر على طاولاة العشاء: ما الذي كان سيحدث لو كان أحد غيري على رأس الرايخ؟! أي شخص تفكرون فيه كان سيفقد أعصابه، فقد كنت مضطرا إلى الكذب، وما حافظ على رباطة جأشي كان إيماني الراسخ وثقتي العالية بالنفس وبقدراتي الفائقة. فقد هددت بأنه إن لم تهدأ الأمور في راينلاند فإنني سوف أرسل ست فرق عسكرية. في حين أن الحقيقة هي أنه لم يكن بتصرفي أكثر من أربع كاتشب، وفي اليوم التالي كتبت الصحف الإنجليزية أن الأمور قد هدأت».

Alan Bullock, *Hitler, a Study in Tyranny*, rev.ed. (NY: Harper&Row, 1964), 343. See also Michael Mihalka, *German Strategic Deception in the 1930s*, Rand Note N-1557-NA (Santa Monica, CA: Rand Corporation, July 1980); Arnd Plague, *Patterns of Deception: Why and How Rising States Cloak Their Power* (Working Paper, Yale University, March 18, 2009).

(9) Gordotesky, *Grand Delusion*, 115-18, 126-30, 207-10; Jiri Hochman, *The Soviet Union and the Failure of Collective Security, 1934-1938* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984), chap.6; Adam B. Ulam, *Expansion and Coexistence: Soviet Foreign Policy, 1917-73*, 2nd ed. (NY: Praeger, 1974), 241-43, 252-53; Adam B. Ulam, *Stalin: The Man and His Era* (NY: Viking, 1973), 502-3.

(10) Edger M. Bottom, *The Missile Gap: A study of the Formulation of Military and Political Policy* (Rutherford, NJ: Fairleigh Dickinson University Press, 1971) chaps 2, 7; McGeorge Bundy, *Danger and Survival* (NY: Random House, 1988), 416; Arnold L. Horelick and Myron

Rush, *Strategic Power and Soviet Foreign Policy* (Chicago: University of Chicago Press, 1966), chaps. 3-5, 9; Vladislav Zubok and Costantine Pleshakov, *Inside the Kremlin Cold War: From Stalin to Khrushchev* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996) Chapt 6.

- (11) Holger H. Herwig, "The Failure of German Sea Power, 1914-1945: Mahan Tirpitz, and Reader Reconsidered," *International History Review* 10, no.1 (February 1988): 68-105; Paul M. Kennedy, "Tirpitz, England and the Second Navy Law of 1900: A Strategical Critique," *Militargeschichtliche Mitteilungen* 2 (1970): 33-57; Paul M. Kennedy, *The Rise of Anglo-German Antagonism, 1860-1914* (London: Allen & Unwin, 1980), chap. 13, especially 223-27; Paul M. Kennedy, *Strategy and Diplomacy, 1870-1945: Eight Studies* (London: Fontana, 1984), chaps. 4-5 Jonathan Sternberg, *Yesterday's Deterrent: Tirpitz and the Birth of the German Battle Fleet* (London: MacDonald, 1965) intro., chaps 4-5.
- (12) Quoted in "Report: Nixon Feared Israeli Nukes Would Spur Arms race," *Haaretz*, November 29, 2007. See also Avner Cohen, *Israel and the Bomb* (NY: Columbia University Press, 1998); Symore M. Hersh, *The Samson Option: Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy* (NY: Random House, 1991).
- (13) Bundy, *Danger and Survival*, 392. See also, Graham Allison and Philip Zeilikow, *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis*, 2nd ed. (NY: Longman, 1999), 78-80; Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, *One Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964*. (NY: Norton, 1997), 222-23, 252-53; Zubok and Pleshakov, *Inside the Kremlin's Cold War*, 266.
- (14) Trevor Wilson, *The Myriad Faces of War: Britain and the Great War, 1914-1918* (Cambridge, UK: Polity Press, 1988), 341; Ernest D. Swinton, *Eyewitness: Being Personal Reminiscences of Certain Phases of the Great War, Including the Genesis of the Tank* (Garden City, NY: Doubleday, Doran, 1933), chap. 12. See also B.H. Liddell Hart, *The Real War: 1914-1918* (Boston: Little Brown, 1930), 249, 255; B.H. Liddell Hart, *The Tanks: The History of the Royal Tank Regiment and its Predecessors, Heavy Branch, Machine-Gun Corps, 1914-1945* (London: Cassel, 1959), 1:3, 1:47, 1:53-56.
- (15) Ken Alibek with Stephen Handyman, *Biohazard: The Chilling True Story of the Largest Covert Biological Weapons Program in the World, Told from the Inside by the Man Who Ran It* (NY: Dell, 2000);

- Jeanne Guillemain, **Anthrax: The Investigation of a Deadly Outbreak** (Berkeley: University of California Press, 1999); Matthew Meselson et al., "The Sverdlovsk Anthrax Outbreak of 1979," *Science*, November 18, 1994, 1202-8; Judith Miller, Stephen Engelbert, and William Broad, **Germs: Biological Weapons and America's Secret War** (NY: Simon and Schuster, 2001).
- (16) Quoted in Bullock, **Hitler**, 329. See also *ibid.*, chap.6; Ian Kershaw, **The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich** (NY: Oxford University Press, 1989), chap.5 ; Ian Kershaw, **Hitler: 1889-1936; Hubris** (NY: Norton, 1999), chap. 11-12; Ian Kershaw, **Hitler: 1936-45; Nemesis** (NY: Norton, 2000), chap. 1; Mihalka, **German Strategic Deception**.
- (17) Quoted in Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1974), 556.
- (18) Tsuyoshi Hasegawa, **Racing the Enemy: Stalin, Truman, and the Surrender of Japan** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), 108. See also 33, 39, 46-47, 56, 86, 91-93, 190-91.
- (19) Richard M. Nixon, **Six Crises** (Garden City, NY: Doubleday, 1962), 353-57; James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004), 22, 24.
- (20) Powell, **Other Side of the Story**, 225-32.
- (21) Marc Trachtenberg, **A Constructed Peace: The Making of the European Settlement, 1945-1963** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999), appendix 2. Also available online at <http://www.sscnet.ucla.edu/polisci/faculty/trachtenberg/appendices/appendixII.html>.
- (22) Norman Rich, **Friedrich von Holstein, Politics and Diplomacy in the Era of Bismarck and Wilhelm II** (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1965), 2:745. See also *ibid.*, 2:678-745; David G. Hermann, **The Arming of Europe and the Making of the First World War** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996) cap. 2; Gerhard Ritter, **The Schlieffen Plan: Critique of a Myth**, trans. Andrew and Eva Wilson (Westport, CT: Greenwood, 1979), 96-128; L. C. F. Turner, **Origins of the First World War** (NY: Norton, 1970), 2-5.
- يبدو أن الأزمة المغربية هي الحالة الوحيدة المعروفة عن تهديد لفظي فارغ من أجل أغراض قسرية.
- Glenn H. Snyder and Paul Diesing, **Conflict among Nations: 'Bargaining, Decision Making, and System Stryctyre in International Crises** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977), 213-16.



- (23) Bob Woodward, "Gaddafi Target of Secret US Deception Plan" **Washington Post**, October 2, 198; See also Gerald M. Boyd, "The Administration Denies Planting Reports in the US", **New York Times**, October 3, 1986; Leslie H. Gelb, "Administration is Accused of Deceiving Press in Libya," **New York Times**, October 3, 1986; Alex S. Jones, Initial Report on Libyan Plots Stirred Skepticism," **New York Times**, October 3, 1986; Jeffery T. Michelson, "Planning to Deceive: How the Defence Department Practices the Fine Art and of Making Friends and Influencing People," **Bulletin of the Atomic Scientists** 59, no.2 (March/April 2003): 67-68.
- (24) بعد أن ناقش المشكلات الناتجة من البعد الإستراتيجي النووي، كتب هنري كيسنجر «إجابة أصدقائنا في حلف الناتو بالنسبة إلى الوضع الذي وصفته هو المطالبة بمزيد من الضمانات والتأكيدات على الالتزام الأمريكي العسكري. وقد جلست حول طاولة مجلس الناتو في بروكسل وأماكن أخرى، وتحدثت بالكلمات السحرية التي كان لها فعل مطمئن ومريح، مما مكن الوزراء من العودة إلى بلادهم ولديهم مبررات بعدم زيادة الإنفاق العسكري. وقد كرر الذين خلفوني في المنصب التطمينات نفسها، ولكن إن كان تحطيلي صحيحا، فإن تلك الكلمات غير حقيقية، وكذلك فإن علينا أن نواجه حقيقة أنها حالة سخيفة حين نبني إستراتيجية الغرب كله على مصداقية التهديد بانتحار متبادل».
- "NATO: The Next Thirty Years," **Atlantic Community Quarterly** 17, no.4 (Winter 1979/1980): 468. See also Dana H. Allin, **Cold War Illusion: America, Europe, and Soviet Power, 1969-1989** (NY: St.Martin's, 1994), chap. 4; Robert S. McNamara, "The Military Role of Nuclear Weapons: Perceptions and Misperceptions," **Foreign Affairs**, Fall 1983, 79.
- (25) William Carr, **The Origins of the Wars of German Unification** (London: Longman, 1991), 144-203; F. Darmstaedter, **Bismarck and the Creation of the Second Reich** (NY: Russell&Russell, 1965), 351-63; Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J. A. Underwood (Boston: Allen &Unwin, 1986) 1:346-59; W.N. Medilcott, **Bismarck and Modern Germany** (NY: Harper&Row, 1968), 78-84; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973), chap. 18.
- (26) Barbra Demick, "Intelligence Fiasco Stirs Up to the Korean Peninsula," **Los Angeles Times**, March 24, 2005; Dafna Linzer, "US Mised Allies about Nuclear Export," **Washington Post**, March 20, 2005.
- (27) Dwight D Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965), 546. See also James Bamford, **Body of Secrets: Anatomy of the Ultra-Secret National Security Agency; From the Cold War through the Dawn of a New Century** (NY: Doubleday, 2001); Michael R. Beschloss, **MAYDAY: Eisenhower,**

- Khrushchev and the U-2 Affair (NY: Harper&Row, 1986); Ted Galen Carpenter, **The Captive Press: Foreign Policy Crises and the First Amendment** (Washington, DC: Cato Institute, 1995), 55-56; David Wise and Thomas B. Ross, **The U-2 Affair** (NY: Random House, 1962).
- (28) Quoted in Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 281-82. See also, Joel Benin, **The Dispersion of Egyptian Jewry: Culture, Politics, And the Formation of A Modern Diaspora** (Berkeley: University of California Press, 1998), 19-20,31-32, 90-117; Dan Raviv and Yossi Melman, **Every Spy a Prince: The Complete History of Israel's Intelligence Community** (Boston: Houghton Mifflin, 1990), 54-61; Livia Roach, **Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Mosh Sharett's Personal Diary and Other Documents**, 2nd ed. (Belmont, MA: Association of Arab-American University Graduates, 1982), 38-42; Shabtai Teeth, **Ben-Gurion's Spy: The Story of the Political Scandal That Shaped Modern Israel** (NY: Columbia University Press, 1966).
- (29) Quoted in Anthony Cave Brown, **Bodyguard of Lies**, (NY: Harper & Row, 1975), 10. See also Thaddeus Hoyt, **The Deceivers: Allied Military Deception in the Second World War** (NY: Skyhorse, 2007); Philip Knightley, **The First Casualty: From Crimea to Vietnam; The War Correspondent As Hero, Propagandist, and Myth Maker** ( NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1975); Michael Howard, **Strategic Deception in the Second World World** (NY: Norton 1995); Harold D. Lasswell, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927); J. C. Mastermind, **The Double-Cross System in the War of 1939 to 1945** (New Haven, CT: Yale University Press, 1972); Arthur Ponsonby, **Falsehood in War-Time, Containing an Assortment of Lies Circulated throughout the Nations during the Great War** (NY: Dutton, 1928); Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 229-53.
- (30) Quoted in Warren F. Kimball, **The Juggler: Franklin Roosevelt as Wartime Statesmen** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1991), 7.
- (31) من المهم تأكيد أن الجيوش تعتمد - بشكل أساسي في عملها - على قول الحقيقة داخل الجيش، لأن الصدق عنصر أساسي في تحقيق الانتصار في ميدان المعركة. ولكي ينجح الجيش في عمله، فلا بد أن تكون جميع رتبته واثقة كامل الثقة بصدق وصحة المعلومات التي تصلهم من رؤسائهم أو مرؤوسيههم على حد سواء. ويترتب على عدم الصدق، أن يخوض الجيش معركته استنادا إلى معلومات مغلوطة، مما سيؤدي إلى ارتفاع كبير في احتمالات الهزيمة بالإضافة إلى وقوع إصابات من دون داع. ولذلك نجد مؤسسات مثل وست بوينت تضع وزنا كبيرا لميثاق الشرف. وفي حين أنه لا مكان للخداع في المؤسسة

العسكرية، فإنه من المتوقع أن الجيوش المتنافسة تعي عادة خداع بعضها لبعض، خصوصا في وقت الحرب.

(32) Thomas C. Schelling, *The Strategy of Conflict* (London: Oxford University Press, 1970), 23, 33. See also Thomas C. Schelling, "Game Theory and the Study of Ethical Systems," *Journal of Conflict Resolution* 12, no.1 (March 1968):34-44.

على الرغم من أن المتعارف عليه أن الخداع يمارس بشكل اعتيادي في منظمات العمل، فإن أحد الباحثين يرى أنه يمارس بصورة «أقل مما يشاع».

Chris Provis, "Ethics, Deception and labor Negotiation," *Journal of Business Ethics* 28, no.2 (November 2000): 145-58.

(34) المنطق نفسه يفسر لماذا لا يكشف لاعبو البوكر كل أوراقهم، بعد خدعة ناجحة، فإن فعلوا فمن الأرجح ألا تنتج الحيلة ذاتها مرة أخرى.

(35) وفق التحليل الوافي والتفصيلي لمورافيسك عن المفاوضات بين الدول الأوروبية، فلا يوجد دليل واضح على الكذب بين الدول التي أوجدت الاتحاد الأوروبي.

*The Choice for Europe: Social Purpose and State Power from Messina to Maastricht* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1998).

ومع أن مورافيسك لا يذكر مباشرة سبب غياب الكذب في الحقبة التاريخية التي درسها وفحصها، لكن يبدو بشكل واضح أن الدول الأوروبية المعنية هنا قد جاءت لطاولة المفاوضات عندما :أولا، كان هناك تداخل كبير بين أولوياتهم. وثانيا، كانوا كلهم يعلمون - بشكل واضح - الاتفاقات الممكنة، والأولويات الوطنية، والخيارات المؤسسية. وثالثا، كانوا كلهم مقتنعين بأن اتفاقا كهذا سيقود إلى «مصالح مشتركة». ولم يكن الكذب فقط صعبا في أجواء تتوافر فيها المعلومات بوضوح، ولكن الكذب في تلك الأجواء كان سيبدو سخيفا ولا معنى له، لأن أي سلوك مخادع كان بإمكانه أن يعيق الاتفاق، «وهي نتيجة كانت ستؤدي إلى الإضرار بمصالح الجميع».

(Ibid., 61, 481-85)

(36) Anthee Carassava, "Greece Admits Faking Data to join Europe," *New York Times*, September 23, 2004; Daniel Howden and Stephen Castle, "Greece Admits Deficit Figures Were Fudged to Secure Euro Entry," *Independent*, November 16, 2004; Helena Smith and Larry Elliot, "EU Raps Greece over Deficit," *Guardian*, December 2, 2004.

(37) Trachtenberg, *Constructed Peace*, 122-22. See also James McAllister, *No Exit: America and the German Problem, 1943-1954* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002), 225.

(38) McAllister, *No Exit*, 234. See also minutes of National Security Council Meeting, December 10, 1953, in *Foreign Relations of the United States, 1952-1954* (Washington, DC: Government Printing Office, 1983), 2:450-51.

- (39) Ponsonby, **Falsehood in War-Time**, 19.
- (40) Charles Horton Cooley, **Human Nature and the Social Order**, rev. ed. (NY: Scribner's Sons, 1922), 388.

### الفصل الرابع

- (1) James Chace, **Acheson: The Secretary of State Who Created the American World** (NY: Simon and Schuster, 1998), chap. 16.
- (2) Quoted in Michael Hirsh, "Bernard Lewis Revisited," **Washington Monthly**, November 2004.
- (3) من أفضل المصادر حول حادثة «غريير» (Greer)، انظر:

Robert Dallek, **Franklin D. Roosevelt and American Foreign Policy, 1932-1945** (NY: Oxford University Press, 1979), 285-88; Waldo Heinrichs, **Threshold of War: Franklin D. Roosevelt and American Entry into World War II** (NY: Oxford University Press, 1989), 166-68; David M. Kennedy, **Freedom from Fear: The American People in Depression and War, 1929-1945** (NY: Oxford University Press, 1999), 497-99; William L. Langer and S Everett Gleason, **The Undeclared War: 1940-1941**; (Gloucester, MA: Smith, 1968), 742-50; David Reynolds. **The Creation of the Anglo-American Alliance, 1937-1941: A Study in Competitive Cooperation** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1982), chap.8; John M. Schuessler, "The Deception Dividend: FDR's Undeclared , **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 133-65.

- (4) As Robert Divine notes, "The submarine commander, far from being guilty of an unprovoked assault, had turned in desperation on his pursuer in an effort to escape destruction." **The Reluctant Belligerent: American Entry into World War 2** (NY: Wiley, 1967), 143.
- (5) كل الاقتباسات في هذه الفقرة والفقرة التالية من:

Dallek, **Roosevelt and American Foreign Policy**, 285-88; see also Langer and Gleason, **Undeclared War**, 744-46.

- (6) من أفضل المصادر حول حادثة خليج تونكين:

Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (NY: Viking, 2004) chap. 4; Joseph C Goulden, **Truth is the First Casualty: The Gulf of Tonkin Affair, Illusion and Reality** (Chicago: Rand McNally, 1969); Robert J Hanyok, "Skunks, Bogies, Silent Hounds, and the Flying Fish: The Gulf of Tonkin Mystery, 2-4 August 1964," **Cryptologic Quarterly** 19 and 20, not. 4 and 1 (Winter 2000 and

Spring 2001). 1-55; David Kaiser, **American Tragedy: Kennedy, Johnson, and the Origins of the Vietnam War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2000), chap.11; Fredrik Logevall, **Choosing War: The Lost Chance for Peace and the Escalation of War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 1999), chap. 7; H.R. McMaster, **Dereliction of Duty: Lyndon Johnson, Robert McNamara, the Joint Chiefs of Staff, and the Lies the Led to Vietnam** (NY: HarperCollins, 1997), chap.6; Edwin E. Moise, **Tonkin Gulf and the Escalation of the Vietnam War** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1996); Gareth Porter, **Perils of Dominance: Imbalance of Power and the Road to War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 2005), chap.6.

(7) Alterman, **When Presidents Lie**, 204-5.

(8) Alterman, **When Presidents Lie**, 193.

وهذه كلمات أترمان.

(9) Goulden, **First Casualty**, 50.

(10) Hanyok Skunks 21-49; Moise, **Tonkin Gulf**, 206-10, 241-43. See also Alterman, **When Presidents Lie**, 186-90.

(11) Logevall, **Choosing War**, 198. These are Logevall's words. See also Porter, **Perils of Dominance**, 196-98.

(12) Kaiser, **American Tragedy**, 335-36.

(13) Moise, **Tonkin Gulf**, 243.

هذه كلمات مويس، ومن الجلي الآن أنه لم يحدث هجوم على مادوكس في 4 أغسطس 1964. Hanyok,(skunks),3.

(14) Moise, **Tonkin Gulf**, 243.

(15) هذه هي الكلمات التي استخدمها ماكنمارا ووزير الخارجية دين رسك عند الإدلاء بإفاداتهما أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في السادس من أغسطس.

Logevall, **Choosing War**, 203.

ولمزيد من الملاحظات المشابهة الرئيس جونسون وأعضاء حكومته، انظر المرجع السابق.

198-99; and McMaster, **Dereliction of Duty**, 133-35.

(16) Michael R. Beschloss, **Taking Charge: The Johnson White House Tapes, 1963-1964** (NY: Simon and Schuster, 1997), 494-95; Hanyok "Skunks", 5-12; Logevall, **Choosing War**, 201; McMaster, **Dereliction of Duty**, 121-30; Moise, **Tonkin Gulf**, 99-105, 228-29, 239-41.

(17) See Lotgeval, **Choosing War**, 199-203; Moise, **Tonkin Gulf**, 99-105.

(18) Alterman, **When Presidents Lie**, 205; Logevall, **Choosing War**, 203.

من الممكن القول إن حكومة الرئيس جونسون أطلقت كذبة ثالثة مرتبطة بحادثة خليج تونكين؛ فقد ادعى الرئيس ومستشاروه الرئيسيون طوال العام 1964 وبدايات العام 1965 أنه لم تكن لهم نية، وبالتالي لا توجد خطط، لتصعيد الحرب في فيتنام. بل إن جونسون ظل يطرح نفسه على أنه مرشح السلام في حملته لانتخابات الرئاسة في العام 1964 ضد باري غولدووتر. ولكن طوال هذه الفترة، كان جونسون يضع الخطط لتوسعة الحرب، كما اتضح من سلوكه في حادثة خليج تونكين. ولمزيد من النقاش حول الموضوع انظر:

Alterman, **When Presidents Lie**, chap.4; Kaiser, **American Tragedy**, chap.11; Logevall, **Choosing War**, 193-221, 242-253, 314-15; Deborah Shapley, **Promise and Power: The Life and Times of Robert McNamara** (Boston: Little Brown, 1993), 304-5.

(19) Eric Schmidt, "Rumsfeld says US Has "bulletproof" Evidence of Iraq's Links to Al Qaeda," **New York Times**, September 28, 2002.

(20) Thomas Shanker, "Rumsfeld Sees Lack of Proof for Qaeda-Hussein Link," **New York Times**, October 5, 2004.

(21) اقتباسات باول من مقال:

Richard Cohen, "Powellian Propaganda?" **Washington Post**, February 13, 2003; **Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq**, Report prepared for Congressman Henry A. Waxman by the Minority Staff, Committee on Government Reform, US House of Representatives, March 16, 2004, 23; Transcript of Secretary Powell's Press Conference, January 8, 2004. See also Derrick Z. Jackson, "Powell's Shrinking Credibility on Iraq," **Boston Globe**, January 14, 2004; Christopher Marquis, "Powell Admits No hard Proof in Linking Iraq to Al Qaeda," **New York Times**, January 9, 2004.

(22) Spencer Ackerman and John Judis, "Deception and Democracy: The Selling of the Iraq War," **New Republic**, June 30, 2003, 18; Douglas Jehl, "Report Warned Bush Team about Intelligence Doubts," **New York Times**, November 6, 2005; Mark Mazzetti, "CIA said to find no Hussein Link to terror Chief" **New York Times**, September 9, 2006; John Prados, "Phase II: Loaded for Bear," **TomPaine.com**, November 10, 2005; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs and Links to Terrorism and How they Compare with the Prewar Assessments**, 109th Cong., 2d sees., September 8, 2006, 60-112; Jonathan Weisman, **Iraq's Alleged Al-Qaeda Ties Were Disputed Before War**, **Washington Post**, September 9, 2006.

- (23) Walter Pincus and Dana Milbank, "Al Qaeda - Hussein Link is Dismissed," *Washington Post*, June 17, 2004.
- (24) Bob Woodward, *Plan of Attack* (NY: Simon and Schuster, 2004), 173.
- (25) على سبيل المثال، قال جورج تينيت، مدير المخابرات المركزية خلال فترة التحضير للحرب، في خطاب له في الخامس من فبراير 2004: «كنا نعتقد أن العراق لديه أسلحة بيولوجية مدمرة بما في ذلك أنثراكس، والتي بالإمكان بسهولة تحميلها على قنابل أو صواريخ أو عن طريق الرش الجوي أو عمليات سرية. ولكننا قلنا إننا لم تكن لدينا معلومات محددة عن أنواع أو كميات تلك الأسلحة المتوافرة تحت تصرف بغداد.»  
للحصول على نص الخطاب انظر:
- "Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons," *New York Times*, February 5, 2004.  
كذلك فقد أفادت هيئة الاستخبارات العسكرية في سبتمبر 2002 بأنه «لا يوجد دليل قاطع أو مباشر على وجود مخزون من الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية أو مصانع لإنتاجها.» انظر:
- Joseph Cirincione's comments in *Conference Call Briefing on Iraq's Weapons* (Washington, DC: Arms Control Association, February 3, 2004). See also *Iraq on the Record*, 15-16; Walter Pincus and Dana Priest, "Bush, Aides Ignored CIA Caveats on Iraq," *Washington Post*, February 7, 2004; Senate Select Committee on Intelligence, *Postwar Findings about Iraq's WMD Programs*, 26-43.
- (26) *Iraq on the Record*, 7.
- (27) Jackson, "Powell's Shrinking Credibility".
- (28) See Joseph Cirincione, Jessica Tuchman Mathews, and George Perkovich, *WMD in Iraq: Evidence and Implications* (Carnegie Endowment Report, January 2004), 86.
- (29) *Ibid.*, 18, 95.
- (30) *Ibid.*, *WMD in Iraq*, 20; *Iraq on the Record*, 16.
- (31) Cirincione, Mathews, and Perkovitch, *WMD in Iraq*, 21.
- (32) See Pincus and Priest, "Bush, Aides Ignored CIA Caveats"; *Iraq on the Record*, 10-13; Senate Select Committee on Intelligence, *Postwar Findings about Iraq's WMD Programs*, 17-21; Murray Waas, "What Bush Was Told about Iraq," *National Journal*, March 2, 2006.
- (33) See Ackerman "Deception and Democracy", 15; Cirincione, Mathews, and Perkovich, *WMD in Iraq*, 21-28; Senate Select Committee on Intelligence, *Postwar Findings about Iraq's WMD Programs*, 10-26; "Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons"; Greg Thielman's comments in "Conference Call Briefing on Iraq's Weapons"; *Iraq on the Record*, 7-15.

- (34) See Ronald Brownstein, "Support of US Military Role in Mideast Grows," *Los Angeles Times*, April 5, 2003; The Gallup Organisation, *Approval for Handling of War in Iraq Jumps*, Poll Analysis, December 19, 2003; Adam Nagourney and Jane Elder, "Growing Number in US Back War, Survey Finds," *New York Times*, March 11, 2003; Tom Zeller, "The Iraq-Qaeda Link: A Short History," *New York Times*, June 20, 2004; Tom Zeller, "Making a Simple Link of Faith," *New York Times*, March 2, 2003.

وجدت إحدى مؤسسات استطلاع الرأي - على الأقل - في سبتمبر 2003، أي بعد سنتين من سقوط الرجيم، وستة أشهر تقريبا بعد حرب العراق، أن «سبعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أن صدام كان له دور في الهجمات»، انظر:

- Dana Milbank and Claudia Deane, "Hussein Link to 9/11 Lingers in Many Minds," *Washington Post*, September 6, 2003.

- (35) See "Cheney: No Link between Saddam Hussein, 9/11," CNN.com, June 1, 2009 <http://www.cnn.com/2009/politics/QI/Cheney.Speech/>; Rebecca Christie, "US Rumsfeld Concedes No WMDs or September 11 ties in Iraq," *Dow Jones Newswires*, September 17, 2004; Cirincione, Mathews, and Perkovitch, *WMD in Iraq*, 44; Milbank and Deane, "Hussein Link to 9/11 Lingers"; Greg Miller, "No Proof Connects Iraq to 9/11, Bush says," *Los Angeles Times*, September 18, 2003; Paul Reynolds, "Rumsfeld Weakens a Pillar of War," *BBC News Online*, October 5, 2004 <http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/3717024.stm>; David E. Sanger, "Bush Reports No Evidence of Hussein Tie to 9/11," *New York Times*, September 18, 2003; Susan Walsh, "Rumsfeld Sees No Links between saddam Hussein, 9/11," *USA Today*, September 16, 2003.

ورد في مقال نشر في مجلة «ناشيونال» أنه «بعد عشرة أيام من هجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية على برجَي التجارة ومبنى البنتاغون، جرى إبلاغ الرئيس بوش في إفادة سرية بأن المخابرات الأمريكية ليست لديها أدلة تربط النظام العراقي (صدام حسين) بالاعتداءات، وأن الأدلة على جهود تنسيقية بين العراق والقاعدة كانت غير مؤكدة، وذلك وفق السجلات الحكومية ومسؤولين حاليين وسابقين لديهم اطلاع مباشر على الموضوع».

- Murray Waas, "Key Bush Intelligence Briefing Kept from Hill Panel," *National Journal*, November 22, 2005.

(36) نص إفادة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمام لجنة مجلس الشيوخ للخدمات العسكرية حول العراق، 19 سبتمبر 2002.

(37) رسالة من الرئيس إلى رئيس مجلس النواب والرئيس المؤقت لمجلس الشيوخ، 18 مارس 2003.

- (38) "Bush Makes Historic Speech aboard Warship," CNN.com, May 1, 2003 <http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.Transcript/>. <http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.transcript/> See also Jim Gutenberg and Sheryl Gay Stolberg, "Bush Says G.O.P. Rebels are Putting Nation at Risk," *New*



York Times, September 16, 2006; David E. Sanger and Robert Toner, "Bush and Cheney talk Strongly of Qaeda Links with Hussein," *New York Times*, June 18, 2004.

(39) *New York Times*, "What the Bush Administration Said," June 20, 2004; Christopher Scheer, Robert Scheer, Lakshmi Chaudhry, *The Five Biggest Lies Bush Told Us About Iraq* (NY: Seven Stories, 2003), 42.

(40) كذبة أخرى خدمت الغرض نفسه تمثلت في ادعاء الرئيس بوش، والذي أكدته في ثلاث مناسبات مختلفة، أن صدام حسين رفض دخول مفتشي الأمم المتحدة إلى العراق في العام 2002. وبناء عليه، فإنه لم يملك أي خيار إلا بإزالة الرئيس العراقي من السلطة، انظر:

Joe Chanson, "Saddam Chose to Deny Inspectors," *Salon*, March 31, 2006,

[http://www.salon.com/news/opinion/joe\\_conason/2006/03/31.bush\\_lies](http://www.salon.com/news/opinion/joe_conason/2006/03/31.bush_lies).

وطبعاً سمح صدام للمفتشين بالدخول إلى العراق ومنحهم حرية حركة كاملة للبحث عن أسلحة الدمار الشامل، بيد أن بوش سحبهم قبل أن ينهوا مهمتهم، ثم قام بغزو العراق، وللإطلاع على عرض ممتاز للخداع الذي مارسته حكومة الرئيس بوش خلال فترة التحضير لغزو العراق انظر:

David Corn, "Can the 'Bush Lied' Deniers Handle the Truth?" *Politics Daily*, March 17, 2010,

[http://www.politicsdaily.com/2010/03/17/can\\_the\\_lied\\_deniers\\_handle\\_the\\_truth/](http://www.politicsdaily.com/2010/03/17/can_the_lied_deniers_handle_the_truth/)

David Corn, "Charges and Countercharges: Did Bush Knowingly Mislead the US into War with Iraq?" *Politics Daily*, March 30, 2010.

[http://www.politicsdaily.com/2010/03/30/a\\_long\\_war\\_d:d\\_bush\\_knowingly\\_mislead\\_the\\_u\\_s\\_into\\_iraq/](http://www.politicsdaily.com/2010/03/30/a_long_war_d:d_bush_knowingly_mislead_the_u_s_into_iraq/).

(41) Woodward, *Plan of Attack*, 296; Brian Knowlton, "Diplomacy Won't Be Given Months," *New York Times*, January 31, 2003. See also Bush's comments in Scheer, Scheer, and Chaudhry, *Five Biggest Lies*, 80.

(42) Scheer, Scheer, and Chaudhry, *Five Biggest Lies*, 80.

(43) Nicholas Lemann, "How it came to war; When Did Bush Decide That He Had to Fight Saddam?" *New Yorker*. March 31, 2003. See also, Richard N. Haass, *War of Necessity, War of Choice: A Memoir of Two Iraq Wars* (NY: Simon and Schuster, 2009), 4-6.

(44) *Times* (London), "The Secret Downing Street Memo," May 1, 2005. See also Michael Smith, "The Real News in the Downing Street Memos," *Los Angeles Times*, June 23, 2005.

(45) Woodward, *Plan of Attack*, 269-74.

للمزيد من الأدلة على أن الرئيس بوش اتخذ قرار الحرب قبل نهاية يناير 2003. انظر المرجع السابق 95، 113، 115، 119-20، 169، 178. وكذلك، هناك أدلة في الإعلام خلال العام 2002 على أن حكومة بوش كانت قد قررت إزاحة صدام بالقوة، انظر على سبيل المثال:

John Walcott and Mark Danner, "The Secret Way to War: An Exchange," *New York Review of Books*, July 14, 2005, 48-49.

(46) من المفيد ملاحظة أنه في هذه الحالة نجد حكومة بوش تستخدم أسلوب إثارة الذعر، بالإضافة إلى الكذب بين الدول، مما يذكرنا بأنه الكذب عينه، ولكنه موجه إلى جماهير مختلفة.

(47) من أجل نقاش واف حول ما يدعو القادة إلى التهوين من شأن التهديدات، انظر:

A. Trevor Thrall and Jane K. Cramer, eds., *American Foreign Policy and the Politics of Fear: Threat Inflation since 9/11* (NY: Rutledge, 2009)

(48) Steven Casey "Selling NSC-68: The Truman Administration, Public Opinion, and the Politics of Mobilization, 1950-51," *Diplomatic History* 29, no.4 (September 2005): 655 - 90.

كان خطاب إدارة الرئيس ترومان في الواقع مثيراً للحدرد إلى درجة «الخوف من أن تزيد سخونة المزاج العام، مما يقلل من حرية المسؤولين في المناورة، وربما يدفعهم نحو سياسات راديكالية خطيرة» (المرجع السابق، 661)، انظر أيضاً:

Nancy E. Bernhard, *US Television News and Cold War Propaganda, 1947-1960* (NY: Cambridge University Press, 1999); Campbell Craig and Fredrik Logevall, *America's Cold War: The Politics of Insecurity* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2009).

(49) Leslie Gelb with Jeanne-Palima Zelmatti, "Mission Unaccomplished," *Democracy*, no. 13 (Summer 2009):24.

(50) الموجز الكلاسيكي ضد وثائق الكونفيدرالية:

Alexander Hamilton, James Madison and John Jay, *The Federalist Papers*, ed. Isaac Kramnik (Harmondsworth, UK: Penguin books, 1987), 145-84.

للاطلاع على نقد لآلية صناعة السياسات وفق الدستور الأمريكي، انظر:

Theodore J. Lowi, "Making Democracy Safe for the World: National Politics and Foreign Policy," in James N. Rosenau, ed., *Domestic Sources of Foreign Policy* (NY: Free Press, 1967), 295-331. Theodore J. Lowi, *The End of Liberalism: The Second Republic of the United States*, 2nd ed. (NY: Norton, 1979); E.E. Schattschneider, *The Semisovereign People: A Realist's View of Democracy in America* (Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovic, 1975). See also, Michael Crozier, Samuel P. Huntington, and Joji Watanuki, *The Crisis of Democracy: Report on the Governability of Democracies to the Trilateral Commission*, Triangle

Papers 8 (NY: New York University Press, 1975); David Donald's essay, "Died of Democracy," in David Donald, ed., *Why the North Won the Civil War* (NY: Collier Books, 1962) 79-90.

حيث يجادل بأن الجنوب خسر الحرب الأهلية لأنه كان ديمقراطياً أكثر من اللازم.

- (51) Alterman, *When Presidents Lie*, 210.
- (52) Richard Cohen, "A War without Winners," *Washington Post*, November 3, 2005.
- (53) James Burnham, *Suicide of the West: An Essay on the Meaning of Destiny of Liberalism* (New Rochelle, NY: Arlington House, 1964); Donald Kagan and Fredrick W. Kagan, *While America Sleeps: Self-Delusion, Military Weakness, and the Threat to Peace Today* (NY: St. Martin's, 2000); Donald Kagan, *On the Origins of War and the Preservation of Peace* (NY: Doubleday, 1995), 572-73; Robert G. Kaufman, "To Balance or to Bandwagon? Alignment Decisions in the 1930s Europe," *Security Studies* 1, no.3 (Spring 1992): 417-47; Norman Podhoretz, *The Present Danger: Do We Have the Will to Reverse the Decline of American Power?* (NY: Simon and Schuster, 1980); Jean-Francois Revel, *How Democracies Perish*, trans. William Byron (Garden City, NY: Doubleday, 1984).
- (54) Quoted in Ronald Bailey, "Origins of the Specious: Why Do Conservatives Doubt Darwin?" *Reason*, July 1997.
- (55) Walter Lippmann, "Why Should the Majority Rule?" in Clinton Rossiter and James Larc, eds., *The Essential Lippmann: A Political Philosophy for Liberal Democracy* (NY: Random House, 1963), 6-14; Walter Lippmann, *The Phantom Public* (NY: Macmillan, 1927); Walter Lippmann, *Public Opinion* (NY: Free Press, 1965).
- (56) Ian Kershaw, *The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich* (NY: Oxford University Press, 1989), 3.
- (57) القوى الكبرى التي تتصرف كموازنات من الخارج (Offshore) هي دول جزرية (معزولة) (Insular) وليست دولا قارية (Continental)، انظر:
- John J. Mearsheimer, *The Tragedy of Great Power Politics* (NY: Norton, 2001), 126-28. On the "stopping power of water," see *ibid.*, 114-28.
- (58) Michael Walzer, *Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations*, 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 74-85.
- كما يلاحظ جون شوسلر، فإن دوافع القادة لخداع شعوبهم ستكون أكبر إذا كانوا يتوقعون استمرار ودموية الحرب الوقائية.
- ("The Deception Dividend," 135-142).

وبالطبع، فإن حكومة بوش قد توقعت انتصارا سهلا وسريعا في العراق. (59) يقدم مبدأ بوش، والذي وضعت أسسه في العام 2002، تبريرا لغزو العراق، حيث عرض الحجج لخوض الحروب الاستباقية ضد التهديدات المتوقعة، بيد أنه في واقع الحال، كانت حكومة بوش تخطط لحروب استباقية ضد العراق ودول أخرى في الشرق الأوسط قبل ذلك، انظر:

**The National Security Strategy of the United States of America** (Washington, DC: White House, September 2002); Remarks by the President to the Graduating Class, West Point (White House, Office of the Press Secretary, June, 2002).

### الفصل الخامس

- (1) Ian Ousby, **The Road to Verdun: World War I's Most Momentous Battle and the Folly of Nationalism** (NY: Anchor Books, 2003), 299. See also, **New York Times**, "French Army Chief May Go," December 7, 1916; Robert A. Doughty, **Pyrrhic Victory: French Strategy and Operations in the Great War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), chaps. 5-6; Walter Duranty, "Joffre-Gallièni Dispute Bared," **New York Times**, August 21, 1919; Walter Duranty, "Joffre Ousted by Intrigues," **New York Times**, August 23, 1919; David Dutton, "The Fall of General Joffre: An Episode in the Politico-Military Struggle in Wartime France," **Journal of Strategic Studies** 19, no.3 (December 1978): 338-51; Jere Clemens King, **Generals and Politicians: Conflict Between France's High Command, Parliament, and Government, 1914-1918** (Berkeley: University of California Press, 1951), chaps. 5-6; Harold D. Lasswell, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927), 39-40; Walter Lippmann, **Public Opinion** (NY: Free Press, 1965), chaps. 1-2; David Mason, **verdun** (Moreton-in-Marsh, UK: Windrush, 2000), 9-12, 23-27, 133-37, 182, 190-91; Gordon Wright, **Raymond Poincare and the French Presidency** (Stanford, CA: Stanford University Press, 1942), 193-98.
- (2) Michael Bar-Zohar, **Ben-Gurion: A Biography**, trans. Peretz Kidron (NY: Delacorte, 1978), 203-6; Benny Morris, **Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War**, rev.ed. (Oxford: Clarendon Press, 1997), chap. 8; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 278-79; Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton, 2000), 90-93.
- (3) Quoted in Morris, **Israel's Border Wars**, 259.
- (4) Shlaim, **Iron Wall**, 91.

- (5) Bar-Zohar, Ben-Gurion, 205.
- (6) Morris, *Righteous Victims*, 278-79.
- (7) Graham Allison and Philipn Zelikow, *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis*, 2nd ed. (NY: Longman 1999), 356-66; McGeorge Bundy, *Danger and Survival* (New York: Random House, 1988), 427-39, 445; Michael Dobbs, *One Minute to Midnight: Kennedy, Khrushchev, and Castro on the Brink of Nuclear War* (NY: Knopf, 2008), 199-201, 231-36, 257, 270-71, 288-93, 305-38 Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, *On Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964* (NY: Norton, 1997), 249-50, 266-67, 275-89, 293-94, 300,321-24, 352.
- (8) E.H. Carr, *German-Soviet Relations between the Two World Wars, 1919-1939* (Baltimore: Johns Hopkins Press, 1951), chaps. 3-4; Hans W. Gatzke, *Stresemann and Rearmament of Germany* (NY: Norton, 1969), chaps. 4-5; George W. F. Hallgarten, "General Hans von Seeckt and Russia, 1920-1922" *Journal of Modern History* 21, no.1 (March 1949): 28-34; Gustav Hilger and Alfred G. Meyer, *The Incompatible Allies: A Memoir-History of German-Soviet Relations, 1918-1941* (NY: Macmillan, 1953); Vasilis Vourkoutiotis, *Making Common Cause: German-Soviet Relations, 1919-22* (NY: Palgrave Macmillan, 2007).
- (9) Caroline Elkins, *Imperial Reckoning: The Untold Story of Britain's Gulag in Kenya* (NY: Holt, 2005), chaps. 9-10.
- (10) Martin Fackler, "Japanese Split on Exposing Secret Pacts with US," *New York Times*, February 9, 2010; John M. Glionna. Japan's Secret Pact with US Spurs Debate," *Los Angeles Times*, January 17, 2010; Robert A. Wampler, ed., "Nuclear Noh Drama: Tokyo, Washington and the Case of the Missing Nuclear Agreements," *The National Security Archive*, October 13, 2009, <http://www.gwu.edu/~nsarchiv/nukevault/ebb291/index.htm>
- (11) من الممكن القول إن إخفاء العجز هو أكثر احتمالا في البلد الديمقراطي، لأن القادة محاسبون من قبل شعوبهم، وقد يعاقبون إن اكتشف عجزهم وفشلهم. وفي حين أنني أقر بصحة هذه المقولة، بيد أن كذبا من هذا النوع يحدث عادة لدوافع أنانية وشخصية، وليس للمصلحة العامة للبلد. وبعبارة أخرى، فإن ذلك يعتبر من التستر أو التغطية الشنيعة كما أشرت سابقا، وهي أنواع من الكذب التي تقع خارج إطار هذا الكتاب. وكذلك من الممكن القول أيضا بعكس ذلك: حيث إنه قد تكون هناك حاجة أقل للتستر على الأخطاء في الديمقراطيات، لأن الديمقراطيات يكون أداؤها أفضل في الاختيارات الإستراتيجية من الدول غير الديمقراطية، انظر:

David A. Lake, "Powerful Pacifists: Democratic States and War," *American Political Science Review* 86, no.1 (March 1992): 24-37; Dan Reiter and Allan C. Stam, *Democracies at War* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002).

يبد أن المراجعة الدقيقة للمنطق والأدلة وراء هذا الادعاء لا تدل على وجود فروقات ذات قيمة تذكر بين قدرة الديمقراطيات أو غير الديمقراطيات على اتخاذ قرارات حكيمة في مضمار السياسة الخارجية، انظر:

Michael C. Desch, *Power and Military Effectiveness: The Fallacy of Democratic Triumphalism* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008); Alexander B. Downes, "How Smart and Tough Are Democracies? Reassessing Theories of Democratic Victory in War," *International Security* 33, no.4 (Spring 2009): 9-51; Sebastian Rosato, "The Flawed Logic of democratic Peace Theory," *American Political Science Review* 97, no.4 (November 2003): 585-602.

### الفصل السادس

(1) ولكن هذا لا يعني أن المقولات الأساسية عن ماضي دولة ما هي ليست إلا مجموعة من الأساطير، حيث من الممكن أن تتضمن روايات حقيقية.

(2) Stephen van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," *International Security* 18, no.4 (Spring 1994):27.

(3) Ernest Renan, "What is a Nation?" in Geoff Eley and Ronald Grigor Suny, eds., *Becoming National: A Reader* (NY: Oxford University Press, 1996), 45.

(4) Dominique Moisi, "France Is Haunted by an Inability to Confront its Past," *Financial Times*, December 12, 2005.

(5) يرى فان إيفيرا أن «الأساطير القومية قد تساعد النخب الضعيفة في فرض سيطرتها».

(Hypotheses on Nationalism and War," 30).

ومع صحة ذلك، فإن الأكاذيب الأثانية من هذا النوع هي خارج نطاق هذا الكتاب.

(6) أفضل ما كتب حول هذا الموضوع:

Ronald Smelser and Edward J Davies II, *The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture* (NY: Cambridge University Press, 2008). See also Omer Bartov, *Germany's War and the Holocaust: Disputed Histories* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2003); Paula Bradish, *Crimes of the German Wehrmacht: Dimensions of a War of Annihilation, 1941-1944*. exhibition brochure (Hamburg, Germany: Hamburg Institute for Social Research, 2004); Norbert Frei, *Adenauer's Germany and the Nazi Past: The Politics of Amnesty and Intergration*, trans. Joel Golb (NY: Columbia University Press,

- 2002); Hannes Heer and Klaus Naumann, eds., **War of Extermination: The German Military in World War II, 1941-1944** (NY: Berghahn Books, 2000); John J. Mearsheimer, **Liddell Hart and the Weight of History** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988), 178-201; Alaric Searle, **Wehrmacht Generals, West German Society, and the Debate on Rearmament, 1949-1959** (Westport, CT: Praeger, 2003); Wolfram Wette, **The Wehrmacht: History, Myth, Reality**, trans. Deborah Lucas Schneider (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2006), chap. 5.
- (7) Christopher Simpson, **Blowback: America's Recruitment of Nazis and Its Effects on the Cold War** (NY: Collier Books, 1989), 158.
- (8) حول أسطورة لماذا ترك الفلسطينيون ديارهم، انظر: Erskine Childers, "The Other Exodus," **Spectator**, May 12, 1961; Simha Flapan, **The Birth of Israel: Myths and Reality** (NY: Pantheon Books, 1987), 81-118; Walid Khalidi, "Why Did the Palestinians Leave, Revisited," **Journal of Palestine Studies** 34, no.2 (Winter 2005): 42-54; Walid Khalidi, "The Fall of Haifa," **Middle East Forum** 35, no.10 (December 1959): 22-32; Benny Morris, **The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited**, 2nd ed. (NY: Cambridge University Press, 2004); Ilan Pappé, **The Ethnic Cleansing of Palestine** (Oxford: Oneworld, 2006), 131.
- ولتحليل أساطير أخرى، انظر: Flapan, **Birth of Israel**; Norman G. Finkelstein, **Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict** (London: Verso, 1995); John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and US Foreign Policy** (NY: Ferrar, Straus, and Giroux, 2007), chap. 3; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999); Tom Segev, **One Palestine, Complete: Jews and Arabs under the British Mandate**, trans. Him Watzman (NY: Holt, 2001); Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton, 2000); Zeev Sternhell, **The Founding Myths of Israel: Nationalism, Socialism, and the Making of the Jewish State**, trans. David Maisel (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998).
- (9) Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," ٢٩.

### الفصل السابع

- (1) Alexander B. Downes, **Targeting Civilians in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), 3.
- (2) Robert A. Pape, **Bombing to Win: Air Power and Coercion in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1966), chap. 4.
- (3) Quoted in Tim Weiner, "Robert S. McNamara, Architect of Futile War, Dies at 93," **New York Times**, July 6, 2009.

- (4) UNICEF, "Iraq Surveys Show Humanitarian Emergency" **Information Newline**, August 12, 1999. <http://www.unicef.org/newline/99pr29.htm>; Biswajit Sen, **Iraq Watching Briefs: Overview Report**, UNICEF, July 2003, [http://www.unicef.org/evaldatabase/files/Iraq\\_2003\\_Watching\\_Briefs.pdf](http://www.unicef.org/evaldatabase/files/Iraq_2003_Watching_Briefs.pdf).  
 البعض يجادل بأن عدد الوفيات 500 ألف هو رقم عال جدا، انظر على سبيل المثال:  
 David Cortright, "A Hard Look at Iraq Sanctions," **Nation**, December 3, 2001;  
 Mat Welch, "The Politics of Dead Children," **Reason**, March 2002, [http://reason.com/archives/2002/03/01/the\\_politics\\_of\\_dead\\_children](http://reason.com/archives/2002/03/01/the_politics_of_dead_children).  
 أيا كان الرقم الصحيح، فإن ديفيد ريف في الأغلب على حق حين كتب أن «المسؤولين الأمريكيين قد يختلفون حول الأرقام، غير أن هناك قليلا من الشك حول أن مئات الآلاف من الأطفال، على الأقل، قد قُضوا قبل عيد ميلادهم الخامس».  
 ("Were Sanctions Right?" **New York Times Magazine**, July 27, 2003).
- (5) Benjamin A. Valentino, **Final Solutions: Mass Killings and Genocide in the Twentieth Century** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004), 73-75, 91-117.  
 في نقاشه للدور الإجرامي لهتلر في الهولوكوست، يلاحظ فالنتينو أنه «حتى لو جُمع جزء بسيط ممن ماتوا خلال المجاعة تحت حكم ستالين وماو، فإن كلا منهما سيكون مسؤولا عن عدد أكبر من ضحايا هتلر، وربما أكبر بكثير».
- (6) P.M.H. Bell, **John Bull and the Bear: British Public Opinion, Foreign Policy, and the Soviet Union, 1941-1945** (London:Arnold, 1990); Martin H. Folly, **Churchill, Whitehall, and the Soviet Union, 1940-1945** (NY: St.Martin;s,2000); John Lewis Gaddis, **The United States and the Origins of the Cold War, 1941-1947** (NY:Columbia University Press, 1972), chap.2; Ralph B. Levering, **American Opinion and the Russian Alliance, 1939-1945** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1976), chaps.3-5; Ido Oren, "The Subjectivity of the 'Democratic' Peace: Changing US Perceptions of Imperial Germany", **International Security** 20, no.2 (Fall 1995): 181-182; Ronald Smelser and Edward J. Davies II, **The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture** (NY: Cambridge University Press, 2008), chap.1.
- (7) قتل الاتحاد السوفيتي نحو 22 ألف بولندي بين أبريل ومايو 1940، وقد دفن 4400 منهم تقريبا في غابة كاتين، أما بقية الضحايا فقد قتلوا وُدُفِنوا في مواقع أخرى.  
 George Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre of 1940: Truth, Justice, and Memory** (NY: Rutledge, 2005), 1.  
 من بين أفضل المصادر حول كاتين وكيف كانت ردود فعل تشرشل وروزفلت، انظر:  
 Bell, **John Bull**, chap.4; Allen Paul, **Katyn: The Untold Story of Stalin's Polish Massacre** (NY: Scribner's, 1991), chap.22; Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre**, chaps. 6-7; Victor Zaslavsky, **Class Cleansing: The Katyn Massacre**, trans. Kisser Walker (NY: Telos, 2008), chap.5.
- (8) Quoted in Paul, **Katyn**, 303.



(9) Bell, **John Bull**, 119.

حول جهود حكومة روزفلت للتغطية على مسؤولية السوفييت عما حدث في غابة كاتين، انظر:

Paul, **Katyn**, 306-15, Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre**, 159-66.

(10) الاقتباسات في هذه الفقرة من:

Allan Bullock, **Hitler, a Study in Tyranny**, rev. ed. (NY: Harper&Row, 1964), 546-47.

See also Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovich, 1974), 598-600; Bradley Lightbody, **The Second World War: Ambitions and Nemesis** (NY: Rutledge, 2004), 39.

(11) Max Hastings, **Bomber Campaign: Churchill's Epic Campaign** (NY: Simon and Schuster, 1989), 171. See also Stephen A. Garrett, **Ethics and Airpower in World War II: The British Bombing of German Cities** (NY: St. Martin's, 1993), 20-37.

(12) David Bamber, "Ben Laden: Yes, I Did It," **Daily Telegraph**, November 11, 2001; Peter L. Bergen, **The Osama bin Laden I know: An Oral History of Al-Qaeda's Leader** (NY: Free Press, 2006), 321-22; Bruce Lawrence, ed., **Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden**, trans. James Howarth (London: Verso, 2005), 140-41.

(13) Michael Walzer, **Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations** 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 19.

## الفصل الثامن

(1) للنقاش حول تكاليف الكذب على المجتمع، انظر:

Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 55-147.

(2) Francis Fukuyama, **Trust: The Social Virtues and The Creation of Prosperity** (NY: Free Press, 1995); Luigi Guiso, Paola Sapiens, Luigi Zingales, "The Role of Social Capital in Financial Development" (working paper 7563, National Bureau of Economic Research, February 2000); Marc J. Hetherington, **Why Trust Matters: Declining Political Trust and the Demise of American Liberalism** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005); Stephen Knack and Philip Keefer, "Does Social Capital Have an Economic Payoff? A Cross-Country Investigation," **Quarterly Journal of Economics** 112, no.4 (November 1997): 1251-88; Rafael La Porta et al, "Trust in Large Organisations," **American Economic Review** 87, no.2 (May 1997): 333-38; Robert D. Putnam, **Making Democracy Work: Civic Traditions in Modern Italy** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993); Charles Tilly, **Trust and Rule** (NY: Cambridge University Press, 2005).

(3) "Transcript of Special Counsel Fitzgerald's Press Conference," **Washington Post**, October 28, 2005. The best book about the Libby case is Michael Isikoff and David Corn, **Hubris: The Inside Story of Spin, Scandal, and the Selling of the Iraq War** (NY: Crown, 2006)

(4) Ken Armstrong and Steve Mills, "Death Row Justice Derailed," **Chicago**

Tribune, November 14, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Inept Defenses Cloud Verdict," **Chicago Tribune**, November 15, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "The Jailhouse Informant", **Chicago Tribune**, November 16, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "A Tortured Path to Death Row", **Chicago Tribune**, November 17, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Convicted by a Hair," **Chicago Tribune**, November 18, 1999; Martha Irvine, Illinois Governor Orders Death Penalty Moratorium," **Associated Press**, January 31, 2000; Barry James, : **Cleaning of Illinois Death Row Is Greeted With Global Cheers**," **New York Times**, January 14, 2003; Paul M. Krawazak, "Ryan Explains Moratorium Call," **Copely News Service**, January 31, 2000; Robert E. Pierre and Kary Lydersen, "Illinois Death Row Emptied," **Washington Post**, January 12, 2003.

(5) Dwight D. Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965),chap.23; Peter Lyon, **Eisenhower: Portrait of the Hero** (Boston: Little Brown, 1974), 859-66.

(6) See Andrew T. Guzman, **How International Law Works: A Rational Choice Theory** (NY: Oxford University Press 2008), especially chap.3.

(7) ترى أن سارتوري أن «الدول تميل إلى المخادعة، أو التمويه، ولكن الدولة التي تضبط متلبسة بالكذب تكتسب سمعة بممارسة الكذب، وبالتالي فإن خصومها يصبحون أقل قابلية لتصديقها في المستقبل». وبالتالي فإن الدول لا تخدع ولا تكذب خشية التأثير السلبي في سمعتها، وأثر ذلك في إمكانات التعاون المستقبلي. «احتمال اكتساب سمعة الكذب - والتقليل من مصداقية الدولة الدبلوماسية - قد يؤدي إلى أن يتصرف السياسيون والدبلوماسيون بأمانة وصدق، باستثناء الحالات التي يكون فيها الكذب مغرباً جداً». انظر: **Deterrence by Diplomacy** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005),5.

اتفق أن لسمعة الدولة أهمية كبيرة في محيط السياسات الدنيا؛ مما يؤدي إلى التقليل من الكذب، ولكن خلافاً لما ذهبت إليه سارتوري، فإنني لا أظن وجود أهمية للسمعة حين يجري التعامل مع قضايا السياسات العليا، انظر:

Daryl G. Press, **Calculating Credibility: How Leaders Assess Military Threats** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2005).

(8) ولكن كما أوضح جون شوسلر، فقد أدى خداع روزفلت خلال التحضير للحرب ضد اليابان إلى إعاقته بطرق مختلفة.

"The Deception Dividend," **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 162-63. See also Thomas J. Christensen, **Useful Adversaries: Grand Strategy, Domestic Mobilisation, and Sino-American Conflict, 1947-1958** (Princeton, NJ: Princeton University Press 1995).

(9) George Orwell, **Orwell and Politics: Animal Farm in the Context of Essays, Reviews and Letters Selected from the Complete Works of George Orwell**, ed. Peter Davison (London: Penguin, 2001), 357.

كما كتب أورويل أن «الوطنيين لا يعترضون على انتهاكات تركبها جماعتهم، بل لديهم قدرات فائقة لتجاهل تلك الانتهاكات».

- (10) Richard E. Neustadt, **Presidential Power: The Politics of Leadership** (NY: New American Library, 1964), 134.
- (11) Kennedy P.M "The Decline of Nationalistic History in the West, 1900-1970," **Journal of Contemporary History** 8, no.1 (January 1973): 77-100; Stephen Van Evera, "Primed for Peace: Europe after the Cold War," **International Security** 15, no.3 (Winter 1990/1991): 23-35; Stephen Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," **International Security** 18, no.4 (Spring 1994). See also Holger H. Herwig, "Clio Deceived: Patriotic Self-Censorship in Germany after the Great War," **International Security** 12, no.2 (Fall 1987): 5-44.
- (12) Dale C. Copeland, **The Origins of major War** (Ithaca,NY: Cornell University Press, 2000), chaps. 3-4; John J. Mearsheimer, **The Tragedy of Great Power Politics** (NY: Norton 2001), 181-90.
- (13) John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and the US Foreign Policy** (NY: Farrar, Straus, and Giroux, 2007), 92097.
- (14) الأدبيات التي تؤكد على البعدين الوطني والواقعي لسياسة بسمارك الخارجية بين 1862 و1870 هي:
- Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J.A. Underwood (Boston: Allen&Unwin, 1986); Bruce Waller, **Bismarck**, 2nd ed. (Oxford: Blackwell, 1997), chaps.2-4; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973).

### الفصل التاسع

- (1) Minxin Pei, **China's Trapped Tradition: The Limits to Developmental Autocracy** (Cambridge University Press, 2006).



## جون جي. ميرشيمر

■ يُعد البروفيسور جون ميرشيمر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو الأمريكية، أحد أبرز الباحثين الأمريكيين في السياسة الخارجية، وله عدة كتب منها: «مأساة السياسة في الدولة العظمى»، و«اللوبي الإسرائيلي وسياسة أمريكا الخارجية»، والذي ترجم إلى أكثر من 19 لغة، وأثار جدلا واسعا لموضوعيته في بحث مسألة حساسة مثل العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية، وربما كان هو الذي دفع اللوبي الإسرائيلي إلى إصدار كتاب مضاد بعنوان «اللوبي العربي».

## المترجم في سطور

## د. غانم حمد النجار

■ بروفيسور العلوم السياسية في جامعة الكويت.  
■ رئيس الصندوق العربي لحقوق الإنسان، ومقره بيروت.  
■ مؤسس ورئيس مركز السلام للدراسات التنموية والإستراتيجية ومقره الكويت، كما أسس مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في جامعة الكويت.  
■ شغل منصب الخبير المستقل لحقوق الإنسان في الصومال لمدة 8 سنوات ممثلا للأمم العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان، كما انتُخب في هيئة الخبراء الدولية للأمم المتحدة في العام 2005، وهو مستشار للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو)، ورئيس اللجنة التنظيمية لعقد مؤتمر المانحين لدعم التعليم في الصومال، وهو مفوض دولي سابق في اللجنة الدولية لحقوقوقيين ومقرها جنيف، ورئيس مؤسسة الخليج للتنمية ومقرها لاهاي - هولندا.  
■ شارك وترأس العديد من لجان التحقيق وتقصي الحقائق الدولية في العديد من الدول كباكستان والعراق والصومال ومصر والبحرين وأفغانستان وغيرها، وحصل على الجائزة الدولية في حقوق الإنسان في نيويورك في ديسمبر

1991، كما حاضر في العديد من الجامعات، وكان أستاذا زائرا في العديد من الجامعات كجامعة هارفارد في كلية القانون - برنامج حقوق الإنسان، كذلك هو عضو هيئة تحرير لعدة مجلات علمية عالمية، وله العديد من المؤلفات المنشورة، كما أن لديه مساهمات إعلامية في أجهزة الإعلام، وهو حاليا كاتب صحافي في جريدة «الجريدة» اليومية في الكويت.

## سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفاً وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ - فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبلات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) - الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية - المترجمة أو المؤلفة - من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر. وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته. وفي حالة الترجمة ترسل نسخة

مصورة من الكتاب بلغته الأصلية، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، وكذلك يجب أن تدون أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة، والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط. والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع - المؤلف أو المترجم - تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلساً عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي، (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).



## صدر عن هذه السلسلة

- ١- الحضارة  
تأليف: د / حسين مؤنس  
يناير ١٩٧٨
- ٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر  
تأليف: د/ إحسان عباس  
فبراير ١٩٧٨
- ٣- التفكير العلمي  
تأليف: د/ فؤاد زكريا  
مارس ١٩٧٨
- ٤- الولايات المتحدة والمشرق العربي  
تأليف: / أحمد عبدالرحيم مصطفى  
أبريل ١٩٧٨
- ٥- العلم ومشكلات الإنسان المعاصر  
تأليف: د/ زهير الكرمي  
مايو ١٩٧٨
- ٦- الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها  
تأليف: د / عزت حجازي  
يونيو ١٩٧٨
- ٧- الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية  
تأليف: / محمد عزيز شكري  
يوليو ١٩٧٨
- ٨- تراث الإسلام (الجزء الأول)  
ترجمة: د/ زهير السهوي  
أغسطس ١٩٧٨  
تحقيق وتعليق: د / شاكر مصطفى  
مراجعة: د/ فؤاد زكريا
- ٩- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة  
تأليف: د / نايف خرما  
سبتمبر ١٩٧٨
- ١٠- جمعا العربي  
تأليف: د / محمد رجب النجار  
أكتوبر ١٩٧٨
- ١١- تراث الإسلام (الجزء الثاني)  
د/ حسين مؤنس }  
د / إحسان العمدة }  
مراجعة: د/ فؤاد زكريا  
نوفمبر ١٩٧٨
- ١٢- تراث الإسلام (الجزء الثالث)  
د. حسين مؤنس }  
د / إحسان العمدة }  
مراجعة: د/ فؤاد زكريا  
ديسمبر ١٩٧٨
- ١٣- الملاحة وعلوم البحار عند العرب  
تأليف: د / أنور عبدالعليم  
يناير ١٩٧٩
- ١٤- جمالية الفن العربي  
تأليف: د/ عفيف بهنسي  
فبراير ١٩٧٩
- ١٥- الإنسان الحائر بين العلم والخرافة  
تأليف: د/ عبدالمحسن صالح  
مارس ١٩٧٩
- ١٦- النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية  
تأليف: د / محمود عبدالفضيل  
أبريل ١٩٧٩
- ١٧- الكون والثقوب السوداء  
إعداد: رؤوف وصفي  
مراجعة: د/ زهير الكرمي  
مايو ١٩٧٩
- ١٨- الكوميديا والتراجيديا  
ترجمة: د/ علي أحمد محمود  
يونيو ١٩٧٩  
د/ شوقي السكري }  
مراجعة: }  
د/ علي الراهي }
- ١٩- المخرج في المسرح المعاصر  
تأليف: سعد أردش  
يوليو ١٩٧٩

- ٢٠- التفكير المستقيم والتفكير الأوجع  
ترجمة: حسن سعيد الكرعي  
مراجعة: صدقي حطاب  
أغسطس ١٩٧٩
- ٢١- مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي  
تأليف: د/ محمد علي الفراء  
سبتمبر ١٩٧٩
- ٢٢- البيئة ومشكلاتها  
تأليف: د/ محمد سعيد صباريني  
أكتوبر ١٩٧٩
- ٢٣- الرق  
تأليف: د/ عبدالسلام الترماني  
نوفمبر ١٩٧٩
- ٢٤- الإبداع في الفن والعلم  
تأليف: د/ حسن أحمد عيسى  
ديسمبر ١٩٧٩
- ٢٥- المسرح في الوطن العربي  
تأليف: د/ علي الراعي  
يناير ١٩٨٠
- ٢٦- مصر وفلسطين  
تأليف: د/ عواطف عبدالرحمن  
فبراير ١٩٨٠
- ٢٧- العلاج النفسي الحديث  
تأليف: د/ عبدالستار ابراهيم  
مارس ١٩٨٠
- ٢٨- أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي  
ترجمة: شوقي جلال  
أبريل ١٩٨٠
- ٢٩- العرب والتحدّي  
تأليف: د/ محمد عماره  
مايو ١٩٨٠
- ٣٠- العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة  
تأليف: د/ عزت قرني  
يونيو ١٩٨٠
- ٣١- الموشحات الأندلسية  
تأليف: د/ محمد زكريا عناني  
يوليو ١٩٨٠
- ٣٢- تكنولوجيا السلوك الإنساني  
ترجمة: د/ عبدالقادر يوسف  
أغسطس ١٩٨٠
- مراجعة: د/ رجا الدريني
- ٣٣- الإنسان والثروات المعدنية  
تأليف: د/ محمد فتحي عوض الله  
سبتمبر ١٩٨٠
- ٣٤- قضايا أفريقية  
تأليف: د/ محمد عبدالغني سعودي  
أكتوبر ١٩٨٠
- ٣٥- تحولات الفكر والسياسة  
تأليف: د/ محمد جابر الأنصاري  
نوفمبر ١٩٨٠
- في الشرق العربي (١٩٣٠-١٩٧٠)
- ٣٦- الحب في التراث العربي  
تأليف: د/ محمد حسن عبد الله  
ديسمبر ١٩٨٠
- ٣٧- المساجد  
تأليف: د/ حسين مؤنس  
يناير ١٩٨١
- ٣٨- تكنولوجيا الطاقة البديلة  
تأليف: د/ سمود يوسف عياش  
فبراير ١٩٨١
- ٣٩- ارتفاع الإنسان  
ترجمة: د/ موفق شخاشيرو  
مارس ١٩٨١
- مراجعة: د/ زهير الكرعي
- ٤٠- الرواية الروسية في القرن التاسع عشر  
تأليف: د/ مكارم القمر  
أبريل ١٩٨١
- ٤١- الشعر في السودان  
تأليف: د/ عبده بدوي  
مايو ١٩٨١
- ٤٢- دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية  
تأليف: د/ علي خليفة الكواري  
يونيو ١٩٨١
- ٤٣- الإسلام في الصين  
تأليف: فهمي هويدي  
يوليو ١٩٨١
- ٤٤- اتجاهات نظرية في علم الاجتماع  
تأليف: د. عبد الباسط عبد المعطي  
أغسطس ١٩٨١

- ٤٥- حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي  
 ٤٦- دعوة إلى الموسيقى  
 ٤٧- فكرة القانون  
 ٤٨- التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان  
 ٤٩- صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي  
 ٥٠- التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية  
 ٥١- السينما في الوطن العربي  
 ٥٢- النفط والعلاقات الدولية  
 ٥٣- البدائية  
 ٥٤- الحشرات الناقلة للأمراض  
 ٥٥- العالم بعد ماتي عام  
 ٥٦- الإدمان  
 ٥٧- البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية  
 ٥٨- الوجودية  
 ٥٩- العرب أمام تحديات التكنولوجيا  
 ٦٠- الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)  
 ٦١- الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)  
 ٦٢- حكمة الغرب (الجزء الأول)  
 ٦٣- الإسلام والاقتصاد  
 ٦٤- صناعة الجوع (خرافة الندرة)  
 ٦٥- مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية  
 ٦٦- الإسلام والشعر  
 ٦٧- بنو الإنسان  
 ٦٨- الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية  
 ٦٩- ظاهرة العلم الحديث  
 ٧٠- نظريات التعلم (دراسة مقارنة)  
 (القسم الأول)  
 ٧١- الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي  
 ٧٢- حكمة الغرب (الجزء الثاني)
- تأليف: د / محمد رجب النجار  
 أكتوبر ١٩٨١  
 ترجمة: سليم الصويص  
 نوفمبر ١٩٨١  
 مراجعة: سليم بيسو  
 ديسمبر ١٩٨١  
 تأليف: صلاح الدين حافظ  
 يناير ١٩٨٢  
 تأليف: د / محمد عبدالسلام  
 فبراير ١٩٨٢  
 تأليف: جان ألكسان  
 مارس ١٩٨٢  
 تأليف: د / محمد الرميحي  
 أبريل ١٩٨٢  
 ترجمة: د / محمد عصفور  
 مايو ١٩٨٢  
 تأليف: د / جليل أبو الحب  
 يونيو ١٩٨٢  
 ترجمة: شوقي جلال  
 يوليو ١٩٨٢  
 تأليف: د / عادل الدمرداش  
 أغسطس ١٩٨٢  
 تأليف: د / أسامة عبدالرحمن  
 سبتمبر ١٩٨٢  
 ترجمة: د / إمام عبدالفتاح  
 أكتوبر ١٩٨٢  
 تأليف: د / انطونيوس كرم  
 نوفمبر ١٩٨٢  
 ديسمبر ١٩٨٢  
 تأليف: د / عبدالوهاب المسيري  
 يناير ١٩٨٣  
 تأليف: د / عبدالوهاب المسيري  
 فبراير ١٩٨٣  
 ترجمة: د / فؤاد زكريا  
 مارس ١٩٨٣  
 تأليف: د / عبدالهادي علي النجار  
 إبريل ١٩٨٣  
 ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد  
 مايو ١٩٨٣  
 تأليف: عبدالعزيز بن عبد الجليل  
 يونيو ١٩٨٣  
 تأليف: د / سامي مكّي العاني  
 يوليو ١٩٨٣  
 ترجمة: زهير الكرمي  
 أغسطس ١٩٨٣  
 تأليف: د / محمد موقاكو  
 سبتمبر ١٩٨٣  
 تأليف: د / عبدالله العمر  
 أكتوبر ١٩٨٣  
 ترجمة: د / علي حسين حججاج  
 مراجعة: د / عطيه محمود هنا  
 نوفمبر ١٩٨٣  
 تأليف: د / عبدالملك خلف النجمي  
 ديسمبر ١٩٨٣  
 ترجمة: د / فؤاد زكريا

- ٧٣- التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي تأليف: د / مجيد مسمود يناير ١٩٨٤
- ٧٤- مشاريع الاستيطان اليهودي تأليف: أمين عبدالله محمود فبراير ١٩٨٤
- ٧٥- التصوير والحياة تأليف: د / محمد نيهان سويلم مارس ١٩٨٤
- ٧٦- الموت في الفكر الغربي ترجمة: كامل يوسف حسين أبريل ١٩٨٤
- مراجعة: د / إمام عبدالفتاح
- ٧٧- الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا تأليف: د / أحمد عثمان مايو ١٩٨٤
- ٧٨- قضايا التبعية الإعلامية والثقافية تأليف: د / عواطف عبدالرحمن يونيو ١٩٨٤
- ٧٩- مفاهيم قرآنية تأليف: د / محمد أحمد خلف الله يوليو ١٩٨٤
- ٨٠- الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام) تأليف: د / عبدالسلام الترماني أغسطس ١٩٨٤
- ٨١- الأدب اليوغسلافي المعاصر تأليف: د / جمال الدين سيد محمد سبتمبر ١٩٨٤
- ٨٢- تشكيل العقل الحديث ترجمة: شوقي جلال أكتوبر ١٩٨٤
- مراجعة: صدقي حطاب
- ٨٣- البيولوجيا ومصير الإنسان تأليف: د / سعيد الحفار نوفمبر ١٩٨٤
- ٨٤- المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية تأليف: د / رمزي زكي ديسمبر ١٩٨٤
- ٨٥- دول مجلس التعاون الخليجي تأليف: د / بدرية العوضي يناير ١٩٨٥
- مراجعة: د / عبدالرزاق العدواني
- ٨٦- الإنسان وعلم النفس تأليف: د / عبدالستار إبراهيم فبراير ١٩٨٥
- ٨٧- في تراثنا العربي الإسلامي تأليف: د / توفيق الطويل مارس ١٩٨٥
- ٨٨- الميكروبات والإنسان ترجمة: د / عزت شعلان أبريل ١٩٨٥
- مراجعة: د / سمير رضوان
- ٨٩- الإسلام وحقوق الإنسان تأليف: د / محمد عماره مايو ١٩٨٥
- ٩٠- الغرب والعالم (القسم الأول) تأليف: كافين رايلي يونيو ١٩٨٥
- مراجعة: د / عبدالوهاب الميري
- ٩١- تربية اليسر وتخلف التنمية د / عبدالعزیز الجلال يوليو ١٩٨٥
- ٩٢- عقول المستقبل د / لطفی فطيم أغسطس ١٩٨٥
- ٩٣- لغة الكيمياء عند الكائنات الحية تأليف: د / أحمد مدحت إسلام سبتمبر ١٩٨٥
- ٩٤- النظام الإعلامي الجديد تأليف: د / مصطفى المصمودي أكتوبر ١٩٨٥

- ٩٥ - تغيير العالم تأليف: د/ أنور عبدالملك نوفمبر ١٩٨٥
- ٩٦ - الصهيونية غير اليهودية تأليف: ريجينا الشريف ديسمبر ١٩٨٥
- ٩٧ - الغرب والعالم (القسم الثاني) تأليف: كافين رايلي يناير ١٩٨٦
- ترجمة: أحمد عبدالله العزيز  
د/ عبدالوهاب المسيري  
د/ هدى حجازي
- مراجعة: د/ فؤاد زكريا
- ٩٨ - قصة الأنثروبولوجيا تأليف: د/ حسين فهم فبراير ١٩٨٦
- ٩٩ - الأطفال مرآة المجتمع تأليف: د/ محمد عماد الدين إسماعيل مارس ١٩٨٦
- ١٠٠ - الوراثة والإنسان تأليف: د/ محمد علي الربيعي أبريل ١٩٨٦
- ١٠١ - الأدب في البرازيل تأليف: د/ شاكر مصطفى مايو ١٩٨٦
- ١٠٢ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية تأليف: د/ رشاد الشامي يونيو ١٩٨٦
- والروح العدوانية
- ١٠٣ - التنمية في دول مجلس التعاون تأليف: د/ محمد توفيق صادق يوليو ١٩٨٦
- ١٠٤ - العالم الثالث وتحديات البقاء تأليف: جاك لوب أغسطس ١٩٨٦
- ترجمة: أحمد فؤاد بليغ
- ١٠٥ - المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي تأليف: د/ إبراهيم عبدالله غلوم سبتمبر ١٩٨٦
- ١٠٦ - «التلاهون بالمقول» تأليف: هربرت . أ . شيلر أكتوبر ١٩٨٦
- ترجمة: عبدالسلام رضوان
- ١٠٧ - الشركات عابرة القومية تأليف: د/ محمد السيد سعيد نوفمبر ١٩٨٦
- ١٠٨ - نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (الجزء الثاني) ترجمة: د/ علي حسين حججاج ديسمبر ١٩٨٦
- مراجعة: د/ عطية محمود هنا
- ١٠٩ - العملية الإبداعية في فن التصوير تأليف: د/ شاكر عبدالحميد يناير ١٩٨٧
- ١١٠ - مفاهيم نقدية ترجمة: د/ محمد صفور فبراير ١٩٨٧
- ١١١ - قلق الموت تأليف: د/ أحمد محمد عبدالحائق مارس ١٩٨٧
- ١١٢ - العلم والمشتغلون بالبحث العلمي تأليف: د/ جون . ب . ديكنسون أبريل ١٩٨٧
- ترجمة: شعبة الترجمة باليونيسكو
- ١١٣ - الفكر التربوي العربي الحديث تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي مايو ١٩٨٧
- ١١٤ - الرياضيات في حياتنا ترجمة: د/ فاطمة عبدالقادر الما يونيو ١٩٨٧

- ١١٥ - معالم على طريق تحديث الفكر العربي  
١١٦ - أدب أميركا اللاتينية  
قضايا ومشكلات ( القسم الأول)
- ١١٧ - الأحزاب السياسية في العالم الثالث  
١١٨ - التاريخ النقدي للتخلف  
١١٩ - قصيدة وصورة  
١٢٠ - سيكولوجية اللعب
- تأليف: د / معن زيادة يوليو ١٩٨٧  
تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو أغسطس ١٩٨٧  
ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد  
مراجعة: د / شاکر مصطفى
- تأليف: د / أسامة الغزالي حرب سبتمبر ١٩٨٧  
تأليف: د / رمزي زكي أكتوبر ١٩٨٧  
تأليف: د / عبدالغفار مكاوي نوفمبر ١٩٨٧  
تأليف: د / سوزانا ميلر ديسمبر ١٩٨٧  
ترجمة: د / حسن عيسى  
مراجعة: د / محمد عماد الدين إسماعيل
- تأليف: د / رياض رمضان العلمي يناير ١٩٨٨  
تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو فبراير ١٩٨٨  
ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد  
مراجعة: د / شاکر مصطفى
- تأليف: د / هادي نعمان الهيتي مارس ١٩٨٨  
تأليف: د / دافيد . ف . شيهان أبريل ١٩٨٨  
ترجمة: د / عزت شعلان  
مراجعة: د / أحمد عبدالعزيز سلامة
- تأليف: فرانسيس كريك مايو ١٩٨٨  
ترجمة: د / أحمد مستجير  
مراجعة: د / عبد الحافظ حلمي
- د / نايف خرما }  
د / علي حججاج }  
تأليف: د / إسماعيل إبراهيم درة يوليو ١٩٨٨  
تأليف: د / محمد عبدالستار عثمان أغسطس ١٩٨٨  
تأليف: عبدالعزيز بن عبدالجليل سبتمبر ١٩٨٨  
د / زولت هارسياني }  
ريتشارد هتون }  
تأليف: د / مصطفى إبراهيم فهمي أكتوبر ١٩٨٨  
ترجمة: د / مختار الظواهري  
مراجعة: د / مختار الظواهري
- ١٢١ - الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم  
١٢٢ - أدب أميركا اللاتينية (القسم الثاني)  
١٢٣ - ثقافة الأطفال  
١٢٤ - مرض القلق  
١٢٥ - طبيعة الحياة  
١٢٦ - اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)  
١٢٧ - اقتصاديات الإسكان  
١٢٨ - المدينة الإسلامية  
١٢٩ - الموسيقى الأندلسية المغربية  
١٣٠ - التنبؤ الوراثي

- ١٣١ - مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام  
 ١٣٢ - أوروبا والتخلف في أفريقيا  
 ١٣٣ - العالم المعاصر والصراعات الدولية  
 ١٣٤ - العلم في منظوره الجديد  
 ١٣٥ - العرب واليونسكو  
 ١٣٦ - اليابانيون  
 ١٣٧ - الاتجاهات التمهيدية  
 ١٣٨ - أدب الرحلات  
 ١٣٩ - المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا  
 ١٤٠ - الإنسان بين الجوهر والمظهر  
 (نتملك أو نكون)  
 ١٤١ - الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)  
 ١٤٢ - مستقبلنا المشترك  
 ١٤٣ - الريف في الرواية العربية  
 ١٤٤ - الإبداع العام والخاص  
 ١٤٥ - سيكولوجية اللغة والمرض العقلي  
 ١٤٦ - حياة الوعي الفني  
 (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)  
 ١٤٧ - الرأسمالية تجدد نفسها
- تأليف: د / أحمد سليم سعيديان / نوفمبر ١٩٨٨  
 تأليف: د / والتر رودني / ديسمبر ١٩٨٨  
 ترجمة: د / أحمد القصير  
 مراجعة: د / إبراهيم عثمان  
 تأليف: د / عبدالحق عبد الله / يناير ١٩٨٩  
 تأليف: روبرت م . اغروس / فبراير ١٩٨٩  
 جورج ن . ستانسيو }  
 ترجمة: د / كمال خلايلي  
 تأليف: د / حسن ناعمة / مارس ١٩٨٩  
 تأليف: إدوين رايشاور / أبريل ١٩٨٩  
 ترجمة: ليلي الجبالي  
 مراجعة: شوقي جلال  
 تأليف: د / معتز سيد عبد الله / مايو ١٩٨٩  
 تأليف: د / حسين فهمي / يونيو ١٩٨٩  
 تأليف: عبدالله عبدالرزاق ابراهيم / يوليو ١٩٨٩  
 تأليف: إريك فروم / أغسطس ١٩٨٩  
 ترجمة: سعد زهران  
 مراجعة: د / لظفي فطيم  
 تأليف: د / أحمد عثمان / سبتمبر ١٩٨٩  
 إعداد: اللجنة العالية للبيئة والتنمية / أكتوبر ١٩٨٩  
 ترجمة: محمد كامل عارف  
 مراجعة: علي حسين حججاج  
 تأليف: د / محمد حسن عبدالله / نوفمبر ١٩٨٩  
 تأليف: الكسترو روشكا / ديسمبر ١٩٨٩  
 ترجمة: د / غسان عبدالحفي أبو فخر  
 تأليف: د / جمعة سيد يوسف / يناير ١٩٩٠  
 تأليف: غيورغي غانشف / فبراير ١٩٩٠  
 ترجمة: د / نوفل نيوف  
 مراجعة: د / سعد مصلوح  
 تأليف: د / فؤاد مُرسي / مارس ١٩٩٠

- ١٤٨ - علم الأحياء والأيدولوجيا والطبيعة البشرية  
تأليف: ستيفن روز وآخرين  
ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي  
مراجعة: د/ محمد عصفور  
أبريل ١٩٩٠
- ١٤٩ - ماهية الحروب الصليبية  
تأليف: د/ قاسم عبده قاسم  
مايو ١٩٩٠
- ١٥٠ - حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي  
«الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»  
ترجمة: عبد السلام رضوان  
يونيو ١٩٩٠
- ١٥١ - تجارة المحيط الهندي  
في عصر السيادة الإسلامية  
تأليف: د/ شوقي عبد القوي عثمان  
يوليو ١٩٨٩
- ١٥٢ - التلوث مشكلة العصر  
(ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠، وانقطعت السلسلة بسبب العدوان العراقي  
الغاشم على دولة الكويت، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)
- ١٥٣ - الكويت والتنمية الثقافية العربية  
تأليف: د/ محمد حسن عبد الله  
سبتمبر ١٩٩١
- ١٥٤ - النقطة المتحولة: أريعون عاما في  
استكشاف المسرح  
تأليف: بيتر بروك  
أكتوبر ١٩٩١
- ١٥٥ - مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي  
ترجمة: فاروق عبدالقادر  
نوفمبر ١٩٩١
- ١٥٦ - الفصامي: كيف نفهمه ونساعده؟  
(دليل للأسرة والأصدقاء)  
تأليف: سيلفانو آرثي  
ديسمبر ١٩٩١
- ١٥٧ - الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي  
ترجمة: د/ عاطف أحمد  
يناير ١٩٩٢
- ١٥٨ - مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج  
تأليف: د/ محمد السيد سعيد  
فبراير ١٩٩٢
- ١٥٩ - فكرة الزمان عبر التاريخ  
ترجمة: فؤاد كامل عبدالعزيز  
مراجعة: شوقي جلال  
مارس ١٩٩٢
- ١٦٠ - ارتقاء القيم (دراسة نفسية)  
تأليف: د/ عبداللطيف محمد خليفة  
أبريل ١٩٩٢
- ١٦١ - أمراض الفقر  
تأليف: د/ فيليب عطية  
مايو ١٩٩٢
- (المشكلات الصحية في العالم الثالث)
- ١٦٢ - القومية في موسيقا القرن العشرين  
تأليف: د/ سمحة الخولي  
يونيو ١٩٩٢
- ١٦٣ - أسرار النوم  
تأليف: الكسندر يوربلي  
يوليو ١٩٩٢
- ترجمة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامة
- ١٦٤ - بلاغة الخطاب وعلم النص  
تأليف: د/ صلاح فضل  
أغسطس ١٩٩٢
- ١٦٥ - الفلسفة المعاصرة في أوروبا  
تأليف: م.م. بوشنكي  
سبتمبر ١٩٩٢
- ترجمة: د/ عزت قرني



- ١٦٦- الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم  
 ١٦٧- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا  
 ١٦٨- بنية الثورات العلمية
- ١٦٩- تاريخ الكتاب (القسم الاول)  
 ١٧٠- تاريخ الكتاب (القسم الثاني)
- ١٧١- الأدب الأفريقي  
 ١٧٢- الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله
- ١٧٣- المعتقدات الدينية لدى الشعوب
- ١٧٤- الهندسة الوراثية والأخلاق  
 ١٧٥- سيكولوجية السعادة
- ١٧٦- العبقرية والإبداع والقيادة
- ١٧٧- المذاهب الأدبية والنقدية  
 عند العرب والغربيين
- ١٧٨- الكون
- ١٧٩- الصداقة (من منظور علم النفس)  
 ١٨٠- العلاج السلوكي للطفل:  
 أساليبه ونماذج من حالاته
- تأليف: د/ فايز قطار  
 أكتوبر ١٩٩٢
- تأليف: د/ محمود المقداد  
 نوفمبر ١٩٩٢
- تأليف: توماس كون  
 ديسمبر ١٩٩٢
- ترجمة: شوقي جلال
- تأليف: د/ الكسندر ستيفنيتش  
 يناير ١٩٩٣
- ترجمة: د/ محمد م. الأرنؤوط
- تأليف: د/ الكسندر ستيفنيتش  
 فبراير ١٩٩٣
- ترجمة: د/ محمد م. الأرنؤوط
- تأليف: د/ علي شلش  
 مارس ١٩٩٣
- تأليف: آلان بونيه  
 أبريل ١٩٩٣
- ترجمة: د/ علي صبري فرغلي
- أشرف على التحرير جفري بارنر  
 مايو ١٩٩٣
- ترجمة: د/ إمام عبدالفتاح إمام  
 مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي
- تأليف: ناهدة البقصمي  
 يونيو ١٩٩٣
- تأليف: مايكل أرجايل  
 يوليو ١٩٩٣
- ترجمة: د/ فيصل عبدالقادر بونس  
 مراجعة: شوقي جلال
- تأليف: دين كيث ساينت  
 أغسطس ١٩٩٣
- ترجمة: د/ شاكرا عبدالحمد  
 مراجعة: د/ محمد مصفور
- تأليف: د/ شكري محمد عباد  
 سبتمبر ١٩٩٣
- تأليف: د/ كارل ساغان  
 أكتوبر ١٩٩٣
- ترجمة: نافع أيوب لبس  
 مراجعة: محمد كامل عارف
- تأليف: د/ أسامة سعد أبو سريع  
 نوفمبر ١٩٩٣
- تأليف: د/ عبد الستار إبراهيم  
 ديسمبر ١٩٩٣
- تأليف: د/ عبدالعزيز الدخيل  
 د/ رضوى إبراهيم

- ١٨١- الأدب الألماني في نصف قرن  
١٨٢- الشفاهية والكتابة
- ١٨٣- الطافية  
١٨٤- العرب وعصر المعلومات  
١٨٥- عندما تغير العالم
- ١٨٦- القوى الدينية في إسرائيل  
١٨٧- آلاف السنين من الطاقة
- ١٨٨- الاتجاه القومي في الرواية  
١٨٩- عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة
- ١٩٠- مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي  
١٩١- النهاية
- الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون
- ١٩٢- جذور الاستبداد (قراءة في أدب قديم)  
١٩٣- اللغة والتفسير والتواصل  
١٩٤- جوته والعالم العربي
- ١٩٥- الغزو العراقي للكويت  
١٩٦- المدينة في الشعر العربي المعاصر  
١٩٧- اليهود في البلدان الإسلامية
- تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي  
تأليف: والتر ج. أونج  
ترجمة: د/ حسن البنا عز الدين  
مراجعة: د/ محمد عصفور
- تأليف: د/ إمام عبدالفتاح إمام  
تأليف: د/ نبيل علي  
تأليف: جيمس بيوك  
ترجمة: ليلي الجبالي  
مراجعة: شوقي جلال
- تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي  
تأليف: فلاديمير كارتيف  
بيوتر كازانوفسكي  
ترجمة: محمد غياث الزيات
- تأليف: د/ مصطفى عبد الغني  
تأليف: جان- ماري بيلت  
ترجمة: السيد محمد عثمان
- تأليف: د. حسن محمد وجيه  
تأليف: فرانك كلوز  
ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي  
مراجعة: عبدالسلام رضوان
- تأليف: د/ عبدالغفار مكاوي  
تأليف: د/ مصطفى ناصف  
تأليف: كاتارينا مومزن  
ترجمة: د/ عدنان عباس علي  
مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي
- ندوة بحثية  
تأليف: د/ مختار أبوغالي  
تأليف: صموئيل أنتنجر  
ترجمة: د/ جمال الرفاهي  
مراجعة: د/ رشاد الشامي
- يناير ١٩٩٤  
فبراير ١٩٩٤  
مارس ١٩٩٤  
أبريل ١٩٩٤  
مايو ١٩٩٤  
يونيو ١٩٩٤  
يوليو ١٩٩٤  
أغسطس ١٩٩٤  
سبتمبر ١٩٩٤  
أكتوبر ١٩٩٤  
نوفمبر ١٩٩٤  
ديسمبر ١٩٩٤  
يناير ١٩٩٥  
فبراير ١٩٩٥  
مارس ١٩٩٥  
أبريل ١٩٩٥  
مايو ١٩٩٥

- ١٩٨ - فلسفات تربوية معاصرة  
 ١٩٩ - الفكر الشرقي القديم  
 تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي يونيو ١٩٩٥  
 تأليف: جون كولر يوليو ١٩٩٥  
 ترجمة: كامل يوسف حسين  
 مراجعة: د/ إمام عبدالفتاح إمام  
 ٢٠٠ - الزلازل : حقيقتها وأثارها  
 ٢٠١ - جيران في عالم واحد  
 ٢٠٢ - الأمم المتحدة في نصف قرن  
 ٢٠٣ - التصوير الشمسي العربي  
 ٢٠٤ - الصراع على القمة  
 تأليف: د/ شاهر جمال أضا أغسطس ١٩٩٥  
 مراجعة: عبدالسلام رضوان سبتمبر ١٩٩٥  
 تأليف: د/ حسن نافعة أكتوبر ١٩٩٥  
 تأليف: د/ أكرم قانصو نوفمبر ١٩٩٥  
 تأليف: لستر ثارو ديسمبر ١٩٩٥  
 ترجمة: أحمد فؤاد بليغ  
 ٢٠٥ - المخدرات والمجتمع  
 ٢٠٦ - النبوية وما بعدها  
 تأليف: د/ مصطفى سويف يناير ١٩٩٦  
 تأليف: جون ستروك فبراير ١٩٩٦  
 ترجمة: د/ محمد حسن مصفور  
 ٢٠٧ - شعرنا القديم والنقد الجديد  
 ٢٠٨ - العبقرية (تاريخ الفكرة)  
 تأليف: د/ وهب أحمد روميه مارس ١٩٩٦  
 تحرير: بنيلوي مري أبريل ١٩٩٦  
 ترجمة: محمد عبدالواحد محمد  
 مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي  
 ٢٠٩ - أزمة المياه في المنطقة العربية  
 تأليف: د/ سامر صلاح الدين مخيمر  
 خالد جمال الدين حجازي  
 ٢١٠ - الصينيون المعاصرون (ج ١)  
 تأليف: وو بن يونيو ١٩٩٦  
 ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي  
 مراجعة: لي تشين تشونغ  
 ٢١١ - الصينيون المعاصرون (ج ٢)  
 تأليف: وو بن يوليو ١٩٩٦  
 ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي  
 مراجعة: لي تشين تشونغ  
 ٢١٢ - الحصيلة اللغوية  
 ٢١٣ - عالم يفيض بسكانه  
 تأليف: د/ أحمد محمد المتوق أغسطس ١٩٩٦  
 تأليف: سير روي كالن سبتمبر ١٩٩٦  
 ترجمة: ليلي الجبالي  
 ٢١٤ - الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية  
 تأليف: د/ محمد بهي الدين مرجون أكتوبر ١٩٩٦

- ٢١٥ - الإسلام والمسيحية  
تأليف: أليكسي ف. جورافسكي  
ترجمة: د/ خلف محمد الجراد  
مراجعة: د/ حمدي زقزوق  
نوفمبر ١٩٩٦
- ٢١٦ - الرياضة والمجتمع  
تأليف: د/ أمين أنور الختولي  
ديسمبر ١٩٩٦
- ٢١٧ - الشفرة الوراثية للإنسان  
تأليف: دانييل كيفلس  
وليروي هود  
ترجمة: د/ أحمد مستجير  
يناير ١٩٩٧
- ٢١٨ - محاورات مع الشر العربي  
تأليف: د/ مصطفى عبده ناصف  
فبراير ١٩٩٧
- ٢١٩ - فجر العلم الحديث  
تأليف: تويي أ. هاف  
مارس ١٩٩٧
- ٢٢٠ - فجر العلم الحديث  
تأليف: تويي أ. هاف  
ترجمة: د/ أحمد محمود صبحي  
أبريل ١٩٩٧
- ٢٢١ - مدخل إلى مناهج النقد الأدبي  
تأليف: د/ أحمد محمود صبحي  
مايو ١٩٩٧
- ٢٢٢ - البيئة والإنسان عبر العصور  
تأليف: إيان ج. سيمونز  
ترجمة: السيد محمد عثمان  
يونيو ١٩٩٧
- ٢٢٣ - نظرية الثقافة  
تأليف: مجموعة من الكتاب  
ترجمة: د/ رضوان ظاظا  
مراجعة: د/ المنصف الشنوفي  
يوليو ١٩٩٧
- ٢٢٤ - إشكالية الهوية في إسرائيل  
تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي  
أغسطس ١٩٩٧
- ٢٢٥ - المدينة الفاضلة عبر التاريخ  
تأليف: ماريا لويزا برنيري  
ترجمة: د/ عطيات أبو السعود  
سبتمبر ١٩٩٧
- ٢٢٦ - الاقتصاد السياسي للبطالة  
تأليف: د/ رمزي زكي  
أكتوبر ١٩٩٧
- ٢٢٧ - موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)  
تأليف: ر. هـ. روبنز  
نوفمبر ١٩٩٧
- ٢٢٨ - الطريق إلى المريح  
تأليف: م. سعد شعبان  
ديسمبر ١٩٩٧
- ٢٢٩ - لماذا يتفرد الإنسان بالثقافة؟  
تأليف: د. مايكل كاريفرس  
ترجمة: شوقي جلال  
يناير ١٩٩٨

- ٢٣٠- الأمن الغذائي للوطن العربي  
٢٣١- المعلوماتية بعد الإنترنت
- تأليف: د. محمد السيد عبد السلام  
تأليف: بيسل جيتس  
ترجمة: عبد السلام رضوان
- ٢٣٢- الرابا المحدبة  
(من النبوية إلى التفكيك)
- ٢٣٣- تراث الإسلام  
(الجزء الأول) ط ٢
- تأليف: جوزيف شاخت  
كليفورن بوزورث  
ترجمة: د. محمد زهير السهموري  
د. حسين مؤنس  
د. إحسان صدقي العمدة  
مراجعة: د. شاكر مصطفى  
د. فؤاد زكريا
- ٢٣٤- تراث الإسلام  
(الجزء الثاني) ط ٢
- تأليف: جوزيف شاخت  
كليفورن بوزورث  
ترجمة: د. حسين مؤنس  
د. إحسان صدقي العمدة  
مراجعة: د. فؤاد زكريا
- ٢٣٥- الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ط ٢  
٢٣٦- الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية
- تأليف: د. عبد المحسن صالح  
تحرير: دافيد أرنولد  
ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي
- ٢٣٧- الحضارة (الطبعة الثانية)  
٢٣٨- فسخ المولة
- تأليف: د. حسين مؤنس  
تأليف: هانس- بيتر مارتين  
هارالسد شومان  
ترجمة: د. عدنان عباس علي  
مراجعة وتقديم: أ. د. رمزي زكي
- ٢٣٩- الاكتئاب (اضطراب العصر الحديث)  
٢٤٠- في نظرية الرواية  
٢٤١- الماضي المشترك بين العرب والغرب
- تأليف: د. عبد الستار ابراهيم  
تأليف: د. عبد الملك مرتاض  
تأليف: أ. ل. ارنابلا  
ترجمة: د. نبيلة ابراهيم  
مراجعة: د. فاطمة موسى
- ١٩٩٨ فبراير  
١٩٩٨ مارس  
١٩٩٨ أبريل  
١٩٩٨ مايو  
١٩٩٨ يونيو  
١٩٩٨ يوليو  
١٩٩٨ أغسطس  
١٩٩٨ سبتمبر  
١٩٩٨ اكتوبر  
١٩٩٨ نوفمبر  
١٩٩٨ ديسمبر  
١٩٩٩ يناير

- ٢٤٢ - التصحر  
تدهور الأراضي في المناطق الجافة  
١٩٩٩ فبراير تأليف: د. محمد عبدالفتاح القصاص
- ٢٤٣ - المتلاعبون بالعقول  
(الطبعة الثانية)  
١٩٩٩ مارس تأليف: هربرت شيلر  
ترجمة: عبدالسلام رضوان
- ٢٤٤ - النظرية الاجتماعية  
من بارسونز إلى هابرماس  
١٩٩٩ أبريل تأليف: إيان كريب  
ترجمة: د. محمد حسين غلوم  
مراجعة: د. محمد عصفور
- ٢٤٥ - ضرورة العلم  
دراسات في العلم والعلماء  
١٩٩٩ مايو تأليف: ماكس بيروتر  
ترجمة: وائل أناسي  
د. بسام معصراني  
مراجعة: د. عدنان الحموي
- ٢٤٦ - طرائق الحدائق  
ضد المتوائمين الجدد  
١٩٩٩ يونيو تأليف: راييموند وليامز  
ترجمة: فاروق عبدالقادر
- ٢٤٧ - الأطفال والإيمان التلفزيوني  
١٩٩٩ يوليو تأليف: ماري وين  
ترجمة: عبدالفتاح الصباحي
- ٢٤٨ - المسرح في الوطن العربي  
(الطبعة الثانية)  
١٩٩٩ أغسطس تأليف: د. علي الراعي
- ٢٤٩ - اختلاق إسرائيل القديمة  
إسكات التاريخ الفلسطيني  
١٩٩٩ سبتمبر تأليف: كيث وايتلام  
ترجمة: د. سحر الهندي  
مراجعة: د. فؤاد زكريا
- ٢٥٠ - تاريخ إيران السياسي بين ثورتين  
(١٩٠٦ - ١٩٧٩)  
١٩٩٩ أكتوبر تأليف: د. أمال السُّبكي
- ٢٥١ - العدد  
من الحضارات القديمة حتى  
عصر الكمبيوتر  
١٩٩٩ نوفمبر تأليف: جون ماكليش  
ترجمة: د. خضر الأحمد  
د. موفق عبول  
مراجعة: د. عطية عاشور
- ٢٥٢ - النهضة العربية والنهضة اليابانية  
نشابه المقدمات واختلاف النتائج  
١٩٩٩ ديسمبر تأليف: د. مسعود ضاهر

- ٢٥٣- ثورة الإنفوميديا  
الوسائط المعلوماتية  
وكيف تغير عالمتنا وحياتنا؟
- ٢٥٤- كوكب الأرض: نقطة زرقاء باهتة  
رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء
- ٢٥٥ - النقد العربي  
نحو نظرية ثانية
- ٢٥٦ - قصف العقول  
الدعاية للحرب منذ العالم  
القديم حتى العصر النووي
- ٢٥٧ - النظام الاقتصادي  
الدولي المعاصر  
من نهاية الحرب العالمية الثانية  
إلى نهاية الحرب الباردة
- ٢٥٨ - سيكولوجية فنون الأداء
- ٢٥٩ - الآلة قوة وسلطة  
التكنولوجيا والإنسان  
منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر
- ٢٦٠ - فجر العلم الحديث
- ٢٦١ - تاريخ الفكر الاقتصادي  
الماضي صورة الحاضر
- ٢٦٢ - الذكاء العاطفي
- ٢٦٣ - اللغة والاقتصاد
- ٢٦٤ - فلسفة العلم في القرن العشرين  
الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية
- ٢٦٥ - الثقافة العربية وعصر المعلومات  
رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي
- ٢٦٦ - إبداعات النصار  
تاريخ الكيمياء المثير  
من السيمياء إلى العصر الذري
- تأليف : فرانك كيلش  
ترجمة : حسام الدين زكريا  
مراجعة : عبد السلام رضوان
- تأليف : كارل ساجان  
ترجمة : د. شهرت العالم  
مراجعة : حسين بيومي
- تأليف : د. مصطفى ناصف
- تأليف : فيليب تايلور  
ترجمة : سامي خشبة
- تأليف : د. حازم البيلالي
- تأليف : جلين ويلسون  
ترجمة : د. شاكرا عبد الحميد  
مراجعة : د. محمد عناني
- تأليف : آر . إيه. بوكانان  
ترجمة : شوقي جلال
- تأليف : توبي هف  
ترجمة : د. محمد عصفور
- تأليف : جون كينيث جالبريث  
ترجمة : أحمد فؤاد بليغ  
تقديم : إسماعيل صبري عبد الله
- تأليف : دانييل جولمان  
ترجمة : ليلي الجبالي  
مراجعة : محمد يونس
- تأليف : فلوريان كولماس  
ترجمة : د. أحمد عوض  
مراجعة : عبد السلام رضوان
- تأليف : د. يميني طريف الخولي
- تأليف : د. نبيل علي
- تأليف : كاتي كوب  
هارولد جولد وايت  
ترجمة : د. فتح الله الشيخ  
مراجعة : شوقي جلال
- يناير ٢٠٠٠
- فبراير ٢٠٠٠
- مارس ٢٠٠٠
- أبريل ٢٠٠٠
- مايو ٢٠٠٠
- يونيو ٢٠٠٠
- يوليو ٢٠٠٠
- أغسطس ٢٠٠٠
- سبتمبر ٢٠٠٠
- أكتوبر ٢٠٠٠
- نوفمبر ٢٠٠٠
- ديسمبر ٢٠٠٠
- يناير ٢٠٠١
- فبراير ٢٠٠١

- ٢٦٧ - التفضيل الجمالي  
دراسة في سيكولوجية التذوق الفني
- ٢٦٨ - اليابان  
رؤية جديدة
- ٢٦٩ - نهاية اليوتوبيا  
السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة
- ٢٧٠ - رؤى مستقبلية  
كيف سيغير العلم حياتنا في  
القرن الواحد والعشرين
- ٢٧١ - التنين الأكبر  
الصين في القرن الواحد والعشرين
- ٢٧٢ - المرايا المقفرة  
نحو نظرية نقدية عربية
- ٢٧٣ - ما العولمة  
الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم
- ٢٧٤ - الأنا - الآخر  
ازدواجية الفن التمثيلي
- ٢٧٥ - الجينوم  
السيرة الذاتية للنوع البشري
- ٢٧٦ - الثقافة العربية وعصر المعلومات  
(رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)
- ٢٧٧ - هذا هو علم البيولوجيا  
(دراسة في ماهية الحياة والأحياء)
- ٢٧٨ - عصور الأدب الألماني  
(تحولات الواقع ومسارات التجديد)
- ٢٧٩ - الإبهام في شعر الهدائة  
(العوامل والمظاهر وآليات التأويل)
- ٢٨٠ - الحكمة الضائعة  
الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع
- ٢٨١ - تاريخ الطب  
من فن المناوأة إلى علم التشخيص
- ٢٨٢ - الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر (ج ١)  
الاقتصاد العالمي، الدولة القومية،  
المحليات
- تأليف : د. شاكِر عبد الحميد  
مارس ٢٠٠١
- تأليف : باتريك سميث  
ترجمة : سعد زهران  
أبريل ٢٠٠١
- تأليف: راسل جاكوبي  
ترجمة : فاروق عبدالقادر  
مايو ٢٠٠١
- تأليف : ميتشيو كاكو  
ترجمة : د. سعد الدين خرفان  
يونيو ٢٠٠١
- مراجعة : محمد يونس  
تأليف : دانييل بورشتاين  
أرنيه دي كيزا  
يوليو ٢٠٠١
- ترجمة : شوقي جلال  
تأليف : د. عبد العزيز حمودة  
أغسطس ٢٠٠١
- تأليف : بول هيرست  
جراهام طومسون  
سبتمبر ٢٠٠١
- ترجمة : د. فالح عبد الجبار  
تأليف : د. صالح سعد  
أكتوبر ٢٠٠١
- تقديم : د. شاكِر عبد الحميد  
تأليف : مات ريدلي  
نوفمبر ٢٠٠١
- ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي  
تأليف: د. نبيل علي  
ديسمبر ٢٠٠١
- تأليف: إرنست ماير  
ترجمة: د. غيفي محمود عفيفي  
يناير ٢٠٠٢
- تأليف: باربارا باومان  
بريجيت أوبرله  
فبراير ٢٠٠٢
- ترجمة: د. هدى شريف  
مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي  
تأليف: د. عبدالرحمن محمد القعود  
مارس ٢٠٠٢
- تأليف: د. عبدالستار إبراهيم  
أبريل ٢٠٠٢
- تأليف: جان شارل سورنيا  
ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي  
مايو ٢٠٠٢
- تأليف: بيتر تيلور  
كولن فلنت  
يونيو ٢٠٠٢
- ترجمة: عبد السلام رضوان  
د. إسحق عبيد



- ٢٨٣- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر (ج ٢) تأليف: بيتر تيلور  
كولن فلنت  
ترجمة: عبد السلام رضوان  
د. إسحق عبید  
يوليو ٢٠٠٢
- ٢٨٤- أديب الأسطورة عند العرب  
جذور التفكير وأصاله الإبداع  
٢٨٥- البيئة وقضايا التنمية والتصنيع  
دراسات حول الواقع البيئي  
في الوطن العربي  
٢٨٦- بعيدا عن اليسار واليمين  
مستقبل السياسات الراديكالية  
٢٨٧- المخ البشري  
مدخل إلى دراسة السيكلوجيا والسلوك  
٢٨٨- البحث عن حياة على المريخ  
الصخرة المريخية ولغز الحياة  
٢٨٩- الفكاهة والضحك  
رؤية جديدة  
٢٩٠- سيكولوجية الذاكرة  
قضايا واتجاهات حديثة  
٢٩١- الكون في قشرة جوز  
شكل جديد للكون  
٢٩٢- أسطورة الإطار  
في دفاع عن العلم والعقلانية  
٢٩٣- الوسواس القهري  
من منظور عربي إسلامي  
٢٩٤- العصر الجينومي  
استراتيجيات المستقبل البشري  
٢٩٥- فح الهولمة  
الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية  
(طبعة ثانية)  
٢٩٦- المقدمات التاريخية للعلم الحديث  
من الإغريق القدماء إلى عصر النهضة  
٢٩٧- الكتاب في العالم الإسلامي  
الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال  
في منطقة الشرق الأوسط  
٢٩٨- الخروج من التيه  
دراسة في سلطة النص
- تأليف: أنطوني جينز  
ترجمة: شوقي جلال  
أكتوبر ٢٠٠٢
- تأليف: كرتين قبل  
ترجمة: د. عاطف أحمد  
نوفمبر ٢٠٠٢
- تأليف: دونالد جولدسميث  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد  
ديسمبر ٢٠٠٢
- تأليف: د. شاکر عبدالحمید  
يناير ٢٠٠٣
- تأليف: د. محمد قاسم عبدالله  
فبراير ٢٠٠٣
- تأليف: ستيفن هوكنج  
ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي  
مارس ٢٠٠٣
- تأليف: كارل بوير  
محرر: مارك أ. نوترنو  
إبريل - مايو ٢٠٠٣
- ترجمة: د. يمني طريف الحولي  
تأليف: د. وائل أبو هندي  
يونيو ٢٠٠٣
- تأليف: د. موسى الخلف  
يوليو ٢٠٠٣
- تأليف: هانس بيتر مارتين  
وهارالد شومان  
ترجمة وتقديم: د. عدنان عباس علي  
مراجعة وتقديم: د رمزي زكي  
أغسطس ٢٠٠٣
- تأليف: توماس جولد شتاين  
تصدير: إيزاك أسيموف  
ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد  
سبتمبر ٢٠٠٣
- محرر: جورج عطية  
ترجمة: عبدالستار الحلوجي  
أكتوبر ٢٠٠٣
- تأليف: د. عبدالعزيز حمودة  
نوفمبر ٢٠٠٣

- ٢٩٩- جامعة الدول العربية  
مدخل إلى المستقبل  
٣٠٠- قضايا أدبية عامة  
آفاق جديدة في نظرية الأدب
- ٣٠١- مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين  
وَأوليفر ليमान  
ترجمة: مصطفى محمود محمد  
مراجعة: د. رمضان بسطاويسي  
٣٠٢- الإسلام شريكا  
دراسات عن الإسلام والمسلمين  
٣٠٣- التنمية حرة  
مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرضى والفقير  
٣٠٤- العمارة الإسلامية والبيئة  
الروايد التي شكلت التعبير الإسلامي  
٣٠٥- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية  
لبنان أساسية في صرح الحضارة الإنسانية  
٣٠٦- أنثوية العلم  
العلم من منظور الفلسفة النسوية  
٣٠٧- نهاية عصر البترول  
التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل  
٣٠٨- الثقافة الحضرية في مدن الشرق  
استكشاف المحيط الداخلي للمنزل  
٣٠٩- من الحدائث إلى العولمة (ج١)  
رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي  
٣١٠- من الحدائث إلى العولمة (ج٢)  
رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي
- ٣١١- عصر الصورة  
السلبيات والإيجابيات  
٣١٢- جغرافية الفكر  
كيف يفكر الغربيون والآسيويون  
على نحو مختلف.. ولماذا؟  
٣١٢- سيكولوجية المقامر  
التشخيص والتنبؤ والعلاج  
٣١٤- البحر والتاريخ  
تحديات الطبيعة واستجابات البشر
- تأليف: د. مجدي حماد  
ديسمبر - يناير  
٢٠٠٣ - ٢٠٠٤
- تأليف: إيمانويل فريس  
ويرنار موراليس  
ترجمة: د. لطيف زيتوني  
فبراير ٢٠٠٤
- تأليف: د. م. يحيى وزيري  
يونيو ٢٠٠٤
- تأليف: دونالد ر. هيل  
ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا  
تأليف: د. ليندا جين شيفرد  
ترجمة: د. ميني طريف الخولي  
تأليف: كولن كامبيل (وأخريين)  
ترجمة: د. عدنان عباس علي  
تأليف: جينيفر سكيرس  
ترجمة: ليلي الموسوي  
تأليف: ج. تيمونز روبيرتس  
إيمي هايت  
ترجمة: سمر الشيشكلي  
تأليف: ج. تيمونز روبيرتس  
إيمي هايت  
ترجمة: سمر الشيشكلي  
مراجعة: محمود ماجد عمر  
ديسمبر ٢٠٠٤
- تأليف: د. شاعر عبدالحميد  
يناير ٢٠٠٥
- تأليف: ريتشارد إي نيسبت  
ترجمة: شوقي جلال  
فبراير ٢٠٠٥
- تأليف: د. أكرم زيدان  
مارس ٢٠٠٥
- تأليف: إ. إ. رايس  
ترجمة: د. عاطف أحمد  
أبريل ٢٠٠٥

- ٣١٥ - التاريخ الاجتماعي للوسائط  
من غنتيرغ إلى الإنترنت
- ٣١٦ - أخلاقيات العلم  
مدخل
- ٣١٧ - الجغرافيا الثقافية  
أهمية الجغرافيا في تفسير  
الظواهر الإنسانية
- ٣١٨ - الفجوة الرقمية  
رؤية عربية لمجتمع المعرفة
- ٣١٩ - المجتمع العربي الإسلامي  
الحياة الاقتصادية والاجتماعية
- ٣٢٠ - تاريخ الملح في العالم  
الإمبراطوريات، المعتقدات،  
ثورات الشعوب، والاقتصاد العالمي
- ٣٢١ - الطاقة للجميع  
كيف ستغير ثورة الطاقة أسلوينا  
في الحياة
- ٣٢٢ - الحفاظ على التراث الثقافي  
نحو مدرسة عربية للحفاظ  
على التراث الثقافي وإدارته
- ٣٢٣ - هل نحن بلا نظير؟  
عالم يستكشف الذكاء الفريد  
للعقل البشري
- ٣٢٤ - الآداب السلطانية  
دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي
- ٣٢٥ - في نشأة اللغة  
من إشارة اليد إلى نطق الفم
- ٣٢٦ - سيكولوجية العلاقات بين الجماعات  
قضايا في الهوية الاجتماعية  
وتصنيف الذات
- ٣٢٧ - من الذرة إلى الكوارك  
نحو ثقافة علمية متقدمة  
لمواكية علوم العصر وفلسفاتها
- ٣٢٨ - الثقافة والمعرفة البشرية  
دراسة مقارنة بين أطفال  
البشر والرئيسيات
- ٣٢٩ - نحو شركات خضراء  
مسؤولية مؤسسات الأعمال  
نحو الطبيعة
- تأليف: بيتر بورك - آسا بريغز  
ترجمة: مصطفى محمد قاسم
- ٢٠٠٥ مايو
- تأليف: ديفيد ب. رزنيك  
ترجمة: د. عبدالنور عبدالمنعم  
مراجعة: أ. د يمني طريف الحفولي
- ٢٠٠٥ يونيو
- تأليف: مايك كرانغ  
ترجمة: د. سعيد منتاق
- ٢٠٠٥ يوليو
- تأليف: د. نبيل علي  
د. نادية حجازي
- ٢٠٠٥ أغسطس
- تأليف: د. الحبيب الجنحاني
- ٢٠٠٥ سبتمبر
- تأليف: مارك كيرلانسكي  
ترجمة: أحمد حسن مغربي
- ٢٠٠٥ أكتوبر
- تأليف: فيجاي ف. فيتيسواران  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم  
مراجعة: د. عاطف أحمد
- ٢٠٠٥ نوفمبر
- تأليف: د. م. جمال عليان
- ٢٠٠٥ ديسمبر
- تأليف: جيمس ترينفل  
ترجمة: ليلى الموسوي
- ٢٠٠٦ يناير
- تأليف: د. عز الدين العلام
- ٢٠٠٦ فبراير
- تأليف: مايكل كوربليس  
ترجمة: محمود ماجد عمر
- ٢٠٠٦ مارس
- تأليف: د. أحمد زايد
- ٢٠٠٦ أبريل
- تأليف: سام تريمان  
ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا
- ٢٠٠٦ مايو
- تأليف: ميشيل توماسيللو  
ترجمة: شوقي جلال
- ٢٠٠٦ يونيو
- تأليف: د. ليزا ه. نيوتن  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم
- ٢٠٠٦ يوليو

- ٢٠٠٦ أغسطس ٣٣٠ - الذكاء الإنساني  
تحقيقات معاصرة وقضايا نقدية
- ٢٠٠٦ سبتمبر ٣٣١ - الشعر والناقد  
من التشكيل إلى الرؤيا
- ٢٠٠٦ أكتوبر ٣٣٢ - الفلسفة البيئية  
من حقوق الحيوان إلى  
الإيكولوجيا الجذرية (١)
- ٢٠٠٦ نوفمبر ٣٣٣ - الفلسفة البيئية  
من حقوق الحيوان إلى  
الإيكولوجيا الجذرية (٢)
- ٢٠٠٦ ديسمبر ٣٣٤ - كامبي وسارتر
- ٢٠٠٧ يناير ٣٣٥ - اقتصاد يفتقد فقرا  
التحول من دولة التكافل الاجتماعي  
إلى المجتمع المنقسم على نفسه
- ٢٠٠٧ فبراير ٣٣٦ - السيطرة الصامتة  
الرأسمالية العالمية  
وموت الديمقراطية
- ٢٠٠٧ مارس ٣٣٧ - الأنماط الثقافية للعتف
- ٢٠٠٧ أبريل ٣٣٨ - الصناعات الإبداعية  
كيف تنتج الثقافة في عالم  
التكنولوجيا والعولمة؟ (١)
- ٢٠٠٧ مايو ٣٣٩ - الصناعات الإبداعية  
كيف تنتج الثقافة في عالم  
التكنولوجيا والعولمة؟ (٢)
- ٢٠٠٧ يونيو ٣٤٠ - الصيف الطويل  
دور المناخ في تغيير الحضارة
- ٢٠٠٧ يوليو ٣٤١ - سوسيولوجيا الفن  
طرق للرؤية
- ٢٠٠٧ أغسطس ٣٤٢ - اللغة والهوية  
قومية - إثنية - دينية
- ٢٠٠٧ سبتمبر ٣٤٣ - العقل  
مدخل موجز
- ٢٠٠٧ أكتوبر ٣٤٤ - الاستبعاد الاجتماعي  
محاولة للفهم
- ٢٠٠٧ نوفمبر ٣٤٥ - جامعة الدول العربية  
مدخل إلى المستقبل (طبعة ثانية)
- تأليف: د. محمد طه
- تأليف: د. وهب رومية
- تأليف: مايكل زهرمان  
ترجمة: معين رومية
- تأليف: مايكل زهرمان  
ترجمة: معين رومية
- تأليف: رونالد أرونسون  
ترجمة: شوقي جلال
- تأليف: هورست أفهيلد  
ترجمة: د. عدنان عباس علي
- تأليف: نورينا هيرتس  
ترجمة: صدقي خطاب
- تأليف: باربرا ويتمر  
ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران
- تأليف: جون هارتلي  
ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي
- تأليف: جون هارتلي  
ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي
- تأليف: براين فاغان  
ترجمة: د. مصطفى فهمي
- تأليف: ديفيد إنغليز - جون هفسون  
ترجمة: د. ليلى الموسوي  
مراجعة: د. محمد الجوهري
- تأليف: جون جوزيف  
ترجمة: د. عبدالنور خراقي
- تأليف: جون ر. سيرل  
ترجمة: أ.د. ميشيل حنا متياس
- تأليف: جون هيلز - جوليان  
لوغران - دافيد بياشو  
ترجمة وتقديم: أ.د. محمد الجوهري
- تأليف: مجدي حماد

- ٣٤٦ - التنوير الآتي من الشرق  
(اللقاء بين الفكر الآسيوي  
والفكر الغربي)
- ٣٤٧ - علم الاجتماع الأثري  
(مقاربة في علم الاجتماع العربي  
والاتصال عبر الحاسوب)
- ٣٤٧ - الخلية الجذعية
- ٣٤٨ - الثقافة  
(التفسير الأنثروبولوجي)
- ٣٥٠ - فلسفة الكوانتم  
(فهم العلم المعاصر وتأويله)
- ٣٥١ - سيكولوجية المال  
(هوس الثراء وأمراض الثروة)
- ٣٥٢ - الهوية والعنف  
(وهم المصير المحتمي)
- ٣٥٣ - جنوسة الدماغ
- ٣٥٤ - العولمة والثقافة  
(مجهريتنا الاجتماعية  
عبر الزمان والمكان)
- ٣٥٥ - أنماط الرواية العربية الجديدة
- ٣٥٦ - أخلاق العناية
- ٣٥٧ - إمبراطورية الثروة  
التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية  
الأمريكية (الجزء الأول)
- ٣٥٨ - إمبراطورية الثروة  
التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية  
الأمريكية (الجزء الثاني)
- ٣٥٩ - الفيل والتنين  
صعود الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعا
- ٣٦٠ - الخيال  
من الكهف إلى الواقع الافتراضي
- ٣٦١ - الخجل
- ٣٦٢ - السلطوية في التربية العربية
- ٣٦٣ - منظور جديد للفقر والثغافوت
- تأليف: جي. جي. كلارك  
ترجمة: شوقي جلال
- تأليف: د. علي محمد رحومة
- تأليف: خالد أحمد الزعيري  
تأليف: آدم كوبر  
ترجمة: تراجي فتحي  
مراجعة: د. ليلى الموسوي
- تأليف: رولان أومينس  
ترجمة: أ.د. أحمد فؤاد باشا  
أ.د. يمنى طريف الخولي
- تأليف: د. أكرم زيدان
- تأليف: أمارتيا صن  
ترجمة: سحر توفيق
- تأليف: ميليسا هاينز  
ترجمة: د. ليلى الموسوي
- تأليف: د. جون توماينسون  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد
- تأليف: د. شكري عزيز الماضي  
تأليف: فيرجينيا هيلد  
ترجمة: ميشيل حنا متياس
- تأليف: جون ستيل جوردون  
ترجمة: محمد مجد الدين باكير
- تأليف: جون ستيل جوردون  
ترجمة: محمد مجد الدين باكير
- تأليف: روبين ميرديث  
ترجمة: شوقي جلال
- تأليف: د. شاكرا عبدالحاميد
- تأليف: راي كروزير  
ترجمة: أ.د. معتز سيد عبدالله
- تأليف: د. يزيد السورطي  
تحرير: ستيفن بي جنكينز  
جون مايكلايريت  
ترجمة: بدر الرفاعي
- ديسمبر ٢٠٠٧
- يناير ٢٠٠٨
- فبراير ٢٠٠٨
- مارس ٢٠٠٨
- أبريل ٢٠٠٨
- مايو ٢٠٠٨
- يونيو ٢٠٠٨
- يوليو ٢٠٠٨
- أغسطس ٢٠٠٨
- سبتمبر ٢٠٠٨
- أكتوبر ٢٠٠٨
- نوفمبر ٢٠٠٨
- ديسمبر ٢٠٠٨
- يناير ٢٠٠٩
- فبراير ٢٠٠٩
- مارس ٢٠٠٩
- أبريل ٢٠٠٩
- مايو ٢٠٠٩

- ٣٦٤ - حكمة الغرب - الجزء الأول (ط ٢) تأليف: برتراند رسل  
عرض تاريخي للفلسفة الغربية  
في إطارها الاجتماعي والسياسي  
ترجمة: د. فؤاد زكريا
- ٣٦٥ - حكمة الغرب - الجزء الثاني (ط ٢) تأليف: برتراند رسل  
الفلسفة الحديثة والمعاصرة  
ترجمة: د. فؤاد زكريا
- ٣٦٦ - التلاصق الحضاري الإسلامي - تأليف: د. إيناس حسني  
الأوروبي
- ٣٦٧ - الطرق إلى الهداية تأليف: غيرتروود هيملفارب  
التنوير البريطاني والتنوير  
الفرنسي والتنوير الأمريكي  
ترجمة: د. محمود سيد أحمد
- ٣٦٨ - الأدب الفارسي منذ عصر الجاهلي وحتى أيامنا تأليف: د. محمد رضا شفيعي  
كدكتي
- ٣٦٩ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج ١) ترجمة: د. بسام رباحة  
مظاهر الأزمة ومقترحات بالحللول  
تأليف: د. نبيل علي
- ٣٧٠ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج ٢) ترجمة: د. نبيل علي  
مظاهر الأزمة واقتراحات بالحللول
- ٣٧١ - انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق  
المحررة من القيود  
تأليف: أولريش شيفر  
ترجمة: د. عدنان عباس علي
- ٣٧٢ - لماذا العلم؟ تأليف: جيمس ترينيل  
ترجمة: شوقي جلال
- ٣٧٣ - النموذج النرويجي إدارة المصادر البترولية تأليف: فاروق القاسم
- ٣٧٤ - تكنولوجيا النانو من أجل غد أفضل تأليف: أ. د. محمد شريف  
الإسكندراني
- ٣٧٥ - يقظة الذات براغماتية بلا قيود تأليف: روبرتو مانغايبيرا أونغر  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد
- ٣٧٦ - التوحيد بين العلم والخيال تأليف: لور اشريمان  
ترجمة: د. فاطمة عباد
- ٣٧٧ - أوديسا التعددية الثقافية (ج ١) سبر السياسات الدولية الجديدة  
في التنوع  
تأليف: ويل كيمليكا  
ترجمة: د. إمام عبدالفتاح
- يونيو ٢٠٠٩
- يوليو ٢٠٠٩
- أغسطس ٢٠٠٩
- سبتمبر ٢٠٠٩
- أكتوبر ٢٠٠٩
- نوفمبر ٢٠٠٩
- ديسمبر ٢٠٠٩
- يناير ٢٠١٠
- فبراير ٢٠١٠
- مارس ٢٠١٠
- أبريل ٢٠١٠
- مايو ٢٠١٠
- يونيو ٢٠١٠
- يونيو ٢٠١١

صدر عن هذه السلسلة

- ٣٧٨ - أوديسا التعددية الثقافية (ج ٢) تأليف: ويل كيمليكا  
ترجمة: د. إمام عبدالفتاح يوليو ٢٠١١
- ٣٧٩ - الإشعاع الذري واستخداماته السلمية تأليف: د. عبدالحميد انجزار  
محمد عبدالمعصم صقر أغسطس ٢٠١١
- ٣٨٠ - العلاقات وعيون العصور تأليف: د. سليمان الشطي سبتمبر ٢٠١١
- ٣٨١ - مدن المعرفة  
المداخل والخبرات والروى تحرير: فرانيسكو خافيير كاريللو  
ترجمة: د. خالد علي يوسف  
مراجعة: د. عمرو عبدالرحمن طيبة  
م. محمد سيد محمد مرسى أكتوبر ٢٠١١
- ٣٨٢ - الثقافة والمساواة (ج ١) تأليف بريان باري  
ترجمة: كمال المصري نوفمبر ٢٠١١
- ٣٨٣ - الثقافة والمساواة (ج ٢) تأليف بريان باري  
ترجمة: كمال المصري ديسمبر ٢٠١١
- ٣٨٤ - الغرابة  
المفهوم وتجلياته في الأدب تأليف: د. شاكر عبدالحميد يناير ٢٠١٢
- ٣٨٥ - الحضارات في السياسة العالمية  
وجهاً نظراً جمعياً وتعددية تأليف: بيتر جي كاتزنشتاين  
ترجمة: فاضل جتكر فبراير ٢٠١٢
- ٣٨٦ - وسائل الإعلام والمجتمع  
وجهاً نظراً نقدية تأليف: آرثر آسا بورغر  
ترجمة: د. صالح خليل أبوإصبع مارس ٢٠١٢
- ٣٨٧ - مختصر تاريخ العدالة تأليف: ديفد جونسون  
ترجمة: مصطفى ناصر أبريل ٢٠١٢
- ٣٨٨ - وجه غايا المتلاشي تأليف: جيمس فلوك  
ترجمة: د. سعد الدين عرفان مايو ٢٠١٢
- ٣٨٩ - تاريخ العلم ١٥٤٣ - ٢٠٠١ (ج ١) تأليف: جون غريبن  
ترجمة: شوقي جلال يوليو ٢٠١٢
- ٣٩٠ - تاريخ العلم ١٥٤٣ - ٢٠٠١ (ج ٢) تأليف: جون غريبن  
ترجمة: شوقي جلال يوليو ٢٠١٢
- ٣٩١ - الانفجار السكاني والاحساس الحراري تأليف: أ. د. عبدالنعم مصطفى المقر أغسطس ٢٠١٢
- ٣٩٢ - البنى الحكائية  
في أدب الأطفال العربي الحديث تأليف: د. موفق رياض مقداي سبتمبر ٢٠١٢
- ٣٩٣ - العربية والقومية  
وجهاً نظراً أنثروبولوجية تأليف: توماس هايلاند إريكسن  
ترجمة: د. لاهاي عبدالحسين أكتوبر ٢٠١٢
- ٣٩٤ - العرب والإسلام  
الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي تأليف: أنتوني بلاك  
ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب نوفمبر ٢٠١٢
- ٣٩٥ - نقض مركزية المركز  
الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات  
بعد - استعماري ونسوي تحرير: أوما ناريمان  
ساندرا هاردينغ  
ترجمة: د. يحيى طريف الحوئي ديسمبر ٢٠١٢

٢٠١٣	يناير	٣٩٦	– نقض مركزية لفرانز (ج٢) الفنسة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد – استعماري ونسوي	تحرير: أوما ناربان ساندرا هاردنغ ترجمة: د. يمني طريف الخولي
٢٠١٣	فبراير	٣٩٧	– جغرافيات العولمة قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية	تأليف: د. ورويك موراي ترجمة: د. سعيد منتاق
٢٠١٣	مارس	٣٩٨	– إشكالية الأنا والأخر في الرواية العربية	تأليف: د. ماجدة حمود
٢٠١٣	أبريل	٣٩٩	– فيزياء المستحيل	تأليف: ميشيو كاكو ترجمة: سعد الدين عرفان
٢٠١٣	مايو	٤٠٠	– مختصر تاريخ العالم	تأليف: إي أنش هوميريش ترجمة: د. ابتهاج الخطيب مراجعة: د. عبدالله هديبة
٢٠١٣	يونيو	٤٠١	– الثقافة في عصر العولمة الثلاثة	تأليف: مايكل دينغ ترجمة: أسامة الهزولي
٢٠١٣	يوليو	٤٠٢	– المسرح الشعري العربي الأزمة والمستقبل	تأليف: د. مصطفى عبدالغني
٢٠١٣	أغسطس	٤٠٣	– لماذا تتعارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل	تأليف: ريتشارد نيد ليو ترجمة: د. ايهاب عبدالرحيم علي
٢٠١٣	سبتمبر	٤٠٤	– ما المعرفة؟	تأليف: دنكان بريشارد ترجمة: مصطفى ناصر
٢٠١٣	أكتوبر	٤٠٥	– السعادة	تأليف: نيكولس وايت ترجمة: سعيد توفيق
٢٠١٣	نوفمبر	٤٠٦	– مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج١)	تأليف: بيني موريس ترجمة: د. عماد عواد
٢٠١٣	ديسمبر	٤٠٧	– مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج٢)	تأليف: بيني موريس ترجمة: أ. د. عماد عواد
٢٠١٤	يناير	٤٠٨	– الثقافات الثلاث العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات	تأليف: جبروم كيهان ترجمة: د. صديق محمد جوهر
٢٠١٤	فبراير	٤٠٩	– تاريخ إيران الحديثة	تأليف: أرون أبراهيميان ترجمة: مجدي صبحي



- ٤١٠ - أفريقيا والتحدّي تأليف: وانغاري ماثاي  
مارس ٢٠١٤  
ترجمة: أشرف محمد كيلاني
- ٤١١ - مدار الفوضى  
أبريل ٢٠١٤  
تأليف: كريستيان بارينتني  
ترجمة: د. سعد الدين خرفان
- ٤١٢ - الحضارة ومضامينها  
مايو ٢٠١٤  
تأليف: بروس مازليش  
ترجمة: د. عبدالنور خراقي
- ٤١٣ - السياسة الدينية والدول العلمانية  
يوليو ٢٠١٤  
مصر والهند والولايات المتحدة الأمريكية  
تأليف: سكوت هيبارد  
ترجمة: الأمير سامح كريم
- ٤١٤ - الأخلاقيات والحرب  
يوليو ٢٠١٤  
هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في  
القرن الحادي والعشرين؟  
تأليف: ديفيد فيشر  
ترجمة: أ. د. عماد عواد
- ٤١٥ - الفيض (ج١)  
أغسطس ٢٠١٤  
أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء  
التالية بين البشر  
تأليف: ديفيد كوامن  
ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي
- ٤١٦ - الفيض (ج٢)  
سبتمبر ٢٠١٤  
أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء  
التالية بين البشر  
تأليف: ديفيد كوامن  
ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي
- ٤١٧ - عصور نهضة أخرى  
أكتوبر ٢٠١٤  
مدخل جديد إلى الأدب العالمي  
تحرير: شيلدجن، تشو، غيلمان  
ترجمة: د. علاء الدين محمود
- ٤١٨ - مشروع الديمقراطية  
نوفمبر ٢٠١٤  
التاريخ، الأزمة، الحركة  
تأليف: ديفيد غريير  
ترجمة: أسامة الغزولي
- ٤١٩ - هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟  
ديسمبر ٢٠١٥  
اللغة الإنجليزية ومستقبل البحث العلمي  
تأليف: سكوت ل. مونتغمري  
ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب
- ٤٢٠ - انتقام الجغرافيا  
يناير ٢٠١٥  
ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات  
المقبلة والحرب ضد لمصير  
تأليف: روبرت د. كابلان  
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم
- ٤٢١ - فكرة حقوق الإنسان  
فبراير ٢٠١٥  
تأليف: نشارلز آر. بيتز  
ترجمة: شوالي جلال
- ٤٢٣ - أمة من العباقرة  
مارس ٢٠١٥  
كيف تفرس العلوم الهندية هيمتها على العالم  
تأليف: أنجيلا سايني  
ترجمة: طارق راشد عليان
- ٤٢٣ - المستقبل (الجزء الأول)  
أبريل ٢٠١٥  
سنة محركات للتغيير العالمي  
تأليف: آل غور  
ترجمة: د. عدنان جرجس

- ٢٠١٥ مايو تأليف: آل غور  
ترجمة: د. عدنان جرجس ٤٢٤ - المستقبل (الجزء الثاني)  
سنة محركات للتصغير العالمي
- ٢٠١٥ يونيو تأليف: ساهون ديورنغ  
ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران ٤٢٥ - الدراسات الثقافية  
مقدمة نقدية
- ٢٠١٥ يوليو تأليف: فيليب متنسيل  
ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم ٤٢٦ - القسطنطينية (الجزء الأول)  
المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤
- ٢٠١٥ اغسطس تأليف: فيليب متنسيل  
ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم ٤٢٧ - القسطنطينية (الجزء الثاني)  
المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤
- ٢٠١٥ سبتمبر تأليف: بيتر ن. ستيرلز  
ترجمة: وفيق فائق كريشات ٤٢٨ - الطفولة في التاريخ العالمي
- ٢٠١٥ أكتوبر تأليف: غاي دويتشر  
ترجمة: حنان عبدالمحسن مظفر ٤٢٩ - عبر منظار اللغة  
لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى
- ٢٠١٥ نوفمبر تأليف: جون آر. فيليس  
ترجمة: د. ابتهاال الخطيب ٤٣٠ - الساحل البشري
- ٢٠١٥ ديسمبر تأليف: جورج جونسون  
ترجمة: د. إيهاب عبد الرحيم ٤٣١ - يوميات السرطان  
حل أعمق أمرار الطب
- ٢٠١٦ يناير تحرير: فيلدون كريمسكي وجيمي غروبر  
ترجمة: د. ليلي الماوسوي ٤٣٢ - تفسيرات وراثية  
المعقول واللامعقول
- ٢٠١٦ فبراير تحرير: دوغلاس سي. نورث وآخرون  
ترجمة: كمال المصري ٤٣٣ - في ظل العنف  
السياسة والاقتصاد ومشكلات التنمية
- ٢٠١٦ مارس تأليف: مارك بليث  
ترجمة: عبد الرحمن أباس ٤٣٤ - التقشف  
تاريخ فكرة خطرة
- ٢٠١٦ أبريل تأليف: أرنست فولف  
ترجمة: د. عدنان عباس علي ٤٣٥ - صندوق النقد الدولي  
قوة عظمى في الساحة العالمية
- ٢٠١٦ مايو تأليف: كريستيان تيليفا  
ترجمة: أسامة الغزولي ٤٣٦ - علم النفس السياسي  
رؤى نقدية
- ٢٠١٦ يونيو تأليف: موشي زيدنر + جيرالد ماثيوس  
ترجمة: د.د. معتز سيد عبد الله +  
أ.د. الحسين محمد عبد المنعم ٤٣٧ - الفلق  
علم دراسة طول العمر والشيخوخة
- ٢٠١٦ يوليو تأليف: جوناثان سيلفرتاون  
ترجمة: سحر توفيق ٤٣٨ - حياتنا وإن طالت  
علم دراسة طول العمر والشيخوخة

٢٠١٦	أغسطس	تأليف: بول كولير ترجمة: مصطفى ناصر	٤٣٩	– الهجرة كيف تؤثر في عالمنا؟
٢٠١٦	سبتمبر	تأليف: جون إدوارد هوت ترجمة: د. سعد الدين خرفان	٤٤٠	– الفن الضائع (الجزء الأول) ثقافات الملاحه ومهارات اهداء السبيل
٢٠١٦	أكتوبر	تأليف: جون إدوارد هوت ترجمة: د. سعد الدين خرفان	٤٤١	– الفن الضائع (الجزء الثاني) ثقافات الملاحه ومهارات اهداء السبيل
٢٠١٦	نوفمبر	تأليف: د. نبيل اللو	٤٤٢	– عود على العود الموسيقى العربية وموقع العود فيها

## سعر النسخة

الكويت ودول الخليج دينار كويتي

الدول العربية ما يعادل دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي أربعة دولارات أمريكية

## الاشتراكات

### دولة الكويت

للأفراد 15 د . ك

للمؤسسات 25 د . ك

### دول الخليج

للأفراد 17 د . ك

للمؤسسات 30 د . ك

### الدول العربية

للأفراد 25 دولارا أمريكيا

للمؤسسات 50 دولارا أمريكيا

### خارج الوطن العربي

للأفراد 50 دولارا أمريكيا

للمؤسسات 100 دولار أمريكي

---

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100

دولة الكويت

بدالة: 22416006 (00965)

داخلي: 1196 / 1195 / 1194 / 1193 / 1153 / 1152



كشف بأسماء وأرقام وكلاء التوزيع - أوبلا التوزيع المحلي - دولة الكويت			
الإيميل	رقم الفاكس	رقم الهاتف	وكيل التوزيع
im_gpr50@yahoo.com	00965 24826823	00965 24826820/1/2	الجمعية الإعلامية العالمية
داليا، التوزيع الخارجي			
bader.shareef@sawidistribution.com	009661 12121766 - 1212774	00966 /14419933 - 14418972	الشركة السعودية للتوزيع
babiker.khalil@amodisdistribution.com			
cti@adlyam.com	00973 17617744	00973 /17617733 - 36616168	مؤسسة الأيام للنشر
nudainoa.ahmed@aljayana.com			
eppke@emirates.net.ae			
info@epdco.com	00971 43918354 - 43918019	00971 43916501/2/3	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
esam.ali@epdco.com			
alamadist@yahoo.com	00968 24493200	00968 24492936 - 24496748 - 24491399	مؤسسة المطاه للتوزيع
ibqatadist@yahoo.com	00974 44621800	00974 44621942 / 44622182	شركة دار الثقافة
ahmed_issae2008@hotmail.com	00202 25782540	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	مؤسسة اخبار اليوم
hyspeev1@hotmail.com	00961 1653259 00961 1653260	00961 1666314/5	مؤسسة نمنع المصحفية للتوزيع
soupress@scup.com.ni	00216 71323004	00216 71322499	الشركة التونسية
s.ward@spress.ma	00212 522249214	00212 522249200	الشركة العربية الأفريقية
alshafici.ankousib@aramex.com	00962 65337733	00962 65358885 - 797204095	وكالة التوزيع الأردنية
basem.abuhameid@aramex.com			
wael.kasseb@rdp.ps	00970 22964133	00970 22980800	شركة رام الله للتوزيع والنشر
alhandqdf@yahoo.com	00967 1240883	00967 1240883	القائد للنشر والتوزيع
danalyaa_cup22@hotmail.com	002491 83242703	002491 83242702	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع
danalyaa_12@hotmail.com			

## تنويه

للاطلاع على قائمة كتب السلسلة انظر عدد  
ديسمبر (كانون الأول) من كل سنة، حيث توجد  
قائمة كاملة بأسماء الكتب المنشورة  
في السلسلة منذ يناير 1978.

## قسمة اشتراك في إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

جريدة الفنون	إبداعات عالمية		عالم الفكر		الثقافة العالمية		سلسلة عالم المعرفة		البيان	
	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار		
	12		20		12		12		25	مؤسسات داخل الكويت
	8		10		6		6		15	أفراد داخل الكويت
36			24		16		16		30	مؤسسات دول الخليج العربي
24			12		8		8		17	أفراد دول الخليج العربي
48		100		40		50		100		مؤسسات خارج الوطن العربي
36		50		20		25		50		أفراد خارج الوطن العربي
36		50		20		30		50		مؤسسات في الوطن العربي
24		25		10		15		25		أفراد في الوطن العربي

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك  تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: 20م / /







يُقال إن السياسي لا يكذب، ولكنه «يقتصد في قول الحقيقة». ولأن السياسة هي «فن الممكن»، فإنها أكثر عُرضة للكذب كسلوك إنساني موجود بكثرة في الممارسة السياسية العادية. وفي حين أن الكذب يصبح جزءاً من أدوات الفعل السياسي على المستوى الداخلي، وربما يُكشَف ويُكتشَف في سياق الأحداث الجارية، وما ينتج عن ذلك من تسجيل نقاط على «الكاذبين» باعتبارهم قد جاءوا بأفعال منافية للقيم العامة والأخلاق، وربما القانون، فقد بقي دور الكذب في السياسة الدولية بعيداً عن الفحص المنهجي، وقلما تُعومَل معه كمبحث قائم بذاته.

يحاول كتاب «لماذا يكذب القادة؟: حقيقة الكذب في العلاقات الدولية» للبروفسور جون ميرشيمر الإجابة عن جملة تساؤلات تتعلق بدور وفاعلية الكذب في العلاقات الدولية، مع التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية، وما قام به عدد من رؤسائها حيال الأزمات التي واجهتهم في الإطار الدولي.

يسعى الكتاب إلى الإجابة عن أسئلة تتعلق بأهماط الكذب في السياسة الدولية، وأسبابه ومبرراته لدى القائد الكاذب، ووظيفة الكذب في تعزيز وتقوية المعيار التفاوضي في السياق الدولي، وهل الكذب مقبول ومبرر كفعل، أم أنه مرفوض ومستنكر؟ وهل يكذب القائد على شعبه أم على الدول الأخرى؟ وهل ينجح الكذب في تحقيق أهدافه؟ وماذا يحدث عادةً حين تُكتشَف الكذبة؟ وهل يدفع من صاغ الكذبة ثمن ذلك الفعل؟ وما طريقة تحمل المسؤولية؟ وما مدى فداحتها؟ وهل يظهر الكذب أكثر في الدول الديمقراطية أو في الدول ذات الحكم المركزي؟

يجيب جون ميرشيمر عن كل تلك الأسئلة من خلال استحدثاته تصنيفاً جديداً لأنواع الكذب، وكيفية تداخل الظروف الداخلية والخارجية لإبراز نوع على حساب نوع آخر.

ويفتح الكتاب آفاقاً واسعة لمزيد من الدراسات في دور الكذب في السياسة، وهي الظاهرة المسكوت عنها في مجمل الدراسات السياسية.